الأحزاب الإسرائيلية

بين العلمانية والدولة والدين

تأليف

د. عبد الكريم العلوجي

جزيرة الورد للنشر والتوزيع

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد
اسم الكتاب : الأحزاب الإسرائيلية
بين العلمانية والدولة والدين
المـــــؤلف : د. عبد الكريم العلوجي
رقـم الإيداع :

الناشر : مكتبة جزيرة الورد
٤ ميدان حليم ـ خلف بنك فيصل الرئيسي ـ شارع
٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا . ت: ٢٧٨٧٧٥٧٤/ ٠٢
محمول : ٠١٠٠١٠٤١١٥ - ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

الطبعة الأولى ٢٠١٠

المقدمة

تتنبه الصهيونية العالمية إلى أهمية عنصر الدين فى الحركة اليهودية رغم العلمانية التى تدعي أنها هويتها أمام العالم، ولكن الوقائع والأحداث الجارية في فلسطين تسفه هذه المقولة والادعاء الصهيوني حول علمانية الدولة.

حيث ظهرت ونحن في القرن الواحد والعشرين العنصرية الصهيونية أمام العالم عندما أعلن نيتنياهو رئيس وزراء سلطة الكيان الصهيوني «يهودية إسرائيل» وكذلك دعم الرئيس جورج بوش الابن هذا المطلب الصهيوني بالاعتراف بيهودية إسرائيل.

إن العنصر الديني يشكل النواة الحقيقية لتأسيس الدولة الصهيونية على أرض فلسطين. ولقد حرصت الصهيونية العالمية بالدعوة لجذب اليهود والمهاجرين الغير علمانيين – فإن العنصر الديني الذى جذب المتشددين من المهاجرين وتكونت عدة أحزاب دينية في إسرائيل من أجل تركيز هذا الوضع

حيث كانت بعض القوى الدينية في إسرائيل وخاصة «الحريدية» المعارضة للصهيونية لا تهدف إلا إلى تكوين جماعات مؤمنين حقيقيين عن طريق التهديد من أسفل ، والتوبة والعودة للتقيد بأحكام الشريعة اليهودية أو «التشوفا» من خلال مقاطعة «العادات الدنيوية» وممارسة حياتها اليومية واتباع أحكام الشريعة اليهودية .

إن دراسة الأحزاب الدينية الإسرائيلية بشكل عام هى من الأهمية بمكان جعلها من أهم المواضيع التى يجب دراستها والاطلاع عليها ولابد أن يكون هذا موضوعاً يستحق الدراسة وخاصة الصراع الحضاري التاريخي المعاصر بين المكونات الفكرية والعقائدية والسياسية للأحزاب الصهيونية وخاصة الأحزاب الدينية، وخاصة خصوصية التجربة الإسرائيلية في المزج العملي والسياسي بين الأسس الدينية والتطبيقات العلمانية على مستوى الدولة والمجتمع الاستيطاني في فلسطين المحتلة.

إن الأهمية الكبرى تكمن في ضرورة رؤية الأساس العام في التجربة الصهيونية وتشكل الأحزاب العلمانية والدينية منها على الأساس الذي سبق تأسيس هذه التجربة من خلال إعلان قيام إسرائيل وما تلاه من تطورات في البنى الفوقية والتحتية .

إن الأحزاب الدينية الإسرائيلية بالذات هى القاسم المشترك لما بين اليهودية والصهيونية و« إسرائيل» وهو ما تحقق على مستوى النظرية والتطبيق.

إن الوظيفة القومية لهذه الأحزاب تجسيد لجوهرة الرؤية اليهودية الصهيونية الفردية منها والجماعية. وأن التباين الظاهري بين أحزاب اليسار واليمين، لا يشكل افتراقا استراتيجياً عن هذا الجوهر ولا عن هذه الرؤية التلمودية.

ومن خلال استقراء التاريخ الماضي والحاضر نجد أن اليهود اعتادوا على طلب العودة والمساعدة من الغير بشكل مباشر، وعدم الاعتماد على جهودهم الذاتية الفاعلة، حتى شكل ذلك سمة أساسية من سماتهم التاريخية والدينية.

تارة يكون اعتمادهم على الرب، وتارة أخرى على القوى البشرية والمعونات الدولية وهذا ما نلاحظه منذ التأسيس وقبل ذلك على الدول الأخرى.

فقد رأينا في العصر الحديث أن مساعدات القوى الدولية في الجانبين المادي منه والمعنوي أصبحت من أهم دعائم التجربة السياسية الإسرائيلية المعاصرة، فكان الدعم البريطاني الأساس الذي انطلق منه اليهود للحصول على موطئ قدم لهم في فلسطين، خصوصا بعد حصولهم على وعد بلفور عام ١٩١٧ وما تلاه من تطورات مرتبطة به، ولاحقة عليه حتى إعلان قيام «إسرائيل» في الخامس عشر من شهر آيار/مايو/ ١٩٤٨ رسميًّا.

كما تقدم مواقف القوى الدولية الأخرى دعماً أساسيًّا أسهمت فيه معظم دول العالم الكبرى وخصوصاً روسيا/ فرنسا/ ألمانيا/ الولايات المتحدة الأمريكية، ولعل صيغة جمع التبرعات المالية من الجاليات اليهودية في مختلف دول العالم دليل على ذلك.

إن ظاهرة تقديم العون من الدول الأوروبية يرجع إلى عدة أسباب ودوافع سياسية واقتصادية ودينية ونسبة كبرى في الدافع الديني الذي حفز اليهود على الاستيلاء على أرض فلسطين بمساعدة هذه الدول الكبرى التى أرادت التخلص من الجاليات اليهودية في بلادهم كذلك نجد قاسمًا مشتركًا بين اليهودية والمسيحية على الرغم من الاختلافات التقليدية بينهما، و هذا القاسم المشترك يعود إلى الخلفيات اللاهوتية التى وصفها القديس «أوغسطين» عام «٣٥٤ – ٤٥٠» للميلاد بشأن تقسيم الفكر المسيحي انطلاقاً من «العهد القديم» وخصوصاً من التوراة، والذى شمل سبعة أقسام تاريخية هي على التوالي:

(آدم/ الطوفان/ إبراهيم/ داود/ الأسر البابلي/ المسيح/ السبت).

لابد أن نصنف الأحزاب الإسرائيلية المعاصرة إلى :

١- أحزاب سياسية علمانية.

٢- أحزاب سياسية دينية.

وموقف كل مجموعة من الحركة الصهيونية بل هناك تباين حتى داخل كل حزب من المنظمة الصهيونية العالمية وعلاقة كل ذلك بنمط ونوع الحكم السائد في «إسرائيل» أهو علماني «الدين منفصل عن الدولة» أم هو ثيوقراطي ديني ذو مظهر علماني؟. وهل هناك حقًّا عداء بين الأحزاب الدينية الإسرائيلية والأحزاب العلمانية؟ ما سبب هذا العداء المزعوم؟.

هناك لابد من الإشارة إلى أن العداء بين جميع الأحزاب الإسرائيلية الدينية منها والعلمانية ليس ضد الحركة الصهيونية على الأقل مرحلة ما بعد إعلان تأسيس «إسرائيل» والدليل مشاركة جميع الأحزاب على تباين مواقفها في انتخابات الكنيست الأول لعام ١٩٤٩ والدليل الثاني هو حصول جميع الأحزاب على مساعدات ودعم المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية والحكومة الإسرائيلية، إضافة إلى أن جميع الأحزاب الإسرائيلية تمارس نشاطها بكفالة القانون والرأى العام الإسرائيلي وتسهم في المجهود الفكري والاستيطاني.

إن هذا العداء له جذوره اللاهوتية من ناحية اختلاف أسلوب المعالجة لمصير اليهود في الأزمات المصيرية التى واجهتهم بعد إسقاط الهيكل الأول والثاني وقيام حياة الشتات بعد سنة ٧٠ للميلاد.

و من عادة اليهود الإفادة القصوى من تجاربهم التاريخية. ولهذا نجدهم يعيشون في الماضي أكثر مما يعيش غيرهم.

فبعد تعرضهم لحياة النفي والشتات والاضطهاد بسبب استفزازهم واستغلالهم للشعوب التى عاشوا بين ظهرانيها رأى كبار الحاخامات ضرورة انسحاب اليهود من «التاريخ الحركي» و«الانكفاء والعزلة» لكي لا يتعرضوا للمذابح والاضطهاد المستمر وإلى أن يأذن «يهوه» الرب، بعودة الماشيح المخلص – أو العصر الماشيحي، إن ظهور شخصيات ادعت شخصية المخلص كثيرة في التاريخ اليهودي، وإن ظهور هؤلاء يعني إحلال الفوضى بين الجماعات اليهودية التى تجمع حولهم بحثاً عن الخلاص عن طريق المعجزة.

لقد اهتممت بكتابة هذا الكتاب حول نشأة الأحزاب السياسية الصهيونية العلمانية والدينية.

واكتشفت مدى الصراع بين هذه المكونات الفكرية والعقائدية والسياسية للأحزاب الصهيونية وخاصة الأحزاب الدينية وخاصة مع الأمة العربية بحثت كثيراً عن المراجع والبحوث التي نشرت عن هذه الأحزاب فذهلت مما قرأت عن طبيعة هذه الصراعات بين العلمانية السياسية والدينية المتطرفة والصهيونية العالمية.

بحثت عن طبيعة نشأة هذه الأحزاب ودوافعها وبرامجها فوجدت فيها قمة العنصرية والتطرف والمغالاة. تجمعت إما في الكثير من هذه المصادر من الكتب والبحوث والدراسات ولكن ما لفت نظري ثلاث مؤلفات أعتبرها من أهم ما كتب عن هذه الأحزاب العلمانية والدينية والتركيب الاجتماعي للمجتمع الإسرائيلي.

لذلك وجدت نفسي أمام حيرة على أى مصدر أعتمد وجميع المصادر تصب نحو هدف واحد هو كشف حقيقة هذه الأحزاب الإسرائيلية وشخصياتها التى جاءت من دول بعيدة إرادة وفرضت وجودها وأسست كيان على أرض عربية تم اغتصابها أمام العالم، لا بل إن العالم الذي يدعي الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان شارك في هذه الجريمة في اغتصاب أرض فلسطين وتشريد شعبها.

لذا فقد اعتمدت على ثلاثة كتب هى من أهم الكتب التى صدرت حول القوى والأحزاب الصهيونية هى (القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة للدكتور رشاد عبد الله الشامي).

وللدكتور النعماني أحمد السيد عن كتاب (التركيب الاجتماعي للمجتمع الإسرائيلي وأثره على النسق السياسي) والثالث للدكتور حسين شريف من كتاب (العهد القديم إلى قيام دولة إسرائيل).

إضافة إلى عدد من الكتب والبحوث .. وقد تقاربت وجهات النظر في كل هذه المصادر التى ذكرتها لذا كان هذا الكتاب بين يدي القارئ أو الباحث حيث جمع من عدة مصادرة ولكن جميع هذه المصادر كانت متقاربة في رواياتها وأحداثها، وبالرغم من كل ذلك كان لابد لي أن اعتمد على هذه المصادر في هذا الكتاب معتمداً عليها وإني نقلت ما جاء بها هى محاولة التبسيط للقارئ على هذه النشأة للأحزاب الإسرائيلية وأهدافها الحقيقية من هذه النشأة.

وللقارئ الرؤيا والاختيار في كل ما نشر أو كتب عن هذه الأحزاب الإسرائيلية.

نحن جميعاً نريد كشف حقيقة هذه الأحزاب والحركات العنصرية لدي المجتمع الإسرائيلي والذي برزت بشكل واضح أخيراً بالدعوة إلى «يهودية الدولة الصهيونية» والتعديات على المسجد الأقصى وتطويقه ببناء المستعمرات والحفريات من تحته. كل ذلك يحدث والعالمان العربي والإسلامي صامت لا يتحرك للدفاع عن هذه المقدسات الإسلامية. وهنا نقول من يحمي القدس.

نعود إلى قول عبد المطلب عندما قال للنجاشي : «للبيت رب يحميه» و هل نحن نقول اليوم : «للقدس رب يحميها» وأين المسلمون والعرب ؟!

د. عبد الكريم العلوجي

الفصل الأول : التعريف بنشأة الحركة الصهيونية في أوروبا

تعريف :

في عام ١٩٢٠ نشأت منظمة «الهاجاناه» وهى كبرى المنظمات الإرهابية الصهيونية المسلحة.

وفى عام ١٩٣٧ أدت التناقضات الداخلية إلى قيام منظمة «إتسل».

وفى عام ١٩٤٠ انسلخت عن «إتسل» منظمة ثالثة حملت اسم «ليحى».

وقد قامت هذه المنظمات الثلاث ونمت في ظل الاحتلال البريطاني لفلسطين، ومن داخل المستوطنات اليهودية التى عرفت باسم «الييشوف».

وتختلف تجربة هذه المنظمات عن تجارب حركات التحرر الوطني لأن الأخيرة تقود حركة التحرر من السيطرة الاستعمارية ومن نفوذها ولا تدخل في تحالف أبداً مع قوات الاحتلال، بل تعد مثل هذا العمل خيانة وطنية.

أما التنظيمات الصهيونية فقد انخرطت في علاقة تحالف مع القوات الاستعمارية، رغم قيامها أحيانا بأعمال التظاهر والضغوط السياسية والإرهابية، ليس بغرض إنهاء وجود القوات الأجنبية بل بهدف الضغط للوصول إلى درجة من التحالف، كما أن المنظمات الإرهابية الصهيونية المسلحة قامت بتغيير ولائها وارتباطها مع الاستعمار البريطاني إلى الاستعمار الأمريكي الجديد عندما تبينت أن شمس الاستعمار البريطاني أخذت في المغيب.

وقد اتخذت هذه المنظمات تكتيكات واستراتيجيات تتفق مع أهدافها، وأبرز هذه الأهداف كان تشكيل مجتمع مهاجر من مستوطنين من عنصر وديانة واحدة في الشرق الأوسط – فلسطين – استنادا إلى دعاوى تاريخية كاذبة، وأطلقوا على المشروع اسم «أرض إسرائيل» ولذلك قامت التنظيمات الإرهابية الثلاثة من داخل مجتمع المهاجرين المستوطنين، واستخدمت كافة الوسائل ومنها القوة المسلحة لتنفيذ أهدافها.

وقد تنضم هذه التجربة الصهيونية إلى أخواتها من تجارب الهجرة والاستيطان الاستعماري في الأمريكتين واستراليا ونيوزيلندا وجنوب أفريقيا، وهي تجربة ظاهرة استعمارية أوروبية تحققت عن طريق دول لها جيوش غازية دون أن يكون من أهدافها التخلص كلية من السكان الأصليين أو الاستناد إلى دعاوى تاريخية ملفقة، وإن كان هدفها السلب وتهميش دور السكان الأصليين، أما المهمة العنصرية في فلسطين فقد قام بها مجموعة من المهاجرين – المستوطنين استنادا إلى تعاون مع السلطة الاستعمارية، ليس بغرض تهميش دور السكان الأصليين بل بهدف إزاحتهم وإنهاء وجودهم في وطنهم.

وقد انتهت هذه التنظيمات الإرهابية الصهيونية بالتوحيد داخل الجيش الإسرائيلي مع قيام الدولة اليهودية.

والجدير بالذكر أن الحديث عن المنظمات الإرهابية الصهيونية المسلحة مغاير لتناول دور الأحزاب والمنظمات السياسية الصهيونية، التى قد يكون لها دور في إدارة أو تحريك المنظمات الإرهابية، إلا أن موقعها ليس هذه الدراسة.

نشأة الحركة الصهيونية في أوروبا:

عام ١٨٩٧، هو السنة التى انعقد فيها المؤتمر الصهيوني الأول، بزعامة ثيودور هرتزل، ونريد – هنا – أن نقف على دلالة هذا التاريخ من جانبين متفاعلين هما:

(أ) الحالة العامة للوضع الدولي المحيطة بهذا التاريخ، والوضع الأوروبي خصوصا.

(ب) الحالة (اليهودية) في أوروبا، إبان عقد المؤتمر، ولماذا اختار اليهود هذا التاريخ – بالذات – لعقد مؤتمرهم، وفى بازل السويسرية على وجه التحديد؟ وما هى الأحداث المرتبطة باليهود ، التى هيأت الأجواء لنجاح المؤتمر؟

بالنسبة إلى التساؤل الأول سنستعرض الوضع الدولى الأوروبي، كما تناوله المؤرخ البريطاني (أرنولد توينبي) بالقول : (في سنة ١٨٩٧، احتفل باليوبيل الماسي لاعتلاء الملكة فكتوريا، عرش بريطانيا.. فبين سنتى الاعتلاء – ١٨٩٧/١٨٣٩ – أتم الغرب توطيد سيطرته على بقية أنحاء العالم، وقد كان ذلك إتماماً لمسيرة قد بدأت قبل سنة ١٨٩٧ بأربعمائة سنة، لما عبر كولمبوس المحيط الأطلسي، وغادر فاسكودي غاما البرتغال ودار حول رأس الرجاء الصالح، ووصل إلى الهند.. وفى سنة ١٨٩٧ كانت ست من الدول السبع الكبرى آنذاك دولا غربية، وكانت الدولة السابعة، هى روسيا. وهكذا فإن ترسيخ السيطرة الغربية .. ظهر وكأنه أمر كتب له البقاء، فقد بدأ العالم في سنة ١٨٩٧، كأنه قد قبل أن يكون تصريف أموره في يد الغرب، ومن الواضح أن التاريخ بلغ نهاية مطافه في قيام الوحدة السياسية في كل من إيطاليا وألمانيا سنة ١٨٧١.. وعلى ذلك فإن سنة ١٨٩٧ بدت وكأنها نقطة تاريخية يتخذها الملاحظ منطلقا لإلقاء نظرة خلفية على المسيرة التاريخية، ولتفحصها تفحصًا وئيداً وكلياً من نقطة من الزمن، كان فيها الملاحظ نفسه قد خرج من تخبطه في التغير الدائم للتاريخ).

وأما بالنسبة إلى التساؤل الثاني، فسنتناوله من خلال أبرز الأحداث اليهودية التى مهدت لتبلور الصهيونية، وانتقالها من مرحلة (الفكرة العامة)، إلى مرحلة (الحركة الخاصة) وهى على التوالى (الإرهاب المنظم لعام ١٨٨١/١٨٨٢)، قضية دريفوس لسنة ١٨٩١، صدور كتاب هرتزل المعروف بالدولة اليهودية، وأحيانا يسمى – دولة اليهود – على ١٨٩٦. كل ذلك وسط النقيضين، الحركة الإصلاحية وما دعت إليه من اندماج اليهود في المجتمعات التى يقيمون فيها، والاتجاه الرافض لمبدأ الاندماج، والداعى إلى الانعزال والانفصال عن الغير.

أولاً : الإرهاب المنظم لعام ١٨٨١/ ١٨٨٢:

شهدت روسيا القيصرية أثناء الفترة (١٨٨١/١٨٨٢) أحداثاً ساخنة، كان لليهود فيها نصيب، ففى سنة ١٨٨١، جرت محاولة لاغتيال قيصر روسيا (الإسكندر الثاني) في آذار من ذلك العام، وقد اتهم اليهود بأنهم كانوا وراء هذه المحاولة الناجحة. وقد أصبح الوضع العام في روسيا متوترا، فقامت السلطات الروسية بحملة مضادة لليهود، فأصدرت هذه السلطات، بعد مراجعة لشئون – اليهود في البلاد الروسية – ما عرف (بقوانين مايو)، لأنها صدرت في يوم ٣ آيار/مايو ١٨٨٢ ونصت على الآتي:

(أ) غير مسموح لأى يهودي بالاستيطان في المناطق الريفية في روسيا، ولا حتى داخل (مناطق الاستيطان).

(ب) من حق السكان الروس في القرى طرد اليهود من قراهم، بقرار خاص من رئيس القرية.

(ج) أى يهودي يغادر قريته لا يسمح له بالعودة إليها ثانية.

(د) لا تجديد لعقود الإيجار المبرمة مع اليهود.

(هـ) غير مسموح بتشغيل أى يهودي في المناطق الريفية.

(و) غير مسموح لليهود المقيمين في المناطق الريفية باستجلاب أى قريب لهم.

(ز) تحديد الطلاب اليهود في المدارس الإعدادية وفى الجامعات وفى ما يحدده المجلس التعليمي الروسي.

(ح) تخفيض نسبة عضوية القضاة اليهود من ٢٢% إلى ٩% في روسيا.

(ط) أى يهودي يعيش داخل روسيا – أى خارج منطقة الاستيطان – يقوم بتوسيع مجال نشاطه الاقتصادي، يعاد إلى منطقة الاستيطان فوراً.

(ك) إغلاق معبد موسكو، وتحريم استخدامه.

ثمة علاقة لقوانين مايو، لأن معظم المؤرخين، بما فيهم اليهود، يعدون هذه القوانين ، الدافع الأول لهجرة يهود روسيا إلى فلسطين، بما يتطابق مع أهداف (الفكرة والحركة) الصهيونية أساساً، على الرغم من أن عناصر الهجرة الروسية كانوا أكثر قربا للتربية الدينية منهم إلى الفكر السياسي.

وهكذا تم تكوين منظمتين إر هابيتين – استيطانيتين، قبيل تأسيس الحركة الصهيونية هما:

(أ) البيلو :

وهى منظمة تم تشكيلها من قبل الشباب الروسي اليهودي في منطقة (خاراكوف)، بعد مذابح عام ١٨٨١، وقد دعت هذه المنظمة إلى برنامج مقتضب لكنه يحقق منجزات سياسية بالنتيجة، ومما دعت إليه هذه المنظمة، تعزيز الوعي القومي اليهودي – الهجرة إلى فلسطين – التركيز على العمل الزراعي.

(ب) أحباء صهيون:

تأسست هذه المنظمة على يد الحاخام صموئيل موهليفر عام ١٨٨٢، في روسيا نفسها، وبعد ذلك انتشرت عبر فروع لها في عموم دول أوروبا، وسعت هذه المنظمة إلى الآتى:

١- استعمار فلسطين ، على يد الشباب اليهود.
٢- اعتبار اللغة العبرية، اللغة القومية لليهود، ونشر الفكر القومي.
٣- رفع المستوى الحضاري لليهود.

ثانياً : قضية دريفوس:

وهي قضية محاكمة الضابط الفرنسي، اليهودي الديانة (ألفريد دريفوس)، عام ١٨٩١، بتهمة الخيانة العظمى، بعد خسارة الجيش الفرنسي أمام الجيش الألماني، وقد تم تجريد دريفوس من رتبته وإحالته إلى محكمة عسكرية، قررت نفيه إلى إحدى الجزر على ساحل أفريقيا. فى عام ١٨٩٦، اكتشف الجنرال الفرنسي (جورج بيكار)، أدلة تثبت براءة (دريفوس). وقد حدثت تطورات وفضائح عديدة بشأن القضية، حتى تم إعادة محاكمة الضابط اليهودي، وبراءته من التهمة التى وجهت إليه أصلاً، مع منحه وسام شرف. أثارت هذه القضية الرأى العام الفرنسي والأوروبي – آنذاك – وكان (هرتزل) أحد الصحفيين المتابعين للمحاكمات، فأثرت فيه الأحداث، وعدها إساءة مقصودة مضادة لليهود، مثيرا (اللاسامية) واضطهاد اليهود فى المجتمعات الأوروبية.

وقد ألهمت قضية ألفريد دريفوس (١٨٥٩ – ١٩٣٥)، ثيودور هرتزل، ودفعته لكتابة مؤلفه الشهير (الدولة اليهودية) والذى نشره، فى سنة انتهاء المحاكمة وبراءة دريفوس، أى عام ١٨٩٦.

ثالثاً : كتاب الدولة اليهودية :

كما نشر هرتزل كتابه الدولة اليهودية عام ١٨٩٦.

افتتحه هرتزل بمقدمة قال فيها : (الفكرة التى عالجتها فى هذا الكتيب، هى فكرة قديمة تتعلق ببعث الدولة اليهودية، إن الذى بعث هذه الفكرة النائمة إلى الحياة، هو العالم الذى تألب ضد اليهود). وختمه بقوله :

(أنا أعتقد أن نسلا يهوديًا عظيماً سينبع من الأرض، سيبعث المكابيون ثانية .. وأن اليهود الذين يريدون دولة هم الذين سيحققونها).

وهكذا نجد أن تعدد صور الوعى اليهودي وأشكاله فى العصر الحديث القائمة على سمات الفكر الديني القديم، يعطينا الدليل على تنامي الرغبة فى نقل هذا الوعى إلى مرحلة التنظيم السياسي بدلا من (الوهم) وبما يتناسب ويتلاءم مع التطورات الحضارية العالمية التى صاحبت الثورة الصناعية من جهة ودفعت بدول أوروبا القومية إلى الاستعمار الواسع النطاق فى خارج القارة الأوروبية، من جهة أخرى.

لذا كان استمرار الدور اليهودي مرتبطا بعاملين متداخلين تاريخي ودينى:

١- تركيبة الطقوس والتقاليد الدينية المنظمة للفرد والجماعة اليهودية، القائمة على التربية التضامنية، وخصوصا إبان مرحلة (الكيتو).

٢- طبيعة العمل والنشاط الاقتصادي الذي مارسه اليهود، واشتهروا به بين الشعوب والأمم.

ومن تلاقي الظروف الذاتية اليهودية، والظروف الموضوعية الأوروبية، مع الوعي السياسي والقومي والحضاري الجديد، تشكلت الأرضية الخصبة لظهور تنظيم الحركة الصهيونية، من خلال مؤتمرها الأول في مدينة بازل السويسرية عام ١٨٩٧.

ومن أجل توضيح حقيقة، هل (الصهيونية) حركة سياسية أم حركة علمانية؟ وما دلالة المفهوم العلماني في هذا المجال؟ وفى ضوء ذلك، لا بد من تناول ثلاثة جوانب متداخلة هى :

شخصية ثيودور هرتزل، والمفهوم الصهيوني للديانة اليهودية ثم ملامح المؤتمر الصهيوني الأول لعام ١٨٩٧ . ثم مرحلة ما بعد – هرتزل – حتى تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧.

(أ) شخصية هرتزل والمفهوم الصهيوني للديانة اليهودية:

ظهر هرتزل في ظروف وتطورات مركبة ومعقدة، تداخلت فيها المعالم السياسية التى رافقت الثورة الفرنسية و حروب نابليون، واستقرار عصر القوميات مع تكامل و حدتى ألمانيا وإيطاليا، وتنامى الدوافع الاستعمارية خارج أوروبا.

وتشكل المعالم الاجتماعية تحت دواعى حقوق الإنسان والدستور، والحركات الشعبية المؤمنة بحق الفرد وحريته، والمعالم الصناعية والاقتصادية التى قبلت المفاهيم القديمة في عالم التجارة والعمل والعلاقة بين الفرد والمجتمع، وفيما بين الدول نفسها، وتبلورت تطورات نوعية وكمية جديدة، فرسمت بذلك معالم العالم الحديث المختلف في كل مفاهيمه السياسية الاجتماعية والفكرية والاقتصادية، الفردية منها والجماعية عن العصور السابقة.

وتأسيساً على ذلك، اختلفت لغة الخطاب والتعامل السياسي عما كان عليه الحال قبل هذه التطورات الشاملة، ومن هنا نرى أن هرتزل استطاع فهم هذه التطورات والمتغيرات العميقة، وعرف أية لغة مناسبة يتحدث بها مع المعنيين في دول أوروبا الكبرى آنذاك. ومن هذه المفردات الجديدة التى ركز عليها وبها استطاع استمالة رجالات السياسة والفكر ما يأتى:

أولاً : الحديث عن الحضارة وإمكانية استثمار الطاقات والعبقرية اليهودية لخدمة الحضارة الأوروبية المسيحية.

ثانياً : طرح المعتقدات الدينية المشتركة في العهدين، القديم والجديد.

لا شك أن الحركة الصهيونية (هى نبت الحضارة الغربية، في محاولة لخلق الشبه بالمجتمع الأوروبي من منطلق مفاهيم حضارة عصر النهضة، الصهيونية بهذا المعنى ترفض الحضارة لأنها تستمد مفاهيمها من الأصول الدينية). وهكذا أخذ هرتزل توظيف هذه الرؤية وخصوصا ما جاء حول النبوءات والرؤية الألفية وظهور المسيح المنتظر.

إن البعد الدولي لنجاح (الصهيونية)، دفع بمؤسسها إلى الإيحاء للعالم المسيحي – الأوروبي بأن الفكرة الصهيونية هى (وجه من أوجه الفكرين، اليهودي والمسيحي)، ولم يتوان هرتزل من خلال خطابه السياسي عن تشبيه الصهيونية – أمام أتباع لوثر – بالبروتستانتية، وعلى العكس كانت أطروحاته أمام الفاتيكان، عند زيارته للبابا في كانون الثاني/يناير ١٩٠٤، تتناول العلاقة الأصلية بين العهد القديم والعهد الجديد، والرؤية المشتركة للكون والحياة والإنسان، ولا ريب أنه كان على بينة من أمرين مشتركين:

١- إن اليهودية والهيلينية الإغريقية الفكرية قد اندمجا في الإمبراطورية الرومانية، التى كانت الرحم السياسي للمسيحية.

٢- إن تاريخ اليهود، (كان مقدمة لتاريخ المسيحية، كاثوليكية وبروتستانتية على السواء).

وهكذا فإن استيعاب هرتزل للتاريخ والعقيدة اليهودية، ساعد على نجاح نظريته الصهيونية وخلق التعاطف معها عند الأوروبيين قبل اليهود أنفسهم.

ومن جانب آخر استطاع إيجاد المرونة العملية ليجعل من مفاهيم الاتجاهات اليهودية الحديثة، وجهات نظر تلائم مختلف زوايا الرؤية الصهيونية، فكانت (ثوابت اليهودية) هى جوهر الصهيونية، و(المتغيرات الزمنية) هى مظهرها، الذي به حقق النجاح، ونقل بذلك – اليهودية – من مرحلة (الكيتو) إلى العالمية فالصهيونية – بفضل هرتزل – كسرت الأسوار الخارجية للكيتو المغلق، وأخرجت اليهودية (المتخلفة) من عزلتها الطويلة بصيغة حضارية أمام العالم، وبذلك ألغت تدريجيا صورة المرابي (شايلوك/شكسبير)، لتقدم للناس بدلا عنه، نموذج أمليونير اليهودي (روتشيلد)، كما ألغت صورة اليهودي الذليل المقهور الغادر الخبيث، وقدمت بدلا منه نماذج من العبقرية اليهودية ممثلة الطبيعة التطورية (دارون) وفيلسوف الاقتصاد (ماركس)، وبالشاعر والكاتب (كافكا)، وبعالم الفيزياء (أنشتاين).

وبذلك نجح هرتزل في إطار استيعابه الفكري لليهودية من تحويل الصهيونية إلى حركة انبعاثية، سعت بقوة إلى إخراج الشخصية اليهودية من ضيق الكيتو النفسي والجغرافي، إلى رحاب الدولة والوطن والعالمية، ومن هنا جاءت مقولة هرتزل في خطابه الذي ألقاه في افتتاح المؤتمر الصهيوني الأول (إن الصهيونية هى العودة إلى الطبيعة اليهودية قبل أن تصبح عودة إلى الأرض اليهودية).

وبذلك نرى أن الحركة الصهيونية هى نقيض أسوار الكيتو من جهة، ورافضة للاندماج من جهة أخرى، وتسعى إلى شق طريق خاصة بها عبر الرؤية الملائمة لظروف التاريخ والجغرافية والسياسة والقوة، دون إلغاء للأصل اليهودي، بكل تراثه وتقاليده التوراتية والتلمودية، ما عدا لفترات معينة ولأغراض مؤقتة، تظهر السياسة للتعامل والتفاعل الدولي، وتخفى الدين، عن غير اليهود لذا فقد نجحت الصهيونية بأن تكون مرحلة تكييف انتقالى لليهود في الشتات قبل تهجيرهم إلى فلسطين، لاستيعابهم واستيطانهم في إسرائيل.

وهكذا رسمت الصهيونية، بشكل مبكر، معالم التكامل للشخصية الجديدة وركائز للفرد – الدولة بالشكل الآتي :

أولاً : الديانة الأممية = الشخصية اليهودية ، مرحلة ما قبل هرتزل.

ثانياً : النهضة القومية = الشخصية الصهيونية، مرحلة هرتزل .

ثالثاً : الهوية الوطنية = الشخصية الإسرائيلية، مرحلة ما بعد هرتزل.

وقد حققت الصهيونية هذا النمط من الشخصيات، وأنماطا أخرى في المراحل اللاحقة.

(ب) ملامح المؤتمر الصهيوني الأول لعام ١٨٩٧ :

نرى – هنا – استعراض جميع التيارات الصهيونية، التى سبقت المؤتمر الصهيوني أو تلك التى أعقبته نتيجة للتطورات المرتبطة بقراراته.

وهى – في تقديرنا – على ثلاثة مستويات:

أولاً : صهيونية الأصل ونعنى بها جميع التيارات الصهيونية التى عاصرت (هرتزل)، واشترك ممثلون عنها في المؤتمر الصهيوني الأول، وتشمل الآتي:

١- الصهيونية الروحية، وتسمى أيضاً بالدينية، وأبرز مفكريها الحاخامات. (هيرش كاليشر، وصموئيل موهيليفر، ويعقوب راينس، وإسحاق كوك وصموئيل لانداو وبار إيلان). ويري هؤلاء أن اليهودية أفضل الأمم (لأن الله هو الذي أسسها بنفسه)، ويرون وحدة اليهود بالتوراة، ومن هنا كانت حركة مزراحى، المعبرة عن هذا التيار. (أرض إسرائيل، لشعب إسرائيل، حسب توراة إسرائيل)، وكذلك جاء شعار حزب (المفدال)، فيما بعد، (التوراة والعمل)، تلخيصا لهذه المقولة الأصولية وضمن هذا النطاق أيضاً، كانت حركة إغودات إسرائيل الحزبية المتطرفة، والتى يمثلها هيرش كاليشر، والقائلة بالأمة اليهودية والخلاص والماشيح المنتظر.

٢- لقد أصبحت حركة مزراحى، حركة حزبية داخل إسرائيل، وشكلت حزبا آخر تابعا هو هابوعيل همزراحى، فيما أصبحت حركة إغودات إسرائيل حركة حزبية أكثر تطرفا من سابقتها، وأسست داخل إسرائيل حزبًا تابعاً، هوبوعالى إغودات إسرائيل.

إن أحزاب الصهيونية السياسية – الدينية، ولدت مع مرحلة هرتزل.

٣- الصهيونية الثقافية، ترى هذه الصهيونية، أن اليهود بحاجة إلى الإحساس بالوحدة والترابط من خلال تمسكهم بالقيم والتقاليد الثقافية الدينية، وأن المطلوب لذلك (دولة صهيون)، تكون بمثابة المركز الروحى لليهودية، ومن أهم مفكري هذا التيار الصهيوني، (أحاد هعام).

٤- الصهيونية الإقليمية، لا يختلف أتباع هذه الصهيونية عن بقية الصهاينة، سوى بجغرافية (الوطن اليهودي)، فهم يرون إمكانية إقامة وطن لليهود خارج فلسطين، ومن هنا تبنوا المشروع البريطاني في شرق أفريقيا، والمعروف بإقليم أوغندا وموزمبيق، لإقامة هذا الوطن تمشيا مع المصالح الاستعمارية، وأبرز مفكرى هذه الصهيونية، الكاتب اليهودي – الإنكليزي (إسرائيل زانجويل)، وهو صديق شخصي لهرتزل، كتب زانجويل عدة روايات مضادة لحياة الكيتو ومن أفكاره أن: (الدين المقبل سيكون مزيجا من اليهودية والمسيحية، ومجسدا في الحضارتين العبرية والمسيحية)، إضافة إلى المفكر لازار ربرنار.

٥- الصهيونية السياسية، وتسمى بصهيونية هرتزل، والتى تؤمن بأن المسألة اليهودية هى مشكلة الفائض السكاني اليهودي غير القادر على الاندماج وترى أن مع أداة السامية مرض خبيث لا شفاء للمجتمعات الغربية منه، ولا يمكن حل هذه المسألة إلا بأن يصبح اليهود شعبا وقومية، ولن يتأتى هذا إلا عن طريق تهجير اليهود إلى فلسطين ومن أبرز مفكري هذا التيار الصهيوني القوى إضافة لهرتزل كل من (بنسكروليلينبلوم وكلاتزكين ونوردو)، الذي هاجم بقية التيارات الصهيونية، وهكذا ترى هذه الصهيونية، أن أهدافها لن تتحقق إلا بالبحث العلني مع الدوائر السياسية المعنية، وليس بالطرق الخفية لعمليات الاستيطان ومن أبرز وأهم إنجازاتها : عقد المؤتمر الصهيوني الأول.

(ج) صهيونية هرتزل والمؤتمر الصهيوني الأول :

تطبيقا لمساعي الصهيونية السياسية، عقد المؤتمر الصهيوني الأول لعموم اليهود في العالم، ومن كل الاتجاهات، وتم ذلك في مدينة بازل (بال)، السويسرية للفترة من (٨/٢٩ ولغاية ٨/٣١) من عام ١٨٩٧ للميلاد، وحضره نحو مائتين من المفكرين والحاخامات ورجال المال والأدباء والسياسيين اليهود. وقد استعرض المؤتمر، الوضع العام لليهود في العالم، والعلاقة مع القوى الدولية الكبري – آنذاك – ومستقبل العمل الصهيوني.

سبق انعقاد المؤتمر بيومين (اجتماع تمهيدي نوقشت فيه القرارات التى ستحكم أعمال المؤتمر، كما جرى، وضع جدول يحدد المواضيع التي سيبحثها هذا المؤتمر – وإلى جانب ذلك تآلفت لجنة خاصة تولت مهمة صياغة البرنامج الصهيوني المقبل). وقد كان أعضاء المؤتمر يمثلون (وجوه اليهود) في العالم بدون انتخاب يخولهم هذا الحضور، ثم قام (الدكتور ماركس ليبي بافتتاح أعمال المؤتمر، ثم تليت صلاة خاصة، ألقى بعده ثيودور هرتزل خطاب الافتتاح..).

ومما جاء في (افتتاحية) هذا الخطاب:

(أعزائي المندوبين، لقد منحت الشرف، بصفتى أحد الداعين إلى هذا المؤتمر، لأن أرحب بكم جميعا – سأقوم بهذا الترحيب باختصار لأنه إذا أردنا تحقيق الهدف يجب علينا أن نقتصد بلحظات المؤتمر الثمينة ، لدينا الكثير لتحقيقه في ظرف ثلاثة أيام، نريد وضع أساس الصرح الذي سيسكن فيه الشعب اليهودي يوما ما).

لقد خرج المؤتمر – بعد ثلاثة أيام من الاجتماعات – ووفق رؤية هرتزل ببرنامج ثلاثى (استراتيجي) يعتمد المحاور الآتية:

أولاً : تبني فكرة الاستعمار اليهودي الواسع والمنظم لعموم فلسطين من خلال الهجرة.

ثانياً : تشكيل منظمة دائمة تعمل على توحيد جميع جهود اليهود، وفق رؤية – الحركة الصهيونية، وتنمية (الحس والوعي القومى اليهودي، وتعزيزهما).

ثالثاً : السعى للحصول على حق قانوني دولي يعترف فيه شرعيًّا بحق الاستعمار اليهودي لفلسطين.

وهكذا كلل مؤتمر بال بالنجاح، بعد أن تمكن من جمع التناقضات، الطموحات ووجهات النظر المتباينة بين مفكرى اليهود، وأصبحت الحركة الصهيونية هى الإطار العام لجميع هذه التيارات والاتجاهات اليهودية، وبذلك أيضاً استطاعت الحركة الصهيونية أن تفرض وجهة نظرها (السياسية والعملية) تمشيا مع عصر القوميات في أوروبا، وكان هذا من أهم أسباب نجاحها واتساعها بين صفوف اليهود من غير الصهاينة آنذاك، وتقبلها لدى الساسة الأوروبيين، ممثلة لعموم اليهود.

وإذا أردنا تقييماً – عاجلاً – لفاعلية المحاور الثلاثة – أعلاه – لتوصلنا إلى الآتى:

(أ) منذ انتهاء أعمال المؤتمر في ٣١ أب ١٨٩٧، وحتى قيام الحرب العالمية الأولى لعام ١٩١٤، نجحت الحركة الصهيونية، من خلال المنظمة الصهيونية العالمية بتهجير أكثر من ستين ألف يهودي، أقاموا في أكثر من خمسين مستعمرة في فلسطين تنفيذا لما جاء في «أولاً».

(ب) وبشأن (ثانياً) فإن إيجاد المنظمة الصهيونية، ثم الدور الذي قامت به على المستوى السياسي، جعلها فعليًّا بمثابة (حكومة) قبل قيام الدولة اليهودية في فلسطين بخمسين عاما – وعلى الرغم من وجود خلافات في الرأي في داخل صفوف الحركة الصهيونية، فقد كانت هناك قيادة توجه الحركة نحو تحقيق الغايات.

(ج) وأما بشأن ما جاء في (ثالثاً)، فقد بذلت المنظمة الصهيونية، وخصوصاً ثيودور هرتزل، جهوداً غير اعتيادية في هذا الاتجاه، سواء مع الدولة العثمانية أو مع حكومات ألمانيا – بريطانيا – إيطاليا والفاتيكان – رومانيا – النمسا)، ولكن تتويج هذه الجهود وغيرها لم يتم إلا بعد وفاة هرتزل، وسعي حاييم وآيزمن خليفة هرتزل، لاستصدار وعد بلفور عام ١٩١٧، لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يضمنه القانون العام.

وطوال عهد هرتزل، كان عنصر الموازنة بين الواقع والتطورات هو الأساس الذي اعتمده ضمن الأولويات السياسية، كالآتى:

١- كسب الجماعات اليهودية إلى الحركة الصهيونية من دون التدخل في خصوصياتها.

٢- كسب الرأي العام الأوروبي لصالح مطالب الحركة الصهيونية.

وهكذا نجح هرتزل في قيادة الحركة الصهيونية، حتى تاريخ وفاته سنة ١٩٠٤.

لم تكن الحركة الصهيونية (إطاراً محكماً) لجميع التيارات اليهودية، بقدر ما كانت (الإطار التنظيمي) للحركة اليهودية السياسية، وقد ظهرت بوادر هذا التباين في حياة هرتزل نفسه، من خلال موافقته في سنة ١٩٢٠، على إنشاء حركة صهيونية (دينية) بحتة على يد الحاخام يعقوب راينز، أحد المشاركين في المؤتمر الصهيوني الأول، ثم تعددت الحركات والتيارات الصهيونية الأخرى في أعقاب وفاة هرتزل، وهى ما اصطلحنا على تسميته – هنا – بصهيونية (الظل) وصهيونية (الخارج) المرتبطتين بصهيونية (الأصل) السابقة التناول.

ثانياً : صهيونية الظل، مصطلح قُصد به جميع الحركات الصهيونية المتكونة بعد المؤتمر الصهيوني الأول (صهيونية الأصل)، أو بعد وفاة هرتزل، والتى عبرت عن وجهات – نظر جديدة – في التعامل الصهيوني مع المشكلة اليهودية، أو مع أحد جوانبها الأساسية، بشكل معتدل أو متطرف وتشمل هذه الصهيونية الآتي:

١- الصهيونية التنقيحية، وهى لا تختلف عن صهيونية هرتزل بشأن معاداة السامية، وفشل اندماج اليهود في المجتمعات الأوروبية ويرى التنقيحيون أن اليهودية تراث تاريخي، مع إيمانهم بالجانب القومي المتطرف حتى يصبح اليهود قومية مثل بقية القوميات، ولكن منظورهم القومي هذا لا توجد فيه (طبقات)، ومن أبرز مفكريهم : ماكس نوردا وفلاديمير جابوتنسكي، الذي يؤمن بضرورة التعاون المباشر مع القوى الإمبريالية والفاشية، وبالذات في الجوانب العسكرية، وتسمى هذه الصهيونية أيضاً، (بالصهيونية المراجعة) وتشكل هذه الصهيونية (الأساس) لأحزاب اليمين الصهيوني مثل حزب (حيروت) الذي يشكل المحور في (الليكود – أى التكتل) في (إسرائيل)، ومنظمته العالمية (حيروت هاتزو هار)، ومن أبرز تلاميذ هذه الصهيونية، (مناحيم بيغن أحد رؤساء الوزراء السابقين وإسحاق شامير رئيس وزراء سابق).

٢- الصهيونية الراديكالية، نشأت هذه الصهيونية في سنة ١٩٢٣، كنوع من الاحتجاج على مهادنة حاييم وايزمن من الحكومة البريطانية، ومرونته في مطالب اليهود في فلسطين (التاريخية)، وفى عام ١٩٣٠، انقسم الراديكاليون على أنفسهم وشكلوا اتحادًا متطرفًا خاصًّا بهم.

٣- الصهيونية العمومية، نشأت هذه الصهيونية بعد العام ١٩٠٣، وهى نزعة اليهود الذين لم ينتموا إلى حزب محدد بل ظلوا مرتبطين بالمنظمة الصهيونية بدون (أحزاب) وهم من المؤمنين ببرنامج بازل للعام ١٨٩٧، وباستعمار – فلسطين عن طريق المهاجرين من دون الاستغناء عن اتباع الأساليب السياسية لتحقيق أغراضهم، وهم على نوعين :

(أ) البرجوازيين المهاجرين من ألمانيا ورومانيا، وأكثرهم من أصحاب المؤهلات الثقافية والمالية.

(ب) الأقل ثقافة وإمكانية مالية، على الرغم من أنهم ينتمون إلى المناطق الجغرافية نفسها، للمجموعة الأولى، وهم من المناهضين للهستدروت، ومن أشهر مفكريهم السياسيين: حاييم وايزمن وناحوم غولدمان.

٤- الصهيونية العمالية، وتسمى أيضاً بالصهيونية الاشتراكية، وهى ترى أن المسألة اليهودية تتلخص في أن التركيب الاجتماعي والحضاري لليهود يختلف عما لدى الشعوب الأخرى، وقد نتج عن هذا الوضع أمران هما:

(أ) أن كل الطبقات اليهودية في المجتمع كانت تشكل وحدة متميزة، ولكنها مرفوضة ومهمشة عن بقية طبقات المجتمع العام (اللاسامية).

(ب) إن فقدان اليهودي لعلاقته بالأرض وعدم القيام بعمل منتج أدى إلى ذبول الشخصية اليهودية عبر التاريخ ومن أجل ذلك ترى هذه الصهيونية، حلولا متعددة من أهمها:

أولاً : الحل الاندماجى الاشتراكي الرافض للقومية.

ثانياً : الحل القومي الاشتراكي في الشتات، وبما يناسب كل مجتمع، وكما كان يدعو إليه حزب البوند.

ثالثاً : الحل وفق رؤية الصهيونية العمالية، التى ترى أنه لا حل لمشكلة اليهود، إلا عن طريق استيطانهم فلسطين، وإقامة دولة صهيونية – عمالية لهم. ومن أبرز أحزاب هذه الصهيونية: العمل (المابای)، والمابام وأحزاب عمالية أخرى اجتمعت في (المعراخ).

ثالثاً : صهيونية الخارج، أو الصهيونية غير المباشرة، وتشمل الآتى :

١ – صهيونية الدياسبورا، أى الشتات، وقد ظهرت هذه الصهيونية، وكرد فعل، على صهيونية هرتزل، في سنة انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول (١٨٩٧).

وعلى الرغم من محاولة هذه الصهيونية، المزاوجة بين العقيدة الصهيونية وبين الأيديولوجية السياسية السائدة في المجتمعات الرأسمالية الغربية، لدول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، فإنها تؤمن أيضاً (بالاندماج الخلاق)، الذي يحافظ على الذات اليهودية ضمن النسق الاجتماعى الموجودة فيه، بشكل عقلانى، ومن هنا لا ترى هذه الصهيونية في (معاداة السامية) موقفا غير قابل للحل، أو غير قابل للشفاء، كما ترى صهيونية هرتزل، وإنما ظاهرة، اجتماعية اعتيادية تختلف حدتها حسب الزمان والمكان، لذا فإن وجود صهاينة الدياسبورا خارج (أرض الميعاد) لا يستوجب عودتهم إليها، بل إن وجودهم في (المنفى) ضرورة لا تقل أهمية عن وجودهم داخل فلسطين نفسها.

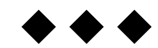
ومن أشهر مفكرى وزعماء هذه الصهيونية: الحاخام أباهليل سلفر الأمريكي الجنسية.

٢ – الصهيونية المسيحية، و هى صهيونية العديد من مفكرى وسياسي الدول – الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية، ويمكننا تحديد بداية هذه الصهيونية منذ عهد نابليون في فرنسا وإصداره عام ١٨٠٨ (التنظيمات العضوية للديانة الموسوية)، مما جعل من اليهود كياناً رسميًّا داخل الدولة الفرنسية، أما في بريطانيا فقد بدأت مع عهد كرومويل (١٥٩٩ – ١٦٥٨)، وكان الأخير يرى أنه (بحلول العام الألفى سيعود اليهود إلى فلسطين)، من هنا كانت الصهيونية المسيحية، سواء في عهد هرتزل أو من بعده، من أهم القوى في توفير الدعم المالى والسياسي الدولي للحركة الصهيونية، وكان تصريح بلفور، لعام ١٩١٧، وقرار التقسيم لسنة ١٩٤٧، من بين أبرز إنجازات هذه الصهيونية.

٣ – الصهيونية الشرقية مصطلح جديد، لنشير به إلى وصف النمط الصهيوني – غير المباشر – والذى تبلور لدعم الحركة الصهيونية (وإسرائيل)، بتعاطف سياسي – إعلامى واع، في الأقطار والدول (الشرقية) في آسيا وأفريقيا، وخصوصاً في المنطقة العربية والإسلامية، بعد عام ١٩٧٣، إضافة إلى المتعاونين العرب في فلسطين، وتتشابه هذه الصهيونية مع الصهيونية المسيحية، في معامل (النخبة) – السياسية والفكرية والإعلامية والاقتصادية مع المنهج الصهيوني – الإسرائيلي – متجاوزين مسألة (الاعتراف) بشرعية أو عدم شرعية إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين، إلى (التعامل) مع البنى التحتية للتجربة الإسرائيلية في مختلف المجالات، الاستثمارية، الإنتاجية، والمخابراتية، الأمنية.

مما سبق يمكن القول، أن الحركة الصهيونية التى تبدو سياسية – علمانية، ديمقراطية – ليبرالية، إنما هى حركة دينية – عنصرية، خاصة، فاليهودية والصهيونية وجهان لعملة (إسرائيلية) واحدة، وجه لليهود لا خلاف عليه، ووجه (للأغيار) لقبوله حضارياً في التعامل والتفاعل والعلاقات والحوار الدائم.

فلو لم تكن الحركة الصهيونية، حركة دينية، أو في الأقل ذات أسس دينية لما استطاعت (احتواء) الشخصية اليهودية ذات الأبعاد الغيبية المعقدة، ولما استمرت الحركة الصهيونية، بالمحصلة، محتفظة ببريقها وجاذبيتها (الخلاصية) طوال هذه المدة، من عام ١٨٩٧، وحتى الآن وهو ما أكده هرتزل بنفسه : (إن الشعور الديني هو مصدر الصهيونية، والحافز لقيامها وهذا الشعور ناجم من التقاليد والمعتقدات الدينية على أقدم الذكريات التى نشأت فيها حياة اليهود الأولى).



تطور الأحزاب الدينية الإسرائيلية في فلسطين

شكلت الحركة الصهيونية المركزية نقلة نوعية على المستويين الفكرى والسياسي لعموم اليهود في خارج وداخل فلسطين، لكنها من جانب آخر، لم تستطع استيعاب (جميع وجهات النظر) اليهودية، وتأسيساً على ذلك حدث – وهرتزل ما زال على قيد الحياة – ما يمكننا تسميته بصراع ما وراء (الكواليس والأروقة) من أجل (فك التداخل) فيما بين أجنحة الحركة نفسها، ومن هنا بدأت الدعوة إلى إنشاء المنظمات والأحزاب الدينية، لتعبر عن جوهر اليهودية الأكثر تطرفاً، بعد مزجه بالسياسة لأغراض العمل والتعامل – وهكذا بعد وفاة هرتزل، تبلورت الصهيونية حركة سياسية-دينية وليست سياسية فقط، كما حاول بعضهم التأكيد عليه لاعتبارات أيديولوجية. صحيح أن هرتزل أرادها (دولة يهودية) وليس وطنا مقدساً قائماً على الثيوقراطية الدينية البحتة، لكن فكرة الوطن اليهودي المقدس، انتصرت أخيراً، على فكرة الدولة المجردة، وكان هذا مع تنامى وتطور الأحزاب الدينية الصهيونية في (إسرائيل)، طوال الفترة ما بين عامى (١٩٧٧/١٩٤٧) وهى الفترة نفسها التى حكم فيها (حزب العمل) بشكل مستمر.

الصهيونية – إسرائيل والأحزاب الدينية:

إذا ما أردت تلخيص معنى مؤتمر بال .

أقول: فى بال أقيمت الدولة اليهودية، (وإذا ما قلت هذا القول اليوم بصوت عال فسأقابل بسخرية العالم.. لكن.. وبالتأكيد بعد خمسين عاماً، سيرى الدولة كل إنسان)، هذا ما كتبه مؤسس الصهيونية، (ثيودور هرتزل)، لذا يمكننا القول أن إنشاء دولة (إسرائيل) قد مر بمرحلتين أساسيتين هما:

١- المرحلة السويسرية، وإنشاء (الدولة السياسية – النظرية) من قبل قيادة فكرية بزعامة ثيودور هرتزل فى بال عام ١٨٩٧/١٨٩٧.

٢- المرحلة الفلسطينية وإعلان إنشاء (الدولة السياسية – العملية)، من قبل قيادة حزبية بزعامة ديفيد بن غوربون، فى القدس عام ١٩٤٨/١٨٤٧.

وفى كلتا الحالتين نجد أن هناك (قيادة) ظلت إلى جانب الزعامة – الواجهة، هى التى تعاون الزعيم على محاكاة (الرؤية – التاريخية) للتجربة اليهودية.

ففى المرحلة السويسرية الأولى كان المفكرون اليهود والحاخامات قد شكلوا (قيادة الظل) الفكرية لهرتزل. بينما شكل حزب إغودات ومزراحى الدينيان (قيادة الظل) الحزبية لابن غوريون فى المرحلة الفلسطينية الثانية.

وفى واقع التجربة فإن الأحزاب الإسرائيلية، السياسية – العلمانية منها، والسياسية – الدينية، هى (الجسر) الذى عبرت عليه (الدولة)، من المرحلة السويسرية – الصهيونية، إلى المرحلة الفلسطينية – الإسرائيلية.

نخلص من هذا إلى أن تعدد التقسيمات التى تصنف الأحزاب فى (إسرائيل) إنما يعبر عن حقيقة هامة، هى أن هذه الأحزاب وتقسيماتها ليست إلا بمثابة أجنحة لحركة سياسية واحدة الاتجاه هى الحركة الصهيونية.

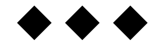
كان أول الأحزاب الدينية – السياسية التى تشكلت وبموافقة هرتزل نفسه، (منظمة المزراحى) وذلك فى عام ١٩٠٢، على يد الحاخام جاكوب راينز، الصديق الشخصي لهرتزل، وأحد المشاركين فى أعمال المؤتمر الصهيوني الأول لسنة ١٨٩٧، وهذا الأمر يساعدنا على القول أن (الحركة الصهيونية)، هى المظهر السياسي لليهودية الأرثوذكسية، القائمة الآن على إدارة مظاهر الحياة الدينية والمدنية المرتبطة بها، فى عموم (إسرائيل)، بما فى ذلك الأحزاب الإسرائيلية من خلال (الوكالة اليهودية) ضد المنظمة الصهيونية العالمية.

سنتناول الأحزاب الدينية الإسرائيلية التى وجدت فى فلسطين طوال الثلاثين عاما الأولى من تأسيس الكيان الصهيوني (١٩٤٨/٤٧ – ١٩٧٧) وخصوصا فيما يتعلق بالنشأة والتطور، والبنية التنظيمية والتركيبة الاجتماعية والموقف الديني – السياسي – التطبيقى الداخلى إضافة إلى الوظيفة القومية فى مجال التهجير والاستيعاب والشئون الأمنية والعسكرية فى إطار الصراع الغربي – الصهيوني – فيما سنتجاوز (المنطلقات الفكرية) لأننا استعرضنا أهمها فى الفصل الأول (المبحث الأول/ المبحث الثانى)، وكذلك فى الفصل الثاني (المبحث الأول)، وهي على العموم نفسها المنطلقات الدينية – التاريخية والسياسية اليهودية/ الصهيونية، والأحزاب قيد الدراسة هي:

أ – مجموعة المزراحى – المعتدلة، وتشمل حزبي (المزراحى وبوعيل همزراحى).

ب- مجموعة الأغودات – المتشددة، وتشمل حزبي (إغودات يسرائيل وبوعالى إغودات يسرائيل).

وهذه هى القاعدة الدينية الإسرائيلية (الأساسية) التى سبقت قيام الدولة الصهيونية، وعاصرتها، ومنها جاءت التنظيمات اللاحقة والحركات الأصولية.



مجموعة المزراحى

أولاً : منظمة المزراحي، النشأة والتطور:

تعد هذه المنظمة أقدم المنظمات الدينية اليهودية فى خارج (إسرائيل) وفى داخلها، فقد أنشأت بموافقة هرتزل، بواسطة الحاخام (جاكوب راينز)، عامى ١٩٠٢/١٩٠١. وقبل ذلك كانت أفكار المزراحى تشكل تياراً فكريًّا قائماً بذاته داخل الحركة الصهيونية ومنظمتها العالمية، وبفضل جهود الحاخام صموئيل موهيليفر (١٨٢٤-١٨٩٨)، والحاخام ميخائيل بينس (١٨٤٢-١٩١٢) تم الدمج بين الأرثوذكسية اليهودية والنزعة القومية، متمثلة بالمزراحى وكان الحاخام جاكوب راينز أحد تلاميذ موهيليفر مؤسس المزراحى الثقافي، أما راينز فقد شكل (حركة مزراحي) فى بولندا، ثم ما لبث أن قام بتكييفها، إلى حزب ديني- سياسي فى فلسطين فى سنة ١٩١٨. واعتمد راينز فى نشر حزبه على مهاجري أوروبا الشرقية، من الطبقة المتوسطة – فى المدن – كقاعدة وأنصار، وكان وراء هذا الانتشار الاجتماعى، اعتدال مزراحى النسبي.

فى شهر آب/ أغسطس من عام ١٩٠٤، عقدت منظمة المزراحى، مؤتمرها العالمي الأول، فى بولندا، وقد ركز المجتمعون، إلى جانب أمور أخرى على العودة إلى (أرض فلسطين). وهكذا بدأت منظمة مزراحى توجه أنظارها (التوراتية) إلى فلسطين، لافتتاح فروع لها هناك، فتم لها ذلك فى يافا سنة ١٩١٨، مما ساعدها على عقد أول مؤتمر لها فى فلسطين (المؤتمر المقدس)، وذلك فى أيلول/ سبتمبر من العام نفسه. ثم تلا ذلك نقل المركز العالمي للمنظمة إلى القدس عام ١٩٣٠.

ولم تدع التطورات تسبقها حتى أنجزت تأسيس (دار الحاخامية) فى القدس سنة ١٩٢١، بمبادرة من الحاخام (إبراهام إسحاق كوك)، ونستطيع الإشارة إلى منجزات مزراحي فى فلسطين لما بين الحربين العالميتين، الأولى والثانية فى الآتي:

(أ) تشجيع ودعم الهجرة اليهودية، وخصوصا من دول أوروبا الشرقية إلى فلسطين.

(ب) تجذير وعبرنة العمل والنشاطات، من خلال المؤسسات المصرفية والصناعية، والثقافية والدينية.

ثانياً : منظمة هابوعيل مزراحى، النشأة والتطور:

نتيجة لتوجهات منظمة مزراحى العالمية نحو فلسطين، واستثمارًا لظروف ما بعد الحرب العالمية الأولى، جاءت (الهجرة اليهودية الثالثة) ما بين عامى (١٩١٩-١٩٢٣) وهى تضم أعداداً من شباب منظمة مزراحى فى عموم أوروبا الشرقية، ومن بولندا على وجه الخصوص، وكان معظمهم من العمال والكسبة، على عكس الهجرات السابقة التى التحقت بالييشوف القديم ومن هنا ولدت فكرة تأسيس (حزب هابوعيل مزراحى)، ليكون الذراع العمالية الفتية لمنظمة مزراحى العالمية، وفرعها فى فلسطين، تحت شعار (التحقيق الذاتى للصهيونية بالتوراة والعمل)، فى محاولة لدمج الفكر الديني بالفكر الاشتراكي، وهكذا شهد ربيع عام ١٩٢٢، الإعلان عن تأسيس منظمة هابوعيل مزراحى فى فلسطين، وفى سنة ١٩٢٥ تم إنشاء فرع للمنظمة ليهود الدياسبورا خارج فلسطين، تحت اسم (الاتحاد العالمي لحركة التوراة والعمل).

وبذلك نمت وتطورت مكانة هابوعيل، وخصوصا بين أفراد الطبقة العاملة، فى المناطق الصناعية، وفى المستوطنات الريفية التعاونية منها والجماعية، وأصبحت قوة هذه المنظمة واسعة بعد انضمام الكثير من مهاجري اليهود الشرقيين، القادمين من شمال أفريقيا والبلاد العربية إليها.

وعلى الرغم من الأساس الأيديولوجي المشترك بين منظمة مزراحى ومنظمة هابوعيل مزراحى، فإن ثمة أسبابا للتوتر بينهما، جعلت منهما (مستقلتين) وخصوصا ما يتعلق منها بالسلوك السياسي التطبيقي، ذلك بأن منظمة مزراحى، تؤمن بالنزعة المتحررة الفردية (الليبرالية)، فيما تؤمن منظمة هابوعيل مزراحى بالنزعة الاشتراكية العمالية، لكن ذلك لا يعني وجود (قطيعة) منهجية بينهما، فالأغراض الدينية – السياسية، والتربوية – الاجتماعية، دفعت بالطرفين للحرص على صلاتهما المشتركة.

من معالم النشأة والتطور لها بين المنظمتين، نستطيع تلمس الآتى:

١- إن منظمة مزراحى (العالمية والفلسطينية) شكلت إطارًا معتدلاً لليهودية الحديثة، وأنها أقرب التنظيمات الدينية الصهيونية للأحزاب والحركات السياسية (العلمانية) فى الأقل قياسا بمثيلتها (الإغودات).

٢- إن قدرة تكييف منظمة مزراحى، وتفاعلها مع التطورات السياسية فى فلسطين، جعلها قريبة من المنظمة الصهيونية العالمية، والوكالة اليهودية بالشكل الذى حافظ على صورتها المعتدلة، وانفتاحها على الآخرين.

٣- إن العلاقة بين منظمة مزراحى ومنظمة هابوعيل مزراحى، على الرغم من الاستقلال الظاهر، هى بمثابة العلاقة بين (الأصل) وتابعه (الظل)، فلم تنقطع، نتيجة التطورات السياسية والاجتماعية والانتخابية سلبا أو إيجاباً، مما يدل على درجة عالية من (التفاهم) والتنسيق بين المنظمتين.

٤- ظل الحزبان، مزراحى وهابوعيل مزراحى، يدخلان الانتخابات، ويحصلان على عدد من المقاعد يتراوح بين «١٠ و١٢» مقعداً من مقاعد الكنيست، ولم يقل عدد المقاعد عن «١٠» ولم يزد على «١٢» فى أية انتخابات، منذ أول كنيست عام ١٩٤٩، وحتى الكنيست التاسع لعام ١٩٧٧، كما أن الوزارات التى تسلمها المفدال ظلت شبه ثابتة، و هى وزارة الداخلية، وزارة الأديان، وزارة الشئون الاجتماعية ووزارة التربية والثقافية.

٥- إن إمكانات المفدال المالية الواسعة، وتحكمه فى المؤسسات الدينية، مثل (دار الحاخامية)، ودار حاخامية الجيش، ومئات المدارس والمعاهد، ساعده على الاحتفاظ بوزنه السياسي، داخل مؤسسات الكيان الصهيوني.

٦- إن عملية (دمج) مزراحى وهابوعيل مزراحى، تساعدنا على تفهم أحد الأدوار الرئيسية للتنظيم الموحد (المفدال) وهو الوقوف ضد التنظيمات الدينية المعارضة للحركة الصهيونية، أو فى الأقل حصار هذه التنظيمات والاتجاهات غير الصهيونية، بعيداً عن التأثير المباشر والمضاد للبرنامج الصهيوني.

تتكون المنظمة الصهيونية العالمية من تشكيلات إدارية سياسية مصممة لتحقيق الأهداف الصهيونية المنشأة من أجلها، تنفيذاً لتوصية ثيودور هرتزل فى كتابه «الدولة اليهودية» كما أن تقسيم أجهزة المنظمة مشيراً إلى الأحزاب الإسرائيلية ونفوذها الحقيقي، تبعاً للدور الذى تقوم به تنفيذاً للمهمة الصهيونية على أرض الواقع، ولا غرو أن مهمة ووظيفة التهجير تأتى فى مقدمة هذه المهام والوظائف القومية – اليهودية، عليه أن أهم تشكيلات المنظمة هى الآتى:

١- المؤتمر الصهيوني، وهو الإدارة العليا للمنظمة الصهيونية العالمية، ويتألف من أعضاء اللجنة التنفيذية والمجلس الصهيوني العام، بالإضافة إلى ممثلي الكتل والهيئات الصهيونية العالمية، ومن ممثلين عن الأحزاب الإسرائيلية، ومنذ مؤتمر بازل الأول لعام ١٨٩٧، وحتى الآن، يعقد المؤتمر جلساته كل أربع سنوات، يتناول فيها جميع الشئون اليهودية والصهيونية والإسرائيلية، خصوصاً فى جمع الأموال ووضع الجاليات اليهودية فى العالم والهجرة فى (إسرائيل).

٢- وثمة عدة تشكيلات فى المنظمة الصهيونية العالمية، لعل أهمها بالنسبة المتعلقة بموضوع الهجرة هى:

(أ) دائرة الهجرة والشبيبة.

(ب) دائرة الشبيبة والرواد .

(ج) مجموعات – جيل الاستمرار – المهتمة بنقل الشباب اليهود و عوائلهم من دولهم لزيارة (إسرائيل) و ترغيبهم هناك فى البقاء والإقامة تحت تأثير المغريات.

أما الوكالة اليهودية، فقد أنشأت عام ١٩٢٢ بدعم من سلطات الانتداب البريطاني فى فلسطين، لقد نمت الوكالة اليهودية حتى أصبحت حكومة ذات أجهزة متكاملة قبل إعلان تأسيس «إسرائيل»، وبعد إعلان قيام الكيان الصهيوني أصبح المجلس التنفيذي للوكالة مجلساً لوزراء «إسرائيل» وعلى الرغم من التنافس بين المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية حول أفضل أساليب العمل – فإن الحالة بينهما، استقرت إثر صدور قوانين تنظيم العلاقة بينهما إذ تكون المنظمة مسئولة عن شئون الهجرة من الخارج، فيما تكون الوكالة مسئولة عن شئون استيعاب المهاجرين فى «إسرائيل».

التهجير والاستيعاب

من خلال الوثائق التى تناولت الجهود الصهيونية، بشأن الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة. «العدد – النوعية – المستوى – الدوافع – المكان والزمان» فكثيرًا ما تختفى هذه الجهود الحزبية، ضمن نشاط المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية، وعلى الرغم من ذلك يمكننا تناول الموضوع الآتى:

١ - **مفهوم الهجرة :** يطلق الصهاينة على هجرتهم إلى فلسطين المحتلة اسم «عاليا» و هى كلمة عبرية مشتقة من يعلو، هو الصعود إلى السماء وثانيها هو الصعود لقراءة التوراة فى المعبد أثناء الصلاة، وثالثها هو الصعود إلى «آرتس يسرائيل بغرض الاستيطان الديني»، و من معتقدات المنظمات الدينية – الصهيونية «على اليهود أن يهاجروا بأنفسهم والتمهيد لعودة الماشيح»، وهو ما تؤمن به الأحزاب الدينية الإسرائيلية، و من ناحية أخرى فإن دلالة «الهجرة/ عاليا/ وارتباطها بالقيمة الروحية لليهودي، جعل الحركة الصهيونية بأجهزتها العالمية ترجع تداول هذه التسمية على مفردة «الهجرة/ هجيرا»، العبرية التى تؤدي المعنى نفسه ولكن بدون دلالة دينية.

ومن خلال متابعة موضوع الهجرة اليهودية تمت لنا ملاحظة جملة مؤشرات لها علاقة تبادلية مع الأحزاب الدينية الإسرائيلية، وكالآتى:

(أ) سيادة المعنى الديني – اللا هوتي – التوراتي، على عملية وحركة الهجرة اليهودية، إلى فلسطين واتهام غير المهاجرين بالمرضى الذين لا شفاء لهم إلا بالهجرة إلى أرض الآباء والأجداد، وفى هذا الصدد يقول الحاخام (يهودا ليون ماغنس) «(١٨٧٧-١٩٤٨)» أول رئيس للجامعة العبرية في فلسطين : «إن البحث المتعلق بمستقبل النظام السياسي فى فلسطين قد بدأ الآن يناقش موضوعيًّا. إلى حد ما، ولكن السؤال الذى لا يزال يبحث عن جواب هو، ماذا نريد هنا؟ ماذا تعنى صهيونيتنا؟ وماذا تعنى فلسطين بالنسبة إلينا؟ بالنسبة للسؤال الأول، ماذا نريد هنا، فإنني سوف أجيب عنه بالكلمات التى ما فتئت استعملها منذ سنين وهى: الهجرة، استيطان الأرض، الحياة العبرية والثقافة العبرية، اضمنوا لى تحقيق هذه الأشياء وسوف أكون عندئذ مستعدا لإعطائكم الدولة اليهودية والأغلبية اليهودية».

(ب) إن أجهزة الهجرة الموجودة فى المنظمة الصهيونية العالمية وفى الوكالة اليهودية، وفى الدولة الصهيونية، تدار من قبل الأحزاب الدينية الإسرائيلية، وخصوصا مجموعة مزراحي الحزبية.

(ج) إن نسبة كبيرة من اليهود المهاجرين إلى «إسرائيل» هم من يهود دول أوروبا «الشرقية والوسطى» حيث يتواجد النشاط الحزبي للأحزاب الدينية الإسرائيلية عبر المنظمة الحزبية العالمية «الأم» مثل منظمة مزراحى العالمية ومنظمة الإغودات العالمية، وخصوصا فى بولندا والأقاليم المجاورة.

(د) إن مجموعة مزراحى الحزبية حصلت على أكبر نسبة من الدعم المالى من الوكالة اليهودية، فعلى سبيل المثال بلغ ما أنفقته الوكالة اليهودية لدعم الأحزاب الإسرائيلية فى مجالي الهجرة والاستيعاب بالسنة ١٩٧٢/١٩٧١ فقط، عشرة ملايين ليرة إسرائيلي، كانت حصة حزب المفدال وحدها من هذا المبلغ وللغرض نفسه، ثلاث ملايين ونصف المليون ليرة، وكان بذلك أكثر الأحزاب الإسرائيلية دعما بهذا الاتجاه من قبل الوكالة اليهودية.

(هـ) إن معظم المساعدات والضرائب التى تحصل عليها «إسرائيل» من يهود الخارج، تأتى من اليهود الإشكناز «وهم يدفعون سنويا أكثر من ٩٠% من مجموع هذه الأموال المحولة إلى إسرائيل، تحت رقابة الأحزاب» ومعظم هؤلاء هم من يهود أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، حيث تنشط المنظمات الدينية اليهودية.

٢ – المعبارة، وهى كلمة عبرية يقصد بها المعسكر الانتقالي للمهاجرين إلى «إسرائيل» ويقام هذا المعسكر فى نقاط تجمع مركزية فيه وحدات سكن مؤقت مصنوعة من الخشب والألومنيوم – عادة – و يتم إدارتها بإشراف المنظمة الصهيونية العالمية، قبل انتقال الأفراد اليهود إلى الاستقرار فى فلسطين. وكثيراً ما تكون هذه المعسكرات الانتقالية، مرحلة لتدقيق هويات المهاجرين ومستواهم واختصاصاتهم، حتى يسهل توزيعهم بشكل دائم، وهناك نوعان من المعبارة هما:

(أ) المعبارة الخارجية، وهى المعسكر الانتقالى الذى يتجمع فيه اليهود من عدة أماكن، قبل شحنهم إلى «إسرائيل» على شكل دفعات بحراً وجوًّا.

(ب) المعبارة الداخلية، وهى المعسكر الانتقالي الذى يستقبلهم عند الوصول إلى «إسرائيل» وبإشراف الوكالة اليهودية ووزارة الداخلية الإسرائيلية ووزارة شئون الهجرة، يتم توزيعهم واستيعابهم داخل التجمع الصهيوني الاستيطاني فى فلسطين المحتلة.

٣ – الاستيعاب، ونقصد به توظيف المهاجرين اليهود القادمين إلى «إسرائيل» حسب انتماءاتهم وفئاتهم العمرية بما يخدم المخطط الصهيوني من تهجيرهم واستقدامهم، وفيما يتعلق بالأحزاب الدينية الإسرائيلية، فإن موضوع استيعاب المهاجرين لا يقل أهمية عن هجرتهم من بلدانهم الأساس، وأهم ميادين الاستيعاب هى:

(أ) توزيع المهاجرين الجدد على أماكن سكناهم الجديدة، من خلال منحهم وحدات سكن تناسب مستواهم المادى والثقافي والعرقي «شكناز – سفارد».

(ب) تعليمهم اللغة العبرية مباشرة، وبعد توزيعهم على الوحدات العسكرية وشبه العسكرية.

(ج) إعادة تقسيمهم على مناطق العمل، الزراعى/ الخدمى/ التعليمي/ الصناعي.

(د) تسجيلهم ضمن عضوية الأحزاب المحسوبين عليها، قبل الهجرة ، إن أهمية التهجير اليهودي إلى «إسرائيل» مرتبطة بنجاح المشروع الصهيوني، ومصداقيته لذا فهناك «حاجة ماسة إلى الإحساس بأن الهجرة مهمة لنا كأكسير الحياة» ومن جانب آخر فإن الاستيعاب يعكس هو الآخر «الطابع الاستيطاني للدولة وللنظام الحزبي الإسرائيلي، كما أن كثيرًا من المؤسسات السياسية والعسكرية فى إسرائيل تأخذ طابعاً خاصاً لأنها تحاول أن تتكيف مع مجتمع المهاجرين الإسرائيلي» لما يترتب على الطرفين من مهام متبادلة فى داخل «إسرائيل» وفى خارجها.

وهكذا نرى الترابط العضوي بين «التهجير والاستيعاب» وبين امتدادات الفعل للمشروع الصهيوني، وإن كل ظاهرة من هذه الظواهر مساندة للأخرى على نحو مباشر أو غير مباشر، وأن مجموع هذه الظواهر هى التى شكلت «إسرائيل» وهذه الظواهر هي:

أولاً : ظاهرة الاستيطان من خلال الهجرة لاستئصال المواطن المحلى «الفلسطيني».

ثانياً : ظاهرة الاستيعاب المستندة إلى السياسة والسلطة المسيطرة.

ثالثاً : ظاهرة مد النفوذ الخارجي من منطلق الوسيط الإقليمي.

رابعاً : ظاهرة التحكم فى صناعة القرار الأجنبي انطلاقا من مفهوم التعامل، المحلى الداخلي الذاتى، وهو ما يتم من خلال «اللوبي» الصهيوني، أمريكيًّا.

أولاً : الهاجاناه

(١) الخلفية والنشأة والتطور :

(أ) الخلفية :

وقد أوضح د. حسين شريف في كتابه من العهد القديم إلى قيام إسرائيل حيث شرح العوامل الخلفية والنشأة والتطور في الأحزاب والقوى السياسية والمنظمات العسكرية التي أنشأت في إسرائيل والذي كان هدفها هو تشتيت المستوطنات الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية.

حيث تعود أصول منظمة «الهاجاناه» إلى عاملين أساسيين: الأول داخلي، يتمثل في تطور المستوطنات أي «اليشوف اليهودي» في فلسطين، وإقامة منظمة الحرس اليهودي (هاشومير). والآخر خارجي، يتمثل في اندلاع الحرب العالمية الأولى، واستغلال الجناح النشط في الحركة الصهيونية واقع الحرب، لتشكيل وحدات عسكرية يهودية.

وقد شكل الحرس اليهودي اللبنة الأساسية للهاجاناه وأمدها خلال المرحلة الأولى من تشكيلها بالعناصر المدربة على استخدام السلاح. وكان الحرس اليهودي قد أقيم قبيل الحرب العالمية الأولى إذ كانت مهمته حراسة المستوطنات اليهودية، خلال الجزء الأخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وقد اقتصر على عناصر غير يهودية من الشركس ومن العرب. ومع بداية الهجرة الثانية (١٩٠٤) وما جلبه من أفكار صهيونية مثل (عبرنة) العمل والحراسة، حراسة عبرية مبنية على الطهارة اليهودية، ولم يكن تحقيق ذلك بالأمر السهل، خصوصًا وأن اليهود لم يعتادوا القيام بمثل هذه الأعمال. بيد أن شعار احتلال العمل والحراسة، وما ينطوي عليه من معان صهيونية دفع «اليشوف اليهودي» للبدء في (عبرنة) الحراسة.

وعلى الرغم من نظرة الازدراء وعدم الثقة التي واجهتها هذه الخطوة، بين أوساط يهودية كبيرة، استمر دعاة (عبرنة) الحراسة في نشاطهم وفي الدعوة لفكرتهم التي أخذت، مع مرور الزمن، إلى جانب اكتسابها هالة من «القدسية» الصهيونية، تشق طريقها إلى عدد من المستوطنات، وبخاصة مستوطنات المنطقة الشمالية من فلسطين، وشجع على إقامة «هستدروت هاشومير» (نقابة الحارس) عام ١٩٠٩. وبذلك تم ترسيخ فكرة الحراسة اليهودية.

إلى جانب توسع الحراسة تدريجيًا؛ حدث تطور آخر في مهامها، إذ لم يعد الحراس مكلفين بحراسة المستوطنات القائمة فقط، بل كان عليهم حماية النقاط الاستيطانية الجديدة أيضًا، حيث درج هؤلاء على مرافقة المستوطنين أثناء «غرسهم» واقعًا جديدًا في فلسطين.

وإلى جانب التطور الداخلي لـ«لييشوف اليهودي» في فلسطين الذي أفرز منظمة (هاشومير)، كان هناك تطور خارجي ساعد هو الآخر، على إدخال الروح العسكرية وسط الجاليات اليهودية، لتصب في المشروع الصهيوني، ونعني به اندلاع الحرب العالمية الأولى. فمع اندلاع الحرب بين دول المحور ودول الوفاق، انعكس انقسام الشعوب الأوروبية، مع هذا الفريق أو ذاك، على الجاليات اليهودية بشكل عام، حيث حاولت كل جالية مسايرة الموقف السائد في كل بلد تتواجد فيه أو التزام جانب الحياد. ولم تشذ الجالية اليهودية في فلسطين عن هذه القاعدة، فقد وقفت في بداية الحرب إلى جانب تركيا، وعبرت عن تأييدها بإهداء طائرة للحكومة العثمانية تحمل اسم «سيرائيل».

ب- النشأة:

في هذه الفترة أخذت فكرة إقامة تنظيم عسكري شعبي، تناط به مهام الدفاع عن المستوطنات اليهودية لحين قدوم القوات البريطانية، في حال الخطر، تطرح نفسها بإلحاح في الوسط العمالي، خصوصًا وأن منظمة «هاشومير» لم تثبت نفسها في التصدي لحالة النهوض الوطني الفلسطيني، كما وأن بقايا الكتائب العبرية لم تكن بمستوى الآمال المعلقة عليها. ولم يكن أيضًا، بمقدور المسئولين عن الييشوف اليهودي تحريكها كما يشاءون، بحكم خضوعها للسلطات البريطانية. وعلى الرغم من اشتراك عدد من عناصرها في التصدي للعرب، إلا أن ذلك لم يرض أولئك الذين أخذت تختمر في نفوسهم فكرة إقامة تنظيم عسكري توكل إليه مهام حماية المشروع الصهيوني في فلسطين.

كان على حزب «أحدوت هاعفودا» صاحب الفكرة، قبل الإعلان عن ولادة التنظيم العسكري الجديد، ترتيب الأمر مع منظمة «هاشومير» لتحل محلها، وتشكل العمود الفقري للتنظيم المزمع إقامته. وبالفعل، عقدت اللجنة الموسعة لمنظمة «هاشومير» في ١٨ مايو سنة ١٩٢٠ اجتماعًا تمخض عنه القرارات التالية:

١- حل منظمة «هاشومير».

٢- يشكل أعضاء «هاشومير»، كمجموعة، النواة لتأسيس نقابة الهاجاناه (هستدروت هاجاناه).

٣- تعتبر نقابة الهاجاناه جزءًا من حزب «أحدوت هاعفودا» إثر صدور هذه القرارات، عقد حزب إحدوت هاعفودا مؤتمرًا في طبريا بتاريخ ١٣-١٥ يونيو ١٩٢٠، تدارس فيه موضوع إقامة «منظمة الهاجاناه»، وأقر قيامها. وهكذا تم نقل شئون الأمن من يد منظمة «هاشومير» إلى منظمة «الهاجاناه».

ج- عجز المنظمة وتطورها:

وقد بدأ عجز «الهاجاناه» واضحًا في البداية في صد هجمات الثوار الفلسطينيين على المستوطنات التي سقط بعضها في يد الثوار وأفلتت مستوطنات من هذا المصير بعد وصول الإمدادات البريطانية.

وقد خضعت الهاجاناه، خلال سنوات العشرينيات، للنقابة العامة للعمال اليهود «الهستدروت» بعد تأسيسها في ديسمبر ١٩٢٠.

وفي عام ١٩٢٤ صدر دستور الهاجاناه الذي عرفها بأنها «منظمة عسكرية سرية» تستهدف الحفاظ على الييشوف بواسطة الميليشيا الشعبية.

٢- بعض الأعمال الإرهابية:

أ- قامت العديد من الأعمال الإرهابية من داخل «الهاجاناه» سواءً من العناصر الملتزمة بخط المنظمة أو العناصر المنشقة.

ب- في السادس من يونيو ١٩٣٣ وبينما كان «حاييم أرلوزوروف» رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية، وأحد الوجوه البارزة في حزب «مباي»، يتنزه مع زوجته على شاطئ البحر في تل أبيب، قام مجهولان باغتياله واعتقلت سلطات الانتداب عدة أشخاص، كانوا ينتمون إلى منظمة «بريت هابريونيم» (عصبة الأشداء) التي تأسست في صيف ١٩٣١ نتيجة تبلور مجموعة «الحد الأقصى» داخل الحركة التصحيحية

وقد نشطت هذه الجماعة في استقطاب العناصر الأكثر تطرفًا في الحركة التصحيحية، وفي إقامة خلايا لها في أماكن متعددة من فلسطين. وكانت تدعو صراحة إلى إقامة دولة يهودية والتصدي بالحديد والنار، لمن يقف في وجه هذا الهدف. وكان من أهم نشاطاتها أن تصدت لمنع الإحصاء السكاني العام في فلسطين عام ١٩٣١ خشية ظهور اليهود كأقلية هناك. كما نشطت في تهريب اليهود والأسلحة إلى فلسطين، من خلال تنمية علاقات طيبة مع مهربي المخدرات في دمشق، الذين كما ذكر أحد أعضاء الجماعة توصلنا معهم إلى اتفاق، وساعدناهم بنقل الحشيش حتى الحدود المصرية ومقابل ذلك ساعدونا في تهريب أشخاص وأسلحة عبر الحدود السورية.

وتحدث الدكتور (حسين شريف) عن الصراعات السياسية والاعتبارات التي جرت بين الأحزاب الإسرائيلية وأهدافها وأغراضها.

وعلى الصعيد الداخلي، خاضت «عصبة الأشداء» حربًا شرسة ضد «الهستدروت» وتوجهاتها «اليسارية» في الوقت الذي اعتبرتها الحركة العمالية بمثابة عصبة «فاشية» متطرفة.

ففي ٣٠ يونيو ١٩٢٤ أطلق أحد أعضاء منظمة «الهاجاناه» النار على الدكتور «يسرائيل يعقوب دي هان» – أثناء خروجه من كنيس يهودي في القدس وأرداه قتيلاً، بناءً على تعليمات صادرة عن مركز الهاجاناه بتصفية «الخائن». وتتمثل خيانة «دي هان»، وهو شاعر وصحافي مرموق، من زعماء إغودات يسرائيل ومن مواليد هولندا، بمحاولته إقامة جبهة «يهودية – عربية» ضد المشروع الصهيوني في فلسطين، اعتقادًا منه بالضرر الذي تجلبه الصهيونية على اليهود أنفسهم.

ولقد نجم عن تفاعلات قضية الاغتيال وملابساتها حالة فرز جادة، لم تكن في مصلحة الهاجاناه على الإطلاق، إذ أخذت عناصر «بيتار» المنطوية تحت لوائها تنسحب منها، وتلتحق بـ «المنظمة ب» المنافسة لها. وبذلك، بدأت «المنظمة ب» تشهد نموًا سريعًا استمر في التصاعد حتى اندلاع الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦، لتجد نفسها تضم حوالي ألفي عنصر وتواجه موضوعات سياسية ينظر إليها كل طرف من الأطراف المكونة لها من خلال منظاره الخاص.

ومن الجدير بالذكر أيضًا أن «إتسل» لم تغفر «للهاجاناه» موقفها من اعتداء أعضائها على الأتوبيس العربي، وسخريتها منه. ولم تنس ذلك حتى في الأوقات الحرجة، فبعد مضي حوالي عشر سنوات، أي في سنة ١٩٤٨ حدث أن اعتدت مجموعة من «الهاجاناه» على أتوبيس عربي في طريق بيسان، فتلقفت «إتسل» الاعتداء لتسديد الحساب القديم معها ولتطالب أولئك الذين انتقدوا أعمالها بطلب المغفرة.

ولعل في العمليات العسكرية القليلة التي نفذتها الهاجاناه عقب صدور الكتاب الأبيض (مايو ١٩٣٩) ما يشير إلى مدى حرج وضعها من جهة، وإلى الوضع المريح لذمو إتسل من جهة أخرى. فقد رأت الهاجاناه، عند صدور الكتاب الأبيض، ضرورة الرد عسكريًا ضد المنشآت البريطانية في فلسطين، كتعبير عن السخط الصهيوني ضد السياسة البريطانية الجديدة. وفي هذا الإطار، نفذت عملية تخريبية ضد أجهزة بث الإذاعة، إلا أنها وجدت نفسها، ليست عاجزة عن إصدار بيان بالعملية فحسب، بل عاجزة أيضًا عن تكذيب بيان إتسل الذي نسبت فيه العملية إلى عناصرها.

وفي العملية الثانية التي أرادت بها «الهاجاناه» التشبيه «بإتسل» في ردها على العرب، حدث الشيء نفسه، فقد نفذت عناصرها بناءً على تعليمات قيادة المنطقة الشمالية، عملية إرهابية ضد السكان الآمنين في قرية بلد الشيخ فخطفت خمسة أشخاص من أهالي القرية وقتلتهم، وأشفعت ذلك بعملية أخرى، حيث انفردت وحدة من قواتها بمنزل عربي يقع على أطراف قرية لوبيا العربية، وألقت قنابلها اليدوية داخله عن طريق النافذة، الأمر الذي تسبب في قتل عدد من العرب، بما في ذلك أربع نساء وطفل، وهم نيام ولم يكن بوسعها نسب العملية إليها، وبخاصة لأن صحيفة دافار الناطقة باسم الحركة العمالية شنت بسرعة، وقبل معرفة هوية الفاعلين، شنت حملة شعواء ضد المسئولين عنها وضد « سفالة الإرهاب» وشجبت الجريمة ومنفذيها الذين يفتقرون إلى أية «أحاسيس إنسانية» وانتهت إلى القول «أن ذكرى عملية لوبيا كذكرى العمليات التي سبقتها، ستحكم بالعار على منفذيها المجرمين أيًا كانوا»، وقد نسبت «إتسل» هاتين العمليتين إلى عناصرها في بداية الأمر، ودرجت فيما بعد، على إشهارهما كسلاح في وجه الهاجاناه، ولا سيما عندما كانت تقوم الأخيرة بإدانة أعمال مشابهة تنفذها «إتسل».

٣- الأيديولوجية والخط السياسي:

أ- في عام ١٩٠٧ ظهر تنظيم يدعى «بارغيورا» وضع على رأس اهتماماته احتلال العمل والحراسة، وإقامة مستوطنات زراعية، بهدف تحقيق شعار «بالدم والنار سقطت يهودا، وبالدم والنار تقوم» ومن أبرز قادته «إسحاق بن تسفي» الرئيس الثاني للكيان الإسرائيلي، ويمكن اعتبار هذا الشعار عامًّا بالنسبة لكل التنظيمات الصهيونية المسلحة منها الهاجاناه.

ب- ونجد أيضًا مبدأ آخر هو «الهلفلغاه» وهي المرادف لـ«ضبط النفس» وكاصطلاح سياسي تعد المفهوم العام للسياسة التي قيدت بها الوكالة اليهودية منظمة الهاجاناه أثناء مواجهتها السكان العرب في فلسطين. فقد رأت الوكالة اليهودية، خلال الفترة الأولى من اندلاع الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦، بناءً لاعتبارات كثيرة، هجومية أو انتقامية. وفي بداية تبلور «الهلفلغاه» تمسكت الوكالة اليهودية بحرفية تعليمات الدفاع السلبي.

مع تطور أساليب المواجهة لمنظمة «الهاجاناه» تطور أيضًا مفهوم «الهفلغاه». والحقيقة أن قادة الحركة العمالية الذين اتبعوا هذا المفهوم. وعلى رأسهم مهندسه «بن جوريون»، لم يتخلوا عنه حتى عندما تجاوزه، إدراكًا منهم أن اصطلاح ضبط النفس يضفي على مواقفهم السياسية مسحة من الاعتدال، بل ابتدعوا له معاني جديدة لا علاقة لها بالدفاع السلبي مثل: طهارة السلاح، تمييز النشاط، الهاجاناه ضد العرب – عن نشاط منظمتي «إتسل وليحي». الذي نعتوه بـ«الإر هاب»، مع أن النشاطين لم يكونا مختلفين من حيث الجوهر، وإن اختلفا في الطرق والوسائل والتوقيت والتركيز على الاعتبارات السياسية.

جـ- وقد حدث تطور آخر داخل الهاجاناه أثر في اتجاهها الفكري، وذلك عام ١٩٣١ حيث انشق رئيس فرع منظمة الهاجاناه في القدس، وأقام منظمة جديدة اتخذت أسماء متعددة منها: الهاجاناه الموازية، والمنظمة العسكرية القومية، والهاجاناه اليمينية، إلا أن الاسم الأكثر شيوعًا كان: الهاجاناه «ب» أو منظمة «ب».

د- ومن الملاحظ أن كافة التيارات والقوى الواقفة وراء المنظمتين، التقت عقب اندلاع الثورة الفلسطينية حول قاسم مشترك هو الوحدة، بيد أنها كانت تختلف، من حيث الدافع والهدف، فقد أرادت الحركة العمالية من الوحدة القضاء على خطر وجود منظمة ثانية بهدف تعزيز المنظمة التي تسيطر عليها، ومن ثم إحكام سيطرتها على «الييشوف اليهودي»، بينما اندفعت الكتلة المدنية نحو الوحدة، بفعل تخوفها من خطر تنامي نفوذ الحركة التصحيحية داخل «المنظمة ب»، ورغبتها في وضع حد لوضعها غير الطبيعي المتمثل في مساهمتها بقيادة كلا المنظمتين. أما مجموعة القيادة بزعامة «تهومي»، فقد اندفعت نحو الوحدة ليس بسبب تخوفها من خطر تنامي نفوذ الحركة التصحيحية، وإنما أيضًا، رغبة منها في تزويد عناصر المنظمة بأسلحة أفضل، وتوفير أسباب التدريب العسكري لأفرادها، وكذلك بهدف احتلال مكانة مرموقة في المنظمة الموحدة.

وهناك عامل آخر ساعد على التوجه الوحدوي يتمثل في رغبتها بتوفير فرص انضمام أعضاء «المنظمة ب» إلى سلاح الحراسة التابع للهاجاناه والمسموح به رسميًا من قبل سلطات الانتداب.

أما الجناح التصحيحي، فقد كان همه الأساسي في توجهه الوحدوي فرض نفسه كفريق مساوٍ للفريق الآخر، وبالتالي إحراز مكاسب سياسية وحزبية.

وقد بدأ الحديث يدور حول الوحدة عقب اندلاع الثورة الفلسطينية، فحدد «بن جوريون»، زعيم الحركة العمالية، شرطين ضروريين لتحقيقهما هما:

١- ضرورة قيام وحدة حقيقية «وليس شرعية الانفصال تحت غطاء الاتحاد».

٢- خضوع المنظمة الموحدة، بشكل مطلق للوكالة اليهودية.

هـ- ولم تقف الهاجاناه مكتوفة اليدين إزاء النشاط الإعلامي والإرهابي «لاتسل»، فقد شددت هي الأخرى على التنديد بـ«العصابات» في منشوراتها التي وزع أحدها في الوسط اليهودي بتاريخ ٢١ يونيو حاملاً توقيع «المهاجرين غير الشرعيين» .

وكان ينضح بالتنديد برجال إتسل الذين يرعون القائمين على الكتاب الأبيض في مصادرة صلاحية الوكالة الممثل الوطني الوحيد... عصابة الإرهابيين لا تتوجه نحو مقابلة الحكومة الخائنة، إنهم يعمدون في أعمالهم إلى تصعيد الاضطراب في «البيشوف» وإضعاف الاستعداد للسيطرة عليه.

واستغل القائمون على الهاجاناه منصة المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرين (١٩٣٩) للتنديد بنشاط إتسل، والرد على حملاتها الإعلامية في الخارج فقد ركز موش شاريت في كلمته، أمام المؤتمر على تأكيد «... الإجرام والحماقة والعار في طريق الإرهاب.

هذه الأعمال التي جرت، خلال الأشهر الأخيرة، والتي يحاول القائمون عليها تزيينها بشعارات رنانة، أعمال سخيفة من الناحية العملية لا تؤدي إلى أهدافها، ومن الناحية السياسية تلحق الضرر بنا فقط.

ومن الناحية الأخلاقية مقززة، ومن الناحية العسكرية –نحن نتحلى أيضًا بالخلق العسكري والكبرياء العسكرية- مهينة». هذا، فضلاً عن النعوت التي كان «بن جوريون» يطلقها على أعضاء المنظمة وأعمالها مثل نعته إياهم بـ «المجرمين» ووصفه بأعمالهم بـ«الأعمال الجنونية البغيضة».

٤ـ المصير:

أ- حدث أكثر من انشقاق داخل الهاجاناة عام ١٩٣١ ومنها الانشقاق اليميني والهاجاناة «ب» والتي أشرنا إليها من قبل .

ومن أبرز أسباب الانشقاق ما يلي:

- الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٢٩ وضعف مواجهة الهاجاناه لأعمال الانتفاضة.
- تصاعد نفوذ الحركة التصحيحية في أواخر العشرينيات، وظهر ذلك من خلال المؤتمر الصهيوني السابع عشر عام ١٩٣٠ حيث حصل التصحيحيون على ٥٢ مقعدًا بنسبة ٢١% من مقاعد المؤتمر.
- تدهور العلاقة بين الهستدروت وقائد الهاجاناه.

ب- وقد سبق أن نوهنا بالانشقاق الذي عرف باسم المنظمة «ب» وقد شكلت «المنظمة ب» طوال فترة قيامها، ساحة مناورات للأطراف المساهمة في إنشائها، فقد استخدمها قائد الانشقاق «تهومي»، مع عدد من ضباطه، لفرض وجهة نظره الخاصة بموضوع التجييش على الهاجاناه، ولاحتلال مركز قوي في الهاجاناه، في حالة إعادة الوحدة بين المنظمتين، في حين استغلتها «الكتلة المدنية» لتوسيع نفوذها داخل المؤسسات الصهيونية ومشاركة التيار العمالي في إدارة هذه المؤسسات بشكل أوسع. أما التيار التصحيحي بزعامة جابوتينسكي فقد رأى فيها ورقة قوية يستغلها في صراعه مع التيار العمالي، فهي إلى جانب كونها ساحة حشد للأوساط المعارضة للحركة العمالية، وما يستتبع ذلك من إضعاف للأخيرة ومنح وزن للطرف التصحيحي بصفته الطرف الأكبر في قوى التحالف، تعد أيضًا ساحة جمع لأنصاره بعد تعثر فكرة إقامة جيش عبري.

جـ- وبشكل عام دخلت الهاجاناه في صراع مستمر مع المنظمتين الأخريتين «إتسل، وليحي»، وانتهى الأمر بدمج المنظمات الثلاثة وكان للهاجاناه دائمًا مركز الصدارة في العمل المسلح على المنظمتين الأخريتين.

ثانيًا: منظمة «إتسل»

١- النشأة والتكوين:

أ- في عام ١٩٣٧ تمخضت التناقضات الداخلية في الحركة الصهيونية وداخل الهاجاناه نفسها عن ولادة منظمة ثانية هي منظمة «إتسل».

ب- وقد تأثرت هذه المنظمة أيضًا بالتيار التصحيحي بزعامة «زئيف فلاديمير جابوتينسكي» الذي كان يؤمن بإقامة كتائب عبرية مقاتلة تعمل في تنسيق مع القوات البريطانية، وأقام فعلاً «منظمة بيتار» التي كانت في صراع مع حركات الشبيبة الخاضعة للحركة العمالية، والتي كانت تركز نشاطها أساسًا في الاستيطان وسيلة لتحقيق قيام الدولة.

وقد طور «جابوتينسكي» نشاطه بإقامة إطار سياسي عام ١٩٢٥، أي قبل قيام منظمة «إتسل»، على شكل حزب يحمل اسم «اتحاد الصهيونيين التصحيحيين» بهدف تصحيح المسار الصهيوني ومن بين أهداف الحزب، العمل على تحقيق المشروع الصهيوني على ضفتي نهر الأردن بإقامة دولة يهودية بأكثرية يهودية.

جـ- وتعد فترة الأعوام الثلاثة التي مرت على قيام «إتسل» فضلاً عن كونها مرحلة اختيار صعب مرت بها المنظمة الوليدة لتثبيت أقدامها داخل الييشوف اليهودي، مرحلة جديدة بالنسبة لعلاقاتها مع منظمة الهاجاناه، تختلف من حيث درجة تفاقم الخلافات بينهما، وطرق معالجتها والنظر إليها. ففي هذه الفترة أصبح الييشوف اليهودي يحتضن منظمتين، تتجانس وتتماثل كل منهما، بهذا المقدار أو ذاك، مع الحركة السياسية المسيرة لها أكثر من السابق، وتتنافسان لبسط نفوذهما على «الييشوف» اليهودي والسيطرة عليه.

د- وواجهت «إتسل» جملة من القضايا الداخلية كان من بينها موضوع العلاقة مع الحركة التصحيحية وزعيمها جابوتينسكي، أثرت بشكل كبير على مسار تطورها، ومن ثم على علاقاتها مع الهاجاناه، وعلى الرغم من أن المنظمة غدت، عقب اتفاق «المنظمة ب» على ذاتها، أكثر تجانسًا وتماثلاً مع قيادتها السياسية؛ إلا أن علاقتها، مع هذه القيادة كانت بحاجة إلى ضوابط واضحة وثابتة. ولم يكن ذلك بالأمر الهين، فزعيمها السياسي والعسكري (القائد الأعلى) جابوتينسكي كان يعيش خارج فلسطين، ولم يكن بوسعه إحكام سيطرته عليها، كما أن العلاقات بين القيادة العسكرية لإتسل وقيادة الحزب التصحيحي في فلسطين، التي شكلت، من بين صفوفها، لجنة سياسية للإشراف على المنظمة لم تكن دائمًا مرضية للطرفين؛ وذلك لاعتقاد القيادة العسكرية بأن قيادة الحزب التصحيحي تميل نحو «الاعتدال».

وربما كان النجاح الذي أحرزه «جابوتينسكي» في جهوده هذه، يتمثل في إرساء علاقة متينة بين «إتسل» وحركة «بيتار» التي كانت تحتضن شبيبة الحركة التصحيحية، وقد ساعده في ذلك واقع التوجه العسكري لكلا المنظمتين، وأرسى أسس العلاقة بينهما في إحدى رسائله، أواخر عام ١٩٣٨، التي يقول فيها: «في المنفى، تسخر جميع فروع الحركة لمبدأ التثقيف العسكري. وفي البلاد تسخر جميعها لمبدأ الدور العسكري، وبكلمات أخرى.. في المنفى تسيطر حركة «بيتار» وفي البلاد تسيطر «إتسل» وهذا يعني أن «إتسل» تسيطر في البلاد، وبكل المسئولية، على جميع فروع الحركة، وأيضًا على الاقتصاد وسرايا التجنيد، وأيضًا على تثقيف الأطفال».

هـ- وقد قامت محاولات لتوجيه جهود المنظمتين الصهيونتين، إلا أن المحاولات باءت بالفشل، وعندئذ أخذ تطور «إتسل»، يتسم بالتوجه نحو مزيد من الاستقلالية عن الحركة التصحيحية، وتعززت قوة الجناح المتطرف في قيادتها ونفوذه. ففي هذه الفترة نشطت قيادة «إتسل» بلا كلل، في مجال البحث عن حليف لها، في أوروبا وفي بولونيا بالذات؛ حيث المركز الرئيسي لليهود، وكان إبراهام شتيرن سكرتير القيادة والرجل الثاني في المنظمة، قد رأس، عشية إجراء المفاوضات وفداً من منظمته، وقام بزيارة لبولونيا استغرقت عدة شهور تمكن خلالها من خلق خلايا سرية لمنظمة إتسل بين صفوف حركة بيتار، دون علم «جابوتينسكي» أو موافقته، كما تمكن من إقامة علاقات وطيدة مع المسئولين البولونيين أعطت ثمارها في ثلاثة مجالات هي: التدريب العسكري، والتزود بالأسلحة، وفتح أبواب بولونيا لهجرة اليهود منها، وأرسى «شتيرن» علاقات طيبة مع الأجنحة الفعالة في الحركة التصحيحية التي كانت ترى في «جابوتنيسكي» شخصًا معتدلاً؛ الأمر الذي أدخل «إتسل» في صراع مع زعيم الحركة التصحيحية الذي اعتبر التحرك الجديد للمنظمة لا يشكل نقداً وحتى نقيضًا لسياسته فقط، وإنما يشكل كذلك تحديدًا لزعامته.

وجد «شتيرن» آذانًا صاغية لدى المسئولين البولونيين الذين لبوا على الفور مطالب «إتسل»، وأخذوا يدعمونها بالأسلحة ويقيمون دورات عسكرية خاصة لعناصرها، مدفوعين إلى ذلك بهدف التخلص من التجمع اليهودي في بولونيا وخلق أعوان لهم في الشرق الأوسط. ويستشم هذا من شرح أحد قادة إتسل، لمسئولين بولونيين، تماثل المصالح بين المشروع الصهيوني وبولونيا، على الطريقة الهرتسلية، بقوله لهم: «إذا تعاظم الضغط على العرب بقوة ردود فعل إتسل، ستضعف مكانتهم السياسية؛

وبذلك تصبح هجرة اليهود من بولونيا، المعنية بهجرتهم، ممكنة». وبفعل تماثل المصالح بين الطرفين، تمكنت إتسل، من إعداد وتخريج أعداد من عناصرها؛ في فلسطين، في دورات مكثفة جرت في بولونيا، ومن تدريب عناصر أخرى، هناك من أوساط شبيبة حركة بيتار. وذلك في الوقت الذي كانت فيه الهاجاناه تعيش عصرها الذهبي؛ إذ شهدت نموًّا سريعًا ابتدأ منذ اندلاع الثورة الفلسطينية، وتنظيمًا له على شكل وحدات عسكرية مختلفة يربو تعداد أفرادها على العشرين ألفًا، كانت تحظى بدورات عسكرية على يد الضباط البريطانيين، بفعل تماثل المصالح الصهيونية والبريطانية، بشكل حاد في تلك الفترة، وفق رؤية الحركة العمالية التي لم تغفل هي الأخرى، في الوقت نفسه مسألة تماثل المصالح مع بولونيا، حيث حظيت هناك بدورات عسكرية على استخدام الأسلحة خصصت لأعداد من عناصرها.

٢- بعض الأعمال الإرهابية:

أ- أدخل بعض قادة إتسل أسلوب أعمال السطو والسلب التي شنها بنفسه؛ حين نظم مجموعة من خريجي (عصبة الأشداد) للسطو على بنك العمال التابع للهستدروت العمالية، والواقع وسط تل أبيب وقد تمكن أفراد المجموعة من الاستيلاء على حقيبة تحتوي على مبلغ ٤٥٠٠ جنيه، إلا أنهم اصطدموا مع المارة الذين قبضوا عليهم وسلموهم إلى الشرطة. وكانت هذه العملية فاتحة لعمليات سطو أخرى كثيرة قامت بها «إتسل» ضد البنوك والمؤسسات في فلسطين وتركت، في حينه أثرًا سيئًا، بين صفوف «الييشوف اليهودي»، تجاه أفراد المنظمة، وأثارت غضب قادة الهاجاناه الذين اعتبروا أن عملية السطو جرت ضد مؤسسة خاضعة لهم وبغرض خدمة الأهداف السياسية لإتسل، كما أثارت انفعال أوساط كثيرة وبخاصة أن أسماء المقبوض عليهم كانت لا تزال عالقة في أذهان الكثيرين، منذ محاكمة المتهمين باغتيال أرلوزوروف.

ب- وفي الوقت نفسه، تعرضت «إتسل» لهزة أخرى، أساءت إلى سمعة المنظمة الوليدة، وإلى قائدها بالذات بين جمهرة الييشوف. عندما قام أحد أعضاء «إتسل» بإطلاق النار – بحكم إيمانه بضرورة كسر سياسة «ضبط النفس» – على أحد المواطنين العرب فأرداه قتيلاً، ولاذ بالفرار. وتمكنت الشرطة من العثور على مسدسه في بيته، في الوقت الذي تسترت فيه إتسل على المكان الذي يختبئ فيه. وتم التخلص من الفاعل بإلقائه في نهر العوجا مربوطًا بالحديد، في محاولة لطمس معالم الجريمة. ولسوء حظه، عادت الجثة، بعد فترة، وطفت على وجه الماء، وعثر عليها في الثامن من سبتمبر ١٩٣٧، حيث تم التعرف على هوية صاحبها. ولم يتمكن قائد «إتسل» من تبرير عمله إزاء سخط الييشوف اليهود من جهة، واستغلال مجموعة القيادة المنافسة له للحادث من جهة أخرى ففضل الهرب من فلسطين.

جـ- وقد اتخذت الأعمال الانتقامية، أو عمليات كسر «ضبط النفس» أشكالاً عدة، من بينها اقتناص أي عربي، بغض النظر عن السن والجنس، في الأمكنة التي يمكن فيها للجاني الفرار، ومن بينها أيضًا إلقاء قنبلة على مقهى عربي، أو وضع مواد ناسفة في أسواق الخضار وأماكن التجمع، في المدن العربية الرئيسية مثل يافا وحيفا والقدس، أو نصب كمين لأتوبيس عربي. وقد نجم، عن بعض هذه العمليات، إز هاق أرواح العشرات من المدنيين العرب، وكانت فاتحة هذه العمليات، عملية نفذتها إتسل في تل أبيب في شهر يونيو عام ١٩٣٧، حين أطلق أفرادها الرصاص على بائع خضار عربي وأصابوه بجراح بالغة.

وفي شهر أبريل عام ١٩٣٨ أطلق عضو «إتسل» مع عنصرين آخرين، النار على أتوبيس عربي في الجليل، لم يتمكن أفراد المجموعة من الفرار، فقد ألقى عليهم شرطي يهودي، وسلمهم إلى السلطات البريطانية. التي أخضعتهم إلى محاكمة كان نتيجتها حكم الإعدام على أحدهم، وفي التاسع والعشرين من يونيو ١٩٣٨ نفذ الحكم، بعد أن ترك وصية على حائط زنزانته تقول: «أومن بأنهم لن يضبطوا أنفسهم عقب موتي».

وجاء الرد على امتداد الشهرين التاليين، على شكل عمليات إرهابية موجهة ضد المدنيين العرب، تعد بالعشرات. وقد كان من أبرزها عمليات وضع كميات من المواد المتفجرة الموقوتة وسط التجمعات العربية، في المدن الفلسطينية الرئيسية، ذهب ضحيتها نحو مئة وسبعين شهيدًا ومئات آخرين أصيبوا بجراح، الأمر الذي زاد من رقعة الخلافات، بين «إتسل والهاجاناه» التي كانت تقوم هي الأخرى بشن هجمات ضد الثوار الفلسطينيين؛ جنبًا إلى جنب، مع القوات البريطانية. وبناء على اتفاق تام معها، لإخماد الثورة الفلسطينية؛ وذلك لاعتقادها بان عمليات إتسل تسيء قبل كل شيء إلى العلاقة القائمة مع السلطات البريطانية، وتضر تحقيق المشروع الصهيوني.

(د) واجهت «إتسل» والحركة التصحيحية اليوم الذي نشر فيه الكتاب الأبيض بتظاهرات صاخبة قامت في وسط تل أبيب، واحتل خلالها المتظاهرون مباني حاكمية القضاء ورفعوا عليها العلم العبري، وقاموا بحرق سجلات مكتب تسجيل الأراضي، بعد أن ألقوها على قارعة الطريق، وهم يرددون شعارات تندد بخيانة بريطانيا وخيانة «وايزمان»: «وايزمان الخائن أنصرف». وأصدرت منظمة إتسل وسط هيجان التجمع اليهودي في فلسطين، منشورًا موجهًا إلى العمال العبريين والشبيبة العبرية في أرض إسرائيل اتهمت فيه الوكالة اليهودية بأنها تضر بالقضية الصهيونية.

الجدير بالذكر، أن الجديد في موقف «إتسل» برفع السلاح في وجه البريطانيين والذي تمثل بضرب الممتلكات البريطانية، وفيما بعد، بضرب الرموز البريطانية، لم تستهدف إخراج القوات البريطانية من فلسطين، وإنما كان يراد منها توجيه ضغوطات سياسية مصاحبة أحيانًا بأعمال عنف بغية دفع بريطانيا للتحالف مع الحركة الصهيونية، والارتقاء بالعلاقات بينهما إلى أقصى حد ممكن، بحيث يصبح «اليشوف اليهودي» في فلسطين، بمؤسساته المختلفة شريكًا لبريطانيا وحليف لها في المشرق العربي بحكم تمثال المصالح بينها. وكان «جابوتينسكي» أول من روج لهذه النظرية وغرسها في وجدان قادة «إتسل» والتصحيحيين، في إطار هذه النظرة، وجهت «إتسل» ضربات ضد بعض المؤسسات الحكومية، مثل محطة الإذاعة وخطوط الهاتف وقضبان السكك الحديدية، مع الحرص على اقتصار الأضرار على الممتلكات العامة فقط، كما استأنفت نشاطها الإرهابي ضد التجمعات السكانية العربية، وفق أسلوبها السابق.

ويبدو أن «إتسل» قد شعرت في هذه الفترة، بتعاظم قوتها، ويظهر ذلك من الخطط الطموحة لقائدها «رزيئيل» الذي دعا، عند صدور الكتاب الأبيض، إلى ضرورة توسيع العمل ضد العرب على الصعيد العسكري أيضًا، أي يتوجب تدريب الشباب على دخول قرية عربية، والسيطرة عليها وطرد سكانها، وما شابهه.

مع بداية استئناف «إتسل» عملياتها الإرهابية ضد العرب، ألقت سلطات الأمن البريطانية، في مطار اللد، القبض على «دافيد رزيئيل» في ١٩ مايو سنة ١٩٣٩، ولم يتمكن هذه المرة من الإفلات فأودع السجن. وعلى الفور عين «جابوتينسكي» مكانه،كرئيس للقيادة، و«حنوخ كلعي»، المسئول عن فرع القدس. ولم تؤثر عملية اعتقال القائد وحملة الاعتقالات الأخرى، على النشاط الموجه ضد العرب، فقد استمرت المنظمة في نهجها القديم الذي لم يخرج عن إطار قتل المارة الأبرياء، وإلحاق أكبر عدد من الخسائر وسط التجمعات العربية في الأسواق، أو اقتناص أي عربي يصادف وجوده في المستوطنات والتجمعات اليهودية.

ومن أبرز عملياتها في هذه الفترة التي استمرت حوالي ثلاثة شهور: (عملية سينما ركس في القدس، وعملية تفجير الحمار المحمل بالمواد الناسفة في سوق الخضار في حيفا)؛ وقد أسفرت هاتين العمليتان عن استشهاد العشرات وإصابة الكثيرين بجراح؛ ومن أبرزها أيضًا عملية ثالثة جرت ضد قرية بير عدس العربية، حين هاجمت القرية مجموعة عناصر المنظمة في محاولة لتحقيق خطة رزيئيل للاستيلاء على قرية عربية، ولم تتمكن المجموعة من دخول القرية، فاكتفت بمهاجمة منزل عربي تحت جناح الظلام، قتلت فيه أربع نساء وأصابت طفلا بجراح. وقد استمرت «إتسل» في القيام بهذا النوع من العمليات على الرغم من توصية «جابوتينسكي»، الذي تخوف من الرأي العام في بريطانيا، بالكف عن ضرب الشيوخ والنساء والأطفال.

(٣) الأيديولوجية والخط السياسي:

(أ) ولعل في واقع هيمنة «إتسل» على حركة بيتار – في فلسطين، ما دفع قيادتها العسكرية إلى الجنوح نحو المزيد من الاستقلالية عن قيادة الحزب التصحيحي.

إلى جانب ذلك، لم تكن القيادة العسكرية، في المراحل الأولى من قيام «إتسل»، من نوعية متجانسة، الأمر الذي أثر على تطور التنظيم وساعد على توسيع الهوة مع الهاجاناه. فقد تزعم إتسل عند قيامها «أو بيرت بيتكر» الذي قدم إلى فلسطين حديثًا من شنغهاي في الصين، بعد أن شغل هناك منصب مندوب حركة بيتار، وكان بيتكر، وهو من مواليد روسيا، قد أنضم إلى جنود الجيش الأبيض، الذين قاوموا الثورة البلشفية التي قادها لينين. ثم توجه بعد فشل الجيش الأبيض إلى الصين وأقام في المنطقة الخاضعة للنفوذ البريطاني، حيث انضم إلى القوات البريطانية وترقى إلى رتبة كولونيل.

(ب) اعتبرت الهاجاناه عمليات «إتسل» هذه بمثابة إرهاب، وجرائم من شأنها إلحاق الضرر بالمشروع الصهيوني وذلك لأنها تتيح للبريطانيين أن يتدخلوا في شئون «الييشوف اليهودي». أما «جابوتينسكي» القائد الأعلى لإتسل، فيبدو أنه كان على خلاف مع مجموعة قيادة «إتسل» تجاه هذا الموضوع ولم يكن مستقرًّا على رأي واضح تجاهه؛ إذ يجد المرء تناقضًا، بين مواقفه المعلنة ورسائله المتعلقة بقضية ضبط النفس من الواضح أن جابوتينسكي، لا يوضح لنفسه الشيء الذي يريد القيام به. ربما ينصحنا بإبلاغ العرب سلفًا متى وأين بالضبط نعتزم الهجوم، أو بتقديم أسماء وعناوين المهاجمين إليهم!. وفي اجتماع له عقده في شهر يونيو ١٩٣٧، مع مسئولين عن منظمته، لم يبد «جابوتينسكي» حماسًا تجاه كسر الهفلغاه، وفق طريقة إتسل، فقد قال: لا أعرف ما هي البطولة في إطلاق الرصاص نحو ظهر فلاح يجلب الخضار على حمار، ليبيعها في تل أبيب، كما أني لا أعرف ما هي الفائدة العامة من ذلك الأمر ويمكن القول أنه لم يكن متحمسًا كثيرًا لكسر سياسة الهفلغاه، بفعل عاملين:

١- التخوف من أن يؤدي تعاظم الأعمال الإرهابية إلى تصفية إتسل على يد البريطانيين.

٢- التخوف من تبعات النشاط الإرهابي على مساعيه السياسية الرامية لإقناع بريطانيا بإعادة بناء الفرقة اليهودية، على يد الجيش البريطاني.

ومن الجدير بالذكر، أن البعض من قادة إتسل العسكريين كان يشارك «جابوتينسكي» تخوفه من العامل الأول، وبخاصة عندما كانت السلطات البريطانية تتخذ تدابير الحد من النشاط الإرهابي لإتسل، مثل (إبراهام شتيرن) الذي دعا في وقت حرج بالنسبة للمنظمة إلى الكف عن معارضة ضبط النفس واعتناق ما أسماه بالهفلغاه القومية.

(ج) وأثناء تضييق الخناق على منظمة إتسل، وخلال انهماك السلطات البريطانية في البحث عن مجموعة القيادة، وانشغال هذه الأخيرة في قضية أساسية واحدة هي التستر عن أعين جهاز المخابرات، برز أمامها موضوع، أو بالأحرى، مغامرة «الثورة المسلحة» كما تبلورت في ذهن «جابوتينسكي» الذي بعث في تلك الفترة بالذات، بعدة رسائل إلى قيادة منظمته بهذا الخصوص.

ولم تفاجأ قيادة «إتسل» بالفكرة، بحد ذاتها وإنما فوجئت بتوقيت تنفيذها، فقد شرح جابوتينسكي« في رسائله السرية لقيادة المنظمة بالتفصيل خطة الثورة المسلحة التي ستبدأ وفق خطته، في شهر أكتوبر ١٩٣٩ بوصول سفينة تحمل مهاجرين يهود مع أسلحتهم بقيادة «جابوتينسكي» نفسه، إلى المياه الإقليمية لفلسطين بالقرب من تل أبيب، وتقوم «إتسل» بضمان إنزالهم إلى الشاطئ بقوة السلاح إذا اقتضى الأمر، وفي الوقت نفسه، تقوم جماعات من المنظمة بثورة مسلحة علنية تتم السيطرة خلالها على مباني الحكومة في القدس ويرفع فوقها العلم العبري. وتوصي الخطة باستمرار السيطرة على المباني لمدة ٢٤ ساعة على الأقل، بغض النظر عن الخسائر، ويجري خلال ذلك في عواصم أوروبا الغربية وأمريكا، الإعلان عن إقامة حكومة يهودية مؤقتة.

(د) ونظرًا لمفهوم «إتسل» المتسق مع مقالات جابوتينسكي لتماثل المصالح بين الصهيونية والاستعمار البريطاني، والمعتمد على توجيه ضغوط سياسية ضد السياسة البريطانية تجاه القضية الفلسطينية، مصاحبة أحيانًا بمظاهر العنف، للارتقاء بالعلاقات بين الطرفين الشريكين إلى أعلى درجة من التحالف. لم تجد كل من قيادة إتسل والحركة التصحيحية، عيبًا أو حرجًا في إحداث انقلاب جذري في موقفها السابق تجاه بريطانيا، لتنافس الحركة العمالية والهاجاناه، من خلال الموقف الجديد، على كسب ود الاستعمار البريطاني عن طريق إقامة أوثق العلاقات مع أجهزته المختلفة، وعلى رأسها جهاز المخابرات؛ الأمر الذي تأتت عنه مبعثات خطيرة انعكست على تطور منظمة إتسل نفسها، وعلى العلاقات بين المنظمات العسكرية الصهيونية.

ومن بين العوامل التي ساعدت على حدوث النقلة الحادة في موقف إتسل، وما استتبع ذلك من رفع الحلقة التي أخذت تضيق حول عنقها وانتشالها من حالة الشلل: اندلاع الحرب العالمية الثانية في سبتمبر ١٩٣٩.

٤ـ المصير:

(أ) استمرت إتسل تقود أعمالاً تتصف بالتطرف وبالصراع مع الهاجاناه، وانتهى أمرها كسابقها بالتصفية داخل الجيش الإسرائيلي من الاستقلال.

(ب) وكان من أبرز قيادات إتسل التي تركت آثاراً فيما بعد في السبعينيات والثمانينيات : مناحم بيجين زعيم تجمع الليكود في نفس الفترة.

ثالثًا: منظمة ليحي

١ـ النشأة والتطور:

(أ) في يونيو ١٩٤٠أي بعد مضي قرابة عشرة أشهر من اندلاع الحرب العالمية الثانية، حدث انشقاق خطير في إتسل، تمخض عن ولادة منظمة جديدة حملت في بداية تكوينها، اسم «إتسل في إسرائيل» أي المقاتلون من أجل حرية إسرائيل.

وهناك عوامل رئيسية وثانوية متداخلة تقف وراء الانشقاق، ومن أبرزها عاملان رئيسيان يتمثلان في العلاقة مع كل من بريطانيا، والحركة التصحيحية.

ويبدو أن عملية تحديد العدو، والتحالف مع أعداء بريطانيا كانتا في ذلك الحين تمران في طور التبلور، إذا لم يشدد أصحاب هذا الفريق على مسألة التحديد بقدر ما شددوا على مسألة المقابل الذي حققه «رزيئيل» بوقفه النشاط ضد السلطة البريطانية. إضافة إلى ذلك، فإن قضية التعاون بين المخابرات البريطانية وبين قسم خدمات المعلومات التابع لإتسل، التي تعد من الأسباب المساعدة على تأجيج الخلافات بين الفريقين، لم تواجه، في بداية الأمر، بحزم من جانب فريق شتيرن، سواء عاد ذلك لعدم معرفة هذا الفريق بمدى ما قطعه التعاون من شوط بعيد، أم لرغبة كامنة في نفوس العديد من أعضائه في التخلص من السجن، وبخاصة أن فريق رزيئيل كان يدعي أن علاقاته مع المخابرات البريطانية تستهدف إطلاق سراح قيادة المنظمة من المعتقلات. وهكذا فقد اكتفى فريق شتيرن بالمطالبة بوقف الاتصالات مع أجهزة المخابرات البريطانية بحجة أن «هذا الأمر ينطوي على خطورة».

(ب) كما لم تكن قيادة منظمة «إتسل» موحدة الرأي تجاه العلاقة مع الحركة التصحيحية، فعلى الرغم من أن القيادة كانت تجمع على ضرورة الحصول على المزيد من الاستقلالية عن الحركة التصحيحية، إلا أنها كانت تختلف حول النقطة التي يتوجب الوصول إليها، أو عدم تجاوزها، في الصراع من أجل الاستقلالية وقد انقسمت إلى فريقين، الأول تزعمه «رزيئيل» الذي دعا للحصول على أكبر قدر من الاستقلالية ضمن إطار الحركة التصحيحية، والتف حوله أعضاء الحركة التصحيحية وأنصارها، بينما دعا الفريق الثاني بزعامة «شتيرن» الذي لم يسبق له أن كان عضوًا في الحركة التصحيحية، أو «بيتار» للخروج من دائرة الارتباط بالحركة، بدعوى أن «المنظمة هي جيش، والجيش لا يمكن أن يكون تابعًا لحزب ما.»

(ج) وفي ١٦ يونيو ١٩٤٠ تم الإفراج عن مجموعة القيادة من سجن المزرعة، وغداة اليوم التالي انعقد في تل أبيب، جلسة عاصفة صاخبة لقادة المنظمة. لم يتمكن فيه رزيئيل من تبرير نشاطه، واعترف بفشله كقائد، واستقال من منصبه. ولم تفوت مجموعة القيادة الفرصة، فانتخبت « إبراهام شتيرن» رئيسًا للقيادة، وعينت «حانوخ كلعي» قائدًا لمنطقةالقدس، و«أهارون حايخمان» قائدًا لمنطقة تل أبيب و«حاييم لوفينسكي» عضو قيادة. وبعد مضي حوالي أسبوع أشفعت إجراءاتها التنظيمية ببيان سياسي يحمل رقم ١١٢، عممته على أعضاء المنظمة.

ويعتبر هذا البيان الخطير بمثابة انقلاب على زعامة جابوتينسكي والحركة التصحيحية، فضلاً عن كونه يشكل توجها جديدًا حادًّا في مسار المنظمة، وقد جاء فيه:

١- تعيش إتسل وتقاتل بالسلاح لإنشاء ملكوت إسرائيل في حدودها التاريخية، وعلى عناصرها التهرب بكل الوسائل من أي تجنيد أجنبي.

٢- تقيم إتسل تحالفات مع الإسرائيليين وغيرهم، ولكنها لا ترهن حريتها. ولا يمكن لها في أي حال من الأحوال، أن تصبح أداة بيد حليفها مقابل المساعدة التي يقدمها الأجانب، كما هو وأنها لا تتحالف مع انهزامي الهاجاناه، إن دفاعنا هو الهجوم وحربنا في مناطق العدو.

٣- تخضع إتسل لقادتها الذين يوجهونها للقتال.

وقد حاول القائد الأعلى لإتسل «جابوتينسكي» رأب الصدع في المنظمة إلا أنه أصيب في الثالث من أغسطس ١٩٤٠ في نيويورك بنوبة قلبية أودت بحياته، ونزل الخبر على أنصاره نزول الصاعقة، وأثار الانفعال لدى الكثيرين، حتى بين صفوف خصومه. فقد تأجج الصراع، بسبب البلورة الحادة التي حدثت داخل صفوف فريق رزيئيل، والتي نجمت عن سخط الكثيرين من أعضاء إتسل الموالين للحركة التصحيحية وحزنهم على موت جابوتينسكي. وقد استغل هؤلاء الموت، مشيعين أن موقف مجموعة القيادة هو الذي تسبب في إصابة القائد الأعلى بنوبة قلبية، وذلك في الوقت الذي كشفت فيه مجموعة القيادة في حملتها المضادة الذقاب عن بعض الأسرار الخاصة بالتنظيم مثل قيام فريق رزيئيل بتسليم وثائق تخص مؤسسات يهودية إلى المخابرات البريطانية.

(د) وخلال الفترة التي جرى الانشقاق فيها، والتي استغرقت بضعة أشهر، انقسمت الفروع جميعها على نفسها.

ونتيجة لاستمرار النزاع بين الطرفين، وجدت منظمة إتسل نفسها، بشقيها، في نهاية سنة ١٩٤٠، قد فقدت أكثرية عناصرها، إذ خرج منها حوالي ١٥٠٠ عنصر من مجموع ٢٥٠٠، وقد تطوع معظم المنسحبين في الجيش البريطاني وانضم عدد آخر منهم إلى الهاجاناه، وفضل البعض الخروج نهائيًّا من التنظيمات العسكرية، وتقاسمت كل من إتسل وليحي العدد الباقي. وأحرزت الأولى قصب السبق في هذا المجال بفضل قوة الشرعية وكذلك بسبب المطاردات التي عانت منها ليحى على يد البريطانيين بدعم من مخابرات إتسل؛ حيث امتلكت حوالي ٨٠٠ عنصر، بينما كان لدى فريق شتيرن حوالي ٢٠٠ عنصر.

هـ- وعقب البيان الشهير الذي أصدرته مجموعة القيادة العامة بزعامة شتيرن والذي يحمل رقم (١١٢) وبعد الصراع المرير مع الحزب التصحيحي وفريق رزيئيل المدعومين من جابوتينسكي القائد الأعلى لإتسل، لم تتمكن مجموعة القيادة من الاستمرار في الادعاء بأنها تمثل القيادة الشرعية للمنظمة، لذا عمدت في شهر سبتمبر ١٩٤٠ إلى إصدار البيان رقم واحد مختارة اسمًا جديدًا لها هو «المنظمة العسكرية القومية في إسرائيل» (كاختصار: إتسل في إسرائيل) تمييزًا لها عن الاسم السابق: «المنظمة العسكرية القومية في أرض إسرائيل» ثم ما لبث الاسم أن تغير، بعد حوالي عام ونصف العام، إلى (ليحى) وهو اختصار للكلمات العبرية الثلاث «لوحامي حيروت يسرائيل» (المحاربون من أجل حرية إسرائيل).

٢- العمليات الإرهابية:

أ- انهمكت «ليحي»، عقب صدور بيانها الأول، بالتفكير في صياغة مبادئ جديدة تكون بمثابة برنامج سياسي يهتدي به الأعضاء في نشاطاتهم الجديدة. ويبدو أن مجموعة القيادة وجدت خزينتها شبه خاوية بعد أن ذهبت معظم أموال الخزينة إلى فريق رزيئيل. فاضطرت إلى تدشين عملياتها بأعمال السطو. بالفعل قامت بسلسلة من أعمال السرقة الصغيرة غير الصارخة، وأشفعتها، بعد ذلك، بعملية كبيرة. فقد قام أفرادها، في منتصف سبتمبر ١٩٤٠، بالسطو على البنك البريطاني الفلسطيني في تل أبيب.

خلال الفترة السابقة، استخدمت «ليحي» سلاحها ضد البريطانيين وضد عناصر يهودية، ففي أعقاب مصرع شتيرن جرت ثلاث محاولات انتقامية ضد رجال الأمن البريطانيين. وجهت الأولى في النصف الثاني من أبريل ١٩٤٢، ضد ماككونل قائد شرطة القدس بوضع متفجرات في سيارته، ونجا الضابط من الانفجار الذي أودى بحياة شرطي عربي. وفي اليوم نفسه، جرت المحاولة الفاشلة النازية ضد المسئول الرئيسي لشرطة فلسطين، بوضع مواد متفجرة جرى اكتشافها قبل تفجيرها بالقرب من بيته. وبعد مضى قرابة عشرة أيام، جرت المحاولة الثالثة ضد الضابط البريطاني «مورتون» قاتل «شتيرن»، بنصب لغم لسيارته أسفر عن إصابة السيارة بأضرار دون إصابة الهدف.

نتيجة لمحاولات الاغتيال الفاشلة، عززت السلطات البريطانية من حملتها التصفوية ضد أنصار المنظمة، الأمر الذي دفعها لإصدار تعليمات، تنص على ضرورة احتفاظ العنصر بسلاحه (مسدس) طوال اليوم، وعدم تسليم نفسه للشرطة في حالة الاصطدام معها.

ب- في السادس من نوفمبر ١٩٤٤، نجحت «ليحى» في اغتيال وزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسط اللورد موين، بالقرب من منزله في القاهرة، وفق خطة رسمها إسحاق شامير وأعدها بدقة منذ مدة طويلة. وكما استغلت الهاجاناه وجود متطوعين يهود في الجيش البريطاني لأغراض صهيونية بحتة مثل تسهيل النشاط الصهيوني في الشرق الأوسط، وتهريب مهاجرين يهود إلى فلسطين ومن بينهم مجندون يهود في القوات البولندية، استغلت «ليحى» هي الأخرى، وجود متطوعين يهود في القاهرة في إعداد خطة الاغتيال. وأرسلت اثنين من عناصرها في فلسطين هما «إلياهو حكيم» و «إلياهو بيت تسوري» إلى خليتها العسكرية في القاهرة التي كانت تنشط في مجال تهريب الأسلحة البريطانية لتنفيذ الخطة.

وجرى التنفيذ عقب مضي أسبوعين على الإجراء البريطاني الخاص بإبعاد أعداد من إتسل وليحي إلى إرتيريا. لم يتمكن العنصران من الهرب وإنما أُلقي القبض عليهما ومثُلا أمام محكمة، أصدرت بحقهما حكم الإعدام الذي نفذ في الثامن والعشرين من مارس ١٩٤٥. ولم يكن نصيب بعض أفراد الخلية العسكرية المغروسين في القاهرة بأفضل من مصيرهما، فقد ألقت سلطات الأمن البريطاني القبض على أحد المسئولين وأودعته السجن بعد أن اعترف بتفاصيل الخطة، ثم ما لبث بعد مضي ثمانية شهور أن انتحر. كما ألقت القبض على جندي يهودي خدم في سلاح الطيران وفر بعد العملية إلى فلسطين مع مجند آخر عضو في مخابرات ليحي، بفضل تعاون المجند معها مقابل تمكينه من الهجرة خارج فلسطين، ونفت الجندي المتهم إلى إرتيريا، بينما تمكنت ليحي من تصفية رجل مخابراتها المتعاون مع السلطات البريطانية قبل أن ينجح في مغادرة فلسطين.

لم تصدر ليحي بيانًا حول هذه العملية التي تعد أخطر عملية قامت بها أثناء سنوات قيامها. بل التزمت جانب الصمت واكتفت بنشر تعميم داخلي سري على عناصرها.

اتهمت فيه اللورد موين، أثناء تسلمه منصب رئاسة المستعمرات في العامين ١٩٤١ و١٩٤٢، بوضع العراقيل أمام الهجرة اليهودية. والتسبب في «كارثة شروما»، سفينة المهاجرين غير الشرعيين التي غرقت، ورفض في خطاب له أمام مجلس اللوردات وجود «جنس يهودي نقي» معتبرًا أن اليهود هم خليط من شعوب عدة.

وكانت «ليحي» قد تطرقت، قبيل العملية، إلى اللورد موين، في بيان لها أصدرته حول عملية الإبعاد إلى إرتيريا، اتهمته فيه بمحاباة العرب باقتباسها قولاً ورد في إحدى خطبه، «إن العرب الذين عاشوا، وقبروا موتاهم في فلسطين، على امتداد خمسين جيلاً، لن يسلموا بلدهم إلى اليهود عن طيب خاطر».

أما في بياناتها اللاحقة، فقد ركزت ليحي إلى جانب «خيانته» للمشروع الصهيوني، على سخريته من الاتفاق الصهيوني النازي الذي أبرم في هنجاريا بين «يوئيل براند» من نشاطي لجنة الإغاثة والإنقاذ اليهودية في هنجاريا وبين «أدولف إيخمان» المسئول عن تصفية أعداد كبيرة من اليهود، بخصوص تخليص الجالية اليهودية وتهجيرها مقابل حصول الجيش الألماني على عشرة آلاف شاحنة من دول الحلفاء، وقوله لبراند: «ماذا أفعل بمليون يهودي؟».

ومع مرور الوقت، أخذت تضيف في بياناتها عامل مقاومة الاستعمار كدافع لها لوضع حد لحياة أحد أركان الاستعمار البريطاني تمشيًا مع مقولتها القائلة بضرورة محاربة الاستعمار البريطاني، وليس «الإدارة البريطانية السيئة» في فلسطين، كما تركز مقولة إتسل.

٣- الأيديولوجية والخط السياسي:

أ- أبرز السمات الخاصة بمنظمة ليحي كان العداء للتعاون مع بريطانيا، وكان لوقف «رزيئيل» نشاط إتسل ضد الإدارة البريطانية في فلسطين عند اندلاع الحرب، ووقوفه إلى جانب بريطانيا، أثرها العميق على قيادة المنظمة، فقد عارضت مجموعة القيادة، بزعامة «إبراهام شتيرن»، هذا التوجه بقوة لسببين:

الأول: يعود إلى عدم حصول «رزيئيل» على أية مكاسب سياسية مقابل تنازلاته.

والثاني: وهو الأهم، يتعلق بفهمه المغاير لطبيعة العدو وتحديده له.

ففي الوقت الذي اعتبر فيه «رزيئيل» أن العدو الأساسي، في تلك الفترة، يتمثل في ألمانيا، مما يستدعي الوقوف إلى جانب بريطانيا، رأت مجموعة القيادة غير ذلك، إذ أجمعت على ضرورة عدم الوقوف إلى جانب بريطانيا وعلى شجب «الهفلغاه» تجاهها. بينما اعتبرها فريق من مجموعة القيادة، بزعامة «شتيرن» بمثابة العدو الرئيسي محدثًا بذلك انقلابًا في تحديد العدو، حيث لم يعد العرب، مع مرور الوقت، العدو رقم واحد للحركة الصهيونية وفق ما ترعرعت عليه إتسل، بل «السلطة البريطانية كسلطة عربية في البلاد وأصبح العرب، وفق التقويم الجديد، مجرد مشاغبين».

ب- ومن الملاحظ هنا، أن المنظمة الجديدة لم تربط تبرير قيامها ووجودها بالخلافات في وجهات النظر التي قامت بينها وبين الحركة التصحيحية فقط، بل أيضًا، بعاملين آخرين عدتهما أكثر أهمية، وأضفت عليهما، مع مرور الزمن، أهمية خاصة. وهذان العاملان يتمثلان، في اعتقادها، بكونها المنظمة الوحيدة، على الصعيد الأيديولوجي، الداعية إلى «الصهيونية المقاتلة العملية» وتسير فيه إتسل وفق أيديولوجية «الصهيونية السياسية». ومن هنا اعتبرت نفسها ولو نظريًا، وذلك لعدم ارتباطها بأي حزب داخلي، المنظمة الوحيدة المؤهلة أكثر من غيرها لتمثيل التجمع اليهودي بأسره والقادرة على زجه في أسلوب نضالي صهيوني جديد مغاير لأسلوبي المنظمتين الأخريين.

جـ- وأخـذت المنظمـة، بـدعم مـن المبـالغ المسـروقة، تنشـط فـي مجـال الأهداف «السامية» على حد قولها، والمتمثلة في إصدار مجلة داخلية تحت اسم (في العمل السري) وفي ترويج «مبادئ البعث» التي شغلت مجموعة القيادة نفسها بها لمدة، لتكون بمثابة برنامج سياسي للمنظمة. والحقيقة أن هذه المبادئ المكونة من ثمانية عشر بندا كانت أقرب إلى الشعر المنثور، أو إلى الشعارات، منها إلى برنامج سياسي. ولا غرابة في ذلك إذ أن كاتبها شتيرن كان شاعرًا حالمًا قبل أن يكون قائدًا سياسيًّا. فالبند الذي يتطرق إلى الشعب يعرفـه كالتـالي: «شـعب إسـرائيل هـو شـعب ممتـاز، خـالق ديـن الوحدانيـة، ومشرع أخلاقيات الأنبياء وحامل حضارات العالم، عظيم التقاليد والبذل، وفي إرادته الحياة وقوة الاحتمال وطول النفس، والثقة والخلاص، أما الوطن فيعـرف كالتـالي: «الـوطن هـو أرض إسـرائيل فـي حـدودها المفصـلة فـي التوراة... هي أرض الحياة، يسكنها بأمان الشعب العبري كله». والشعب والوطن «بالسيف احتل إسرائيل أرض إسرائيل، فيها أصبح شعبًا، وفيها يعود للبعث.

لذا فإن إسرائيل وحده فقط يتمتع بحق امتلاك أرض إسرائيل. هذا الحق مطلق، لم ينتف ولن ينتفي أبدًا»، والهدف:

١- إنقاذ البلاد.

٢- قيام المملكة.

٣- بعـث الأمـة، والتحـالف «عقـد تحـالف مـع جميـع المعنيـين بنضـال المنظمـة، المسـتعدين لمساعدتها بشـكل مباشـر». ومصـير السـكان العـرب الفلسطينيين يحدد كالتالي: «حل قضية الأجانب بواسطة التبادل السكاني».

د- ويبدو أن العلاقة الصهيونية الفاشية كادت تصل، في نموها وتطورها، إلى درجة منح النظام الفاشي «وعد بلفور» جديد للحركة الصهيونية. ومن بين المؤشرات الدالة على ذلك حديث الصحيفة الناطقة باسم «موسوليني» عن إمكان قيام دولة يهودية في فلسطين. فقد جاء في الصحيفة المذكورة «ليس وطنًا قوميًّا، فهذا اصطلاح غامض يفتقر تمامًا إلى أي معنى سياسي، بل دولة حقيقية». بيد أن اشتداد التمحور الاستعماري الأوروبي، ووضع الحركة الصهيونية ثقلها إلى جانب أحد المحاور أثر على العلاقات بين الطرفين. حيث عادت إيطاليا الفاشية، في أواخر الثلاثينيات. وأخذت تردد ما كانت قد اعتادت على ترديده في بداية العشرينات، بأن الحركة الصهيونية أداة بيد الاستعمار البريطاني.

قبل أشهر من انشقاق إتسل بشكل نهائي، وفي أثناء الخلافات التي حدثت بين قادتها حول موضوع التحالفات، قدم «موشى روتشتاين»، أحد المسئولين في «المنظمة ب» خلال فترة قيامها، وأحد المقربين إلى جهاز قسم خدمات المعلومات التابع لإتسل، اقتراحًا إلى القيادة يدعوها للاتصال بعملاء المخابرات الإيطالية التي يقيم اتصالات معها، للتوصل إلى اتفاق بين إتسل والنظام الفاشي في إيطاليا، يعتمد على إقامة نظام فاشي في فلسطين وعلى دعم دخول الإيطاليين إليها، مقابل الحصول على السلاح وإعلان فلسطين دولة يهودية، ووصل الاقتراح إلى آذان مجموعة القيادة وهي في السجن، عن طريق «رزيئيل»، الذي لم يبد حماسًا له خلافًا للمجموعة المذكورة.

وعقب عملية الانشقاق، عاد الوسيط ثانية وعرض رغبة الإيطاليين على جناحي إتسل. ويبدو أن فريق رزيئيل رفض التباحث معه. ويستشم ذلك من تباهي «يعقوب مريدور»، خليفة «رزيئيل» عقب اعتقال البريطانيين له في فترة متأخرة، قوله أمامهم: «إن منظمته رفضت باشمئزاز اقتراحات جدية للحصول على أسلحة ومبالغ مالية ضخمة من جانب إحدى دول المحور».

ويرتكز الاتفاق المكون من اثنين وعشرين بندًا على محاربة النفوذ البريطاني في فلسطين ومنطقة البحر الأبيض المتوسط انطلاقًا من المصالح المشتركة التي تجمع بين الطرفين. فقد تعهد الطرف (أ) (الفاشي) بدعم قيام دولة عبرية في فلسطين وشرق الأردن على أن تكون القدس القديمة والأماكن المقدسة خاضعة للكنيسة الإيطالية. وتعهد الطرف (ب) (إتسل في إسرائيل) بالتعاون مع إيطاليا في مجالات عدة. ومن الملاحظ، في بعض البنود، رغبة شتيرن وفريقه في إحداث اتصالات مع الحلقة الأقوى في دول المحور، ألمانيا النازية، عن طريق إيطاليا. فالبند الثامن عشر يدعو إلى أن يبذل الطرف (أ) من ناحيته كل الجهود لإقامة علاقات سياسية ودبلوماسية بين الأطراف المرتبطة به باتفاقيات تبادلية، وبين الطرف (ب) من أجل الإسراع في عقد اتفاق بينهم. على غرار هذا الاتفاق.

كما يشير البند الخامس عشر على استعداد «إتسل في إسرائيل» تقديم المساعدة لألمانيا النازية. فقد تعهد الطرف (ب) بـ «تقديم مساعدة للطرف (أ) في الشكل والوقت الذي يحددهما الطرفان» ومن الطريف هنا الوقوف في البند السادس عشر المتعلق بالعلاقات مع العرب؛ حيث نص على ما يلي: «يتعهد الطرف (أ) بالحصول على موافقة دول الشرق على إقامة الدولة العبرية، ويتعهد الطرف (ب) من ناحيته بتقديم مساعدات للعرب على شكل إرشادات لتطوير الكنوز الطبيعية في العالم العربي».

بعد التوقيع على الاتفاق بالحروف الأولى من جانب بعض الأشخاص من فريق شتيرن، أصر الوسيط على توقيع هذا الأخير عليه، قبل التوقيع النهائي للسلطات الإيطالية، الأمر الذي أثار شكوك شتيرن وجماعته، فرفض التوقيع خشية أن تكون المخابرات البريطانية وراء الاتفاق.

ومع مرور الوقت اتضح أنه لا علم لإيطاليا بالموضوع لا من قريب أو بعيد، وأنه من صنع المخابرات البريطانية والهاجاناه ورئيس قسم خدمات المعلومات التابع لإتسل وذلك بهدف معرفة مدى استعداد الطرف (ب) للتحالف مع دول المحور، والتصرف على ضوء ذلك ضده. وليس من المستغرب أن تكون لعبة اتفاق القدس ١٩٤٠ من بين الأسباب التي دفعت المخابرات البريطانية إلى قتل شتيرن بعد حوالي عام، بدم بارد، وسط اغتباط أوساط يهودية كبيرة من بينها الهاجاناه، للتخلص من «رئيس العصابة» الذي حاول الاستعانة بـ«الجزار» ضد «العدو».

٤ ـ المصير:

أ- عكست محاولات شتيرن السرية لعقد تحالف مع ألمانيا النازية نفسها على تطور المنظمة وأثرت، بشكل كبير، على بنيتها. فقد تبلورت وتجسدت بنيتها التحتية المشكلة من الأعضاء الذين يجهلون تلك المحاولات، نتيجة تعرضهم، لما تصوروه، لحملة ظالمة تصورهم بالطابور الخامس: يشنها ضدهم، إلى جانب المخابرات البريطانية، أعضاء الهاجاناه، وكذلك رفاق الأمس في إتسل. وفي الوقت نفسه، ولأسباب عدة، حدث تفكك بين صفوف القيادة المحيطة بالمحاولات السرية. بيد أن الأخطر من ذلك كان تمهيد تلك الجهود الطريق لتعريض المنظمة إلى أعمال المطاردة والملاحقة التي وصلت إلى حد التصفية على يد المخابرات البريطانية، وقد تم ذلك بدعم من جانب الهاجاناه بواسطة قوات البلماح ومؤازرة مستترة من جانب أوساط في إتسل.

عقب الانشقاق، وبعد أن فرغ فريق شتيرن من تنظيم نفسه، كان من المفترض أن يتوجه نشاطه، على شكل عمليات عسكرية، ضد ما اعتبره العدو الأساسي، إلا أنه لم يفعل شيئًا يذكر في هذا المجال، فقد انغمس في مجالات التنظير والترويج «مبادئ البعث» إضافة إلى قيامه بسرقات صغيرة هنا وهناك، وسط محاولاته السرية للتحالف مع ألمانيا النازية. وقد حدث هذا دون أن تقوم المنظمة بأي نشاط عسكري ضد البريطانيين، الأمر الذي أثر كثيرًا على الأفراد وعلى بعض المسئولين الذين أخذوا يتساءلون عن السبب في تأجيل النضال ضد الحكم الأجنبي دون تلقي إجابة شافية. وحدا ذلك بالكثيرين منهم، أفرادًا أو جماعات، للانسحاب، من صفوف المنظمة.

عقب الانشقاق شكل شتيرن قيادة جديدة أكثر انسجامًا من القيادة السابقة. ويبدو أن هذه القيادة وافقت رئيسها على أن الوقت غير مناسب لخوض غمار القتال ضد البريطانيين بسبب الأزمة العميقة التي ألمت بالمنظمة على كافة الأصعدة تنظيميًّا وسياسيًّا وماليًّا. وكانت الأزمة المالية أكثر هذه الأزمات حدة وتشكل قضية أساسية لها، فقد ذاق العديد من هؤلاء طعم الجوع، مما دفع الكثيرين منهم إلى تنظيم أنفسهم في «كميونات» اتقاء لغائلة الجوع. ومن هنا أخذت عمليات السلب والنهب تشغل تفكير القيادة أكثر مما كانت تشغلها العمليات العسكرية ضد السلطات البريطانية.

وأشفعت المنظمة محاولاتها هذه بعملية سطو أخرى ناجحة، أثارت هذه المرة تقزز الوسط اليهودي، ليس لكونها موجهة ضد مؤسسة يهودية فقط، وإنما لوقوع ضحايا يهودية نتيجة لها. ففي ديسمبر ١٩٤١ مكنت مجموعة من المنظمة لموظف يعمل في شركة «همشبير همركزي» بعد خروجه من بنك العمال التابع للحركة العمالية، حاملاً لحساب شركته مبلغ ١٠٩٣ جنيهًا فلسطينيًّا، وهاجمته وسط الشارع، وخطف أفرادها الثلاثة حقيبة النقود منه وفروا هاربين بها. وعقب استغاثة الموظف، طارد المارة الأشخاص الثلاثة الذين أطلقوا النار لإرهاب المطاردين، إلى أن قدمت سيارة للشرطة، وتبادلت معهم إطلاق النار، وقد سقط أثناء ذلك، ومن رصاص أفراد المجموعة شخصان من الجمهور اليهودي، وتمكنت الشرطة من إلقاء القبض على عنصرين أودعتهما السجن.

نتيجة لسلسلة عمليات السطو، ولا سيما تلك المصاحبة بسقوط ضحايا من اليهود، تضررت صورة «إتسل في إسرائيل» وسمعتها كثيرًا في نظر الجمهور اليهودي، الذي يمقت بالأساس توجهها المعادي لبريطانيا، ويتقد غيظًا من مجرد الإشاعات حول علاقاتها مع النازيين. وقد استغلت المنظمتان المنافستان لها هذا الواقع، وعملتا جنبًا إلى جنب، وبشكل متفاوت مع السلطات البريطانية لتصفية جماعة شتيرن.

ب- تعرضت «إتسل في إسرائيل منذ ولادتها، لأعمال المطاردة والملاحقة على يد قوات الأمن البريطانية، ومع مرور الوقت، وازدياد عدد معتقليها في السجون، ومعظم هؤلاء وقع نتيجة أعمال السطو، وتعرضهم للتعذيب على يد جهاز مخابراته. ولذا أعدت خطة تستهدف «جذب رؤساء المخابرات في تل أبيب وتصفيتهم».

وقد استغلت أوساط الهاجاناه والوكالة اليهودية عمليات ليحي لحث السلطات البريطانية، بشكل علني، للقضاء على «عصابة القتل». ولم يكن الموقف الجماهيري العام لليبشوف أفضل بالنسبة لفريق شتيرن، من موقف الهاجاناه، فقد طالبت بعثة عن اللجنة القومية، وبلدية تل أبيب والمجالس المحلية اليهودية السلطات البريطانية «تصفية مظاهر الإجرام».

ومن الطبيعي، والحال كذلك، أن يكون الرأي العام لليبشوف اليهودي مناوئًا ليس للمقترحات السياسية لجماعة شتيرن فقط وإنما لوجود المنظمة أيضًا، معتبرًا إياها مجرد فئة إرهابية تسيء إلى اليبشوف. وكان الكثير من عناصر المنظمة في الوقت الذي كان يمتنع فيه أناس عن تأجير شققهم إلى أشخاص يحتمل أن يكونوا تابعين لها.

وفي صبيحة الثاني عشر من فبراير ١٩٤٢، تمكنت قوات الأمن البريطانية بقيادة «مورتون ويلكين» من اقتحام المنزل الذي كان يقيم فيه «إبراهام شتيرن»، عند امرأة رئيس مخابرات منظمته الذي وقع سجينًا نتيجة العملية التي قام بها مورتون قبل مدة ضد الأربعة القياديين. ومن الملفت للنظر أن مصادر الهاجاناه ترجع اكتشاف مخبأ شتيرن إلى ملاحظة وردت ضمن رسالة بعث بها السجين إلى امرأته يسأل فيها عن أحوال «الضيف» على الرغم من جهودها العلنية التي كانت تبذلها لمطاردة عناصر منظمة شتيرن ومسئوليهم وملاحقتهم وتسليمهم إلى السلطات البريطانية.

بعد اقتحام المنزل في تل أبيب، أخذت عناصر الأمن تفتش محتوياته، وامتدت يد ضابط المخابرات ويلكين داخل الدولاب بعد فتحها لتلمس وسط الملابس جسد إنسان، تبين على الفور أنه الشخص المطلوب رقم واحد. وبعد تكبيل يديه، أخرجت قوات الأمن المرأة من الغرفة، لتنطلق بعد ذلك ثلاث رصاصات أودت بحياة شتيرن بحجة أنه حاول الهرب كما جاء في البيان الرسمي. خلافًا لما تجمع عليه كثير من المصادر الصهيونية بأن عملية القتل نفذت بدم بارد. ومن المرجح أن تكون نهاية شتيرن قد تمت فعلاً بهذا الشكل، خاصة وأن البريطانيين لم يتجاوزوا في عملهم هذا رغبة أوساط كثيرة داخل اليبشوف اليهودي، وعلى رأسها الهاجاناه في التخلص من شتيرن وجماعته.

وبذلك لم يبق من المنظمة سوى شراذم بسيطة لا تستقر في مكان، ووجدت في المزارع والحقول المكان الأكثر أمنًا لاتقاء عيون الهاجاناه المنتشرة داخل اليبشوف اليهودي، وعيون سلطات الأمن البريطانية.

وفي هذه الأثناء، بدا وكأن المنظمة لفظت أنفاسها الأخيرة، بيد أنها ما لبثت، بعد مدة، أن انتزعت من دائرة الاختناق والموت وبعثت فيها الحياة من جديد، وتأتى ذلك بفضل هجرة مجموعة من عناصر بيتار إلى فلسطين وانضمامها إلى منظمة شتيرن (ليحي) وهروب إسحاق شامير (رئيس الكنيست ووزير الخارجية ورئيس الوزراء في السبعينيات والثمانينيات) من السجن وهو أمر أدى إلى تصعيد عمليات المنظمة وعودتها للعمل مرة أخرى.

جـ- واستمرت صراعات –ليحي- ضد المنظمات الأخرى وضد بريطانيا إلى أن تم دمجها كبقية المنظمات داخل الجيش الإسرائيلي عقب إعلان دولة إسرائيل.



الفصل الثاني : الوظيفة الأمنية والعسكرية والدينية

نعني – هنا – بالوظيفة القومية «الأمنية والعسكرية» والدينية والمفاهيم الثلاثة الآتية:

١- الرؤية الدينية – اليهودية، المبررة للفعل المادى المضاد للعرب والذى قامت به السلطات الصهيونية – داخلياً وخارجياً – دون أن تستنكره الأحزاب الدينية الإسرائيلية، وأسهمت فى قيامه وفعله بشكل مباشر وغير مباشر.

٢- التبريرات والتأويلات التى قدمتها الأحزاب الدينية الإسرائيلية، استنادا إلى التوراة وحوادث التاريخ اليهودي وأساطير الحاخامات المعروفة بالأغاداه، وبفتاوى الحاخامات المعروفة بالهالاخاه، من أجل التوسع والاستيطان والحرب.

٣- المباركة والتقديس الذى أسبغته المؤسسة الدينية والحاخامات وشخصيات الأحزاب الدينية الإسرائيلية، على الدور الذى قام به «تسهال» ردع أعداء «إسرائيل» فى جميع الحروب التى نشبت ضد العرب.

ويمكن توضيح تطور الموقف العام الذى قامت به الأحزاب الدينية الإسرائيلية، وفى إطار الصراع الغربي الصهيوني كالآتى:

(أ) قبل عام ١٩٤٨ .

(ب) من عام ١٩٤٨ حتى حرب حزيران/ يونيو لسنة ١٩٦٧.

(ج) ما بين عامى ١٩٦٧ / ١٩٧٧، مرورا بحرب تشرين/أكتوبر لسنة ١٩٧٣. ويعد موقف الأحزاب الدينية الإسرائيلية وحركة غوش إيمونيم، موقفاً واحداً، فى هذه الوظيفة القومية المشتركة، علما أن التباين فى التفاصيل لا يعني تبايناً استراتيجياً بين حزب وآخر، فى إطار هذه الوظيفة، التى تعدها جميع الأحزاب الإسرائيلية (الدينية منها والعلمانية)، مقدسة مصيرية.

الوظيفة الأمنية:

تتضمن هذه الوظيفة ، الحدود والتوسع والاستيطان والمستعمرات، كالآتى:

أولاً : الحدود والتوسع:

إذا تمعنا في مفردات السلوك الأمني الإسرائيلي العام، من خلال ما تطرحه الأحزاب الدينية الإسرائيلية فى إطار الصراع العربي – الصهيوني، وما تدعو إليه من «الحدود التاريخية» وأرض الآباء والأجداد، الكبرى، و« هآرتس يسرائيل» كما تزعم، إضافة إلى مفهوم الاستيطان وإقامة المستعمرات، وما يعنيه ذلك من إجراءات تتعلق بطرد السكان العرب، والاستيلاء على أراضيهم، وإحلال المهاجرين اليهود بديلا عنهم، وخصوصاً فى الضفة الغربية التى يطلقون عليها الاسم القديم «يهودا والسامرا»، وما يرتبط بكل هذه الدلالات الأسطورية، والجغرافية/ السياسية، فإن جوهر كل ذلك هو «الأرض».

لذا فإن الوظيفة القومية للأحزاب الدينية تبدأ بالأرض وتنتهى فيها، ومن خصوصية هذه العلاقة مع الأرض يمكننا معرفة الدوافع الأساسية الكامنة فيما وراء ذلك، وهى أن المشروع الصهيوني منذ بداياته الأولى فى عهد ثيودور هرتزل كان طموحه الحصول على «قطعة أرض»، حتى لو كانت فى غير فلسطين، لإقامة «الوطن القومي اليهودي، والدولة اليهودية» فالأرض أهم أركان المشروع الصهيوني، وهى مرتبطة بالركن الثاني وهو السكان، ومن جدالية العلاقة بين «الأرض والسكان» تنزع الوظيفة الأمنية نحو التوسع وفرض الامتداد و المجال الحيوي لتحقيق «الحدود الآمنة» ومن خلال الاستيطان وإقامة المستعمرات يتم تثبيت نظرية الأمن الصهيوني بخلق الأمر الواقع، الذى يضفى عليه عامل الزمن والتقادم «الحق الطبيعي والتاريخي»، حتى تصبح المساومة السياسية هامشية ونسبية، بل تكون غطاء للاعتراف للاغتصاب والعدوان والتوسع بعد نقل «الصراع» من الميدان إلى السياسة الخارجية فى أروقة المنظمات الدولية.

وكغيره من الأحزاب السياسية الإسرائيلية استند التيار الحزبي الديني هذا إلى ثوابت أيديولوجية ذات غيبية بالنسبة إلى فكرة الدولة اليهودية وحدودها، مثلما جرى بالنسبة «للدستور» فتعابير مثل «العودة إلى أرض – الأجداد» و«الحق التاريخي الذى فرضه الرب» نجده فى الكثير من الأدبيات والبرامج الحزبية تحت مبرر أن حدود «إسرائيل» أمر ستحققه العناية الإلهية« وعلى الرغم من ذلك أسهمت الأحزاب الدينية »مزراحى والإغوادات« فى مؤسسات البيشوف ثم برز اتجاه قوى من قبل هذه الأحزاب الدينية »مزراحي والإغوادات« فى مؤسسات البيشوف عام ١٩٣٧، لدعم المنظمات العسكرية اليهودية التابعة للحركة الصهيونية والوكالة اليهودية، تحت مبرر مقاومة «الإنكليز والعرب»، لقد نجح اليهود فى «التخلص» من الإنكليز فى الرابع عشر من شهر آيار/ مايو ١٩٤٨، أما العرب فما زالوا فى المواجهة التى بدأت منذ ذلك التاريخ.

وتأكد منهج المشاركة للأحزاب الدينية الإسرائيلية مع المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية عشية إعلان التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة فى عام ١٩٤٧، على عكس ما أشيع عن وجود تناقضات، فقد قبلت الأحزاب الدينية (المعتدلة والمتطرفة) بفكرة الدولة الصهيونية منذ البداية. وهكذا فإن أحزاب التيار الديني لم تتخذ أية مواقف معارضة من السياسة التوسعية الإسرائيلية للحكومات المتعاقبة على هذا الأساس.

ويمكننا القول أن هناك خلطاً عملياً لهذه الأحزاب بالتعاون مع الحكومات الإسرائيلية من خلال «الشراكة التاريخية» والمساهمة فى المواقف المصيرية إبان الأعوام «١٩٥٦/١٩٦٧/١٩٧٣»، هو ما أقره حزب المفدال فى مؤتمره الحزبي لعام ١٩٦٨، بما نصه «أن الحزب الديني القومي، يرى أن الإنجازات السياسية والأمنية، التى حققها هذا الجيل فى أرض إسرائيل، بمثابة بداية لتحقيق إرادة العناية الإلهية، وللمسار المتجه نحو الخلاص الكامل للشعب اليهودى فى أرض أجداده».

وفى هذا إنما يؤكد الحزب المذكور على أن تكون «دولة إسرائيل يهودية فى طابعها وفى ثقافتها وروحها» وهو ما تشاركه فيه الأحزاب الدينية الإسرائيلية الأخرى.

ثانياً : الاستيطان والمستعمرات:

أما بشأن الاستيطان والمستعمرات، وهو التطبيق المادى لمفهوم التوسع لبلوغ «الحدود الآمنة»، فإن جميع الأحزاب الدينية الإسرائيلية أسهمت فى ذلك عملياً.

عموماً تساعد دراسة ظاهرة الاستيطان والمستعمرات الإسرائيلية على فهم تطور الوجود الصهيوني فى فلسطين، فتاريخ هذا الوجود وتاريخ المشكلة الفلسطينية إنما هو فى حقيقته تاريخ عمليات الاستيطان فى هذه المنطقة، ومن ثم فإن هذه الدراسة تساعدنا فى تفسير خصائص البنيان السياسي والاجتماعى والاقتصادي للكيان الإسرائيلي فى المنطقة العربية، وتفاعلاته السياسية مع الدول المجاورة والعالم، ومن أجل تفهم الوظيفة القومية للأحزاب الدينية فى هذا المجال

يجدر بنا بيان مميزات الاستيطان الصهيوني فى فلسطين، وهو كالآتي:

١- إنه استيطان إحلالي لم يكتف باستغلال الأرض، وإنما سعى إلى مصادرة الأرض كلياً، واستئصال المجتمع الأصلي، لإحلال مجتمع يهودى جديد وغريب بجميع أنساقه وقيمه، محل المجتمع التاريخي الأصلي القائم «وأن ظاهرة الاستيطان، لا تعنى سوى الانتماء إلى بقعة إقليمية مع استئصال كل ما كان ينتمى إلى تلك البقعة بشرياً وحضارياً قبل عملية الانتماء».

٢- إنه استيطان سياسي يهدف إلى بناء الدولة الصهيونية ومرتكزاتها فى البنى التحتية لفلسطين.

٣- إنه استيطان عميل من خلال تبعية التجربة الصهيونية ابتداء من برنامج بازل حتى قيام «إسرائيل» للقوى الإمبريالية، فهى من أدوات تنفيذ سياسات المخطط الاستعماري.

٤- إنه استيطان توسعي لم يكتف بالمناطق التى سيطر عليها ولم يعترف بالحدود التى أقامها قبل ظل يسعى إلى توسيع هذه الحدود حسب الإمكانات المتوافرة لاستيعاب الأراضى المحتلة معتمداً فى ذلك على القوة العسكرية.

٥- إنه استيطان تبريرى يعتمد فى حججه على الأسس الأيديولوجية والدينية، التى مفادها أن اليهود يملكون حقوقاً تاريخية ودينية فى فلسطين.

وهكذا نلمس تطابقاً فى القصد من الاستيطان بين الحركة الصهيونية والأحزاب الدينية الإسرائيلية.

أما مراحل الاستيطان الصهيوني منذ القرن التاسع عشر وحتى وصول تكتل الأحزاب اليمينية «الليكود والأحزاب الدينية» إلى الحكم إثر انتخابات عام ١٩٧٧، فيمكن الإشارة إلى أهمها:

(أ) المرحلة التمهيدية قبل سنة ١٨٨٣ والمعروفة أيضا بالييشوف القديم ومن أبرز أشكال هذا الاستيطان دعوة يهودا القالى سنة ١٨٣٤ ودعوة الحاخام زفى كليشر عام ١٨٣٦.

(ب) مرحلة الاستيطان المهاجر وتبدأ هذه المرحلة بوصول أولى الهجرات اليهودية الموجهة إلى فلسطين سنة ١٨٨٢، وبها يبتدئ ما سمى بالييشوف الجديدة الذى تصاعد بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول لعام ١٨٩٧ ثم وعد بلفور لسنة ١٩١٧ وبعد انتهاء الحربين العالميتين، الأولى والثانية، وقد شهدت هذه المرحلة خمسة موجات من الهجرة الجماعية ولكل موجة مواصفاتها الديمغرافية والثقافية والاقتصادية والجغرافية والاجتماعية، لقد أسفر عن هجرات هذه المرحلة (الصهيونية) استيطان مكثف، بلغ فى عدد مستعمراته (٣١١) مستعمرة يهودية فى عموم فلسطين حتى سنة ١٩٤٧.

(ج) مرحلة الاستيطان فى ظل الدولة ١٩٤٧ – ١٩٦٧)، توزعت مهمة الاستيطان فى هذه المرحلة بين الوكالة اليهودية ومؤسسات الدولة الصهيونية من خلال لجنة مشتركة وبدعم مالى أمريكى – ألمانى، أخذت عمليات الاستيطان إبان هذه المرحلة اتجاهاً نحو ترسيخ القاعدة البشرية والاقتصادية وتحقيق الدعم العسكري والسياسي للمخططات الصهيونية التوسعية فى اتجاهين رئيسيين هما :

أولاً : مدن التطوير واستيعاب المهاجرين فيها، وخصوصاً يهود أوروبا.

ثانياً : التوسع فى الاستيطان القروى من خلال إقامة الكيبوتز والموشاف.

وقد نجح الإسرائيليون فى بناء (٣٥) مدينة جديدة وإقامة (٢٦٤) مستوطنة قروية.

(د) مرحلة الموازنة الهجومية (١٩٦٧ – ١٩٧٧) ويظهر فى هذه المرحلة الفكر والتطبيق الاستيطاني بوجود اتجاهين رئيسيين هما:

أولاً : تغليب الاعتبارات الأمنية، للمساومة على الأرض مقابل (السلام) ثم تطور هذا المفهوم إلى النظرية الأمنية بعدم التنازل نهائياً عن مناطق «دينية – قومية» مثل القدس فى أية مفاوضات لاحقة.

ثانياً : تغليب الاعتبارات الدينية ويتسم هذا الاستيطان بارتكازه على الأسس الدينية وينطلق هذا الاتجاه الذى تمثله الأحزاب اليمينية والدينية فى تحديد موقعه العام من الاستيطان بناء على «الإيمان بالشرعية الإلهية والأساس الديني اليهودي لإسرائيل بالإضافة إلى العقيدة السياسية التى تمثلها الحركة الصهيونية ، وينادى هذا الاتجاه بتطبيق السيادة الإسرائيلية الكاملة على الضفة الغربية وطرد السكان العرب منها». وبلغ عدد المستوطنات التى تم إنشاؤها فى هذه المرحلة (٢٠٠) مستوطنة، منها مائة وثلاثون مستوطنة أقامتها حركة غوش إيمونيم لوحدها.

فى الاستيطان الديني :

إضافة إلى كل ما تقدم فإن للأحزاب الدينية الإسرائيلية دورها الخاص فى مجال الاستيطان وإقامة المستعمرات ضمن الجهود الصهيونية الأخرى وسنأخذ الجهود المميزة لحزب المفدال، وهى نفس الجهود الاستيطانية لحزبي الإغودات بعد حزب المفدال بفرعيه «مزراحى وهابو عيل همزراحى» من الأحزاب النشيطة فى مجال الاستيطان وتوجد فيه حركتان تقومان بمهام ذلك هما :

١- رابطة الموشافيم «خاصة بمشاريع المدن الصغيرة».
٢- الكيبوتس الدينى «خاص بمشاريع القرى الزراعية».

وكلتاهما ينتمى إلى الجناح العمالي للمفدال.

تعود نشاطات المفدال فى حقل الاستيطان إلى نشاط الجناح العمالى منه، وكانت القرى العمالية المعروفة باسم «موشاف عوفديم» هى الإطار الاستيطانى للمفدال، لأنها تقوم على العمل التعاونى الأسرى من دون أن تلغى حق الملكية الخاصة. ويعد موشاف «سديه يعقوب» الذى أنشأ عام ١٩٢٧ من أوائل التجمعات الاستيطانية الذى أقامه الجناح العمالى فى حزب المفدال وذلك فى الجزء الغربى من مرج بنى عامر. واستمر هذا الحزب فى بناء المستعمرات وقد نجح فى بناء ثمانى مستعمرات قبل إعلان تأسيس «إسرائيل» عام ١٩٤٨. وفى أوائل الخمسينيات خصصت المنظمة الصهيونية نسبة ٢٠% من مشاريع الاستيطان لهذا الحزب، وعلى إثر ذلك قام الجناح العمالى «هابوعيل همزراحى» بتأسيس رابطة الموشافيم التابعة له.

ومن الجدير بالذكر أن مفهوم الاستيطان للأحزاب الدينية لا يختلف عن مفهوم الاستيطان الذى قامت به الأحزاب العلمانية إلا في بعض التفاصيل التطبيقية الخاصة بالصيغة الأفضل لتجذير الفرد اليهودي بالأرض بما يضمن الاعتبارات، الأمنية والاقتصادية والسياسية.

وأما بشأن الكيبوتز الديني فإن المفدال قام بتأسيس هذا الكيبوتز عام ١٩٣٥، لمواكبة نشاطه فى مجال الاستيطان القروى الجماعى الذى بدأ عملياً سنة ١٩٣٧ عند المباشرة بإنشاء كيبوتز «طيرات تسفى» فى غور بيسان ثم انتقل هذا النشاط إلى إقامة المجمعات الاستيطانية، أى تركيز عدد من المستوطنات فى منطقة واحدة بغية تنميتها خدمياً واجتماعيا ودينياً وأمنياً وهذا ما جعل المعنيين بإدارة الكيبوتز الديني يركزون على المناطق الحدودية المحتلة. فى هذا السياق تم إنشاء مجمع الكيبوتزات الدينية فى وادى بيسان وفى جبال الخليل المعروفة باسم «غوش عتسيون»، ومجمع آخر فى غزة.. واستمر هذا النشاط على نحو أكبر بعد حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ سواء عن طريق رابطة الموشافيم أو الكيبوتز الديني وكذلك من خلال «بنى عكيفا» الذين يطلق عليهم «شبيبة المفدال» ونظراً للعلاقة الوثيقة بين المفدال وحركة غوش إيمونيم فقد ساهمت هذه الحركة فى بناء عشرات المستوطنات على هيئة موشافيم والكيبوتزيم وقد لاقى ذلك دعم عدد من الوزراء فى الحكومة، وشخصيات أحزاب اليمين الصهيوني وخصوصا أريل شارون وزير الحرب والزراعة الأسبق إلى دعم عدد من الصناعيين أصحاب المصارف وبذلك بلغ مجموع المستوطنات التى تم إنشاؤها ما بين عامى ١٩٧٧/١٩٦٧، من قبل حزب المفدال الديني مباشرة (٢٤) مستوطنة

فيما بلغ عدد المستوطنات التي أقيمت بمشاركة المفدال مع حركة غوش إيمونيم «٢٧» مستوطنة موزعة على هضبة الجولان (٨ مستوطنات) غور الأردن (٢ مستوطنتين) والضفة الغربية (٩ مستوطنات) وقطاع غزة (٨ مستوطنات).

ومثل بقية الأحزاب الإسرائيلية أكد حزب المفدال على حق اليهود في الاستيطان في أرض إسرائيل كافة، وقد جرى هذا التأكيد في مؤتمرات الحزب وفي برامجه الانتخابية، ففي قرارات المؤتمر الرابع للحزب سنة ١٩٧٣ تم تأكيد (الحق التاريخي في الأرض الموعودة، وضرورة مناشدة الحكومة للعمل دون تأجيل من أجل توطين مناطق أرض إسرائيل المحررة بالسكان اليهود، عن طريق الاستيطان الزراعي والقروي والمديني الواسع النطاق)، وكذلك مطالبة الحكومة الإسرائيلية (بتحويل جميع المستوطنات المؤقتة في المناطق المحتلة إلى مستوطنات دائمة).

أما في برنامج حزب المفدال لانتخابات الكنيست التاسع لعام ١٩٧٧، فقد تعهد الحزب بإقامة (مدن وبلديات ومستوطنات زراعية، وتوطين مناطق أرض إسرائيل المحررة، بسكان يهود على نطاق واسع)، وأشار المفدال أيضاً إلى أنه كان منذ حرب ١٩٦٧.. (على رأس من قاموا ببناء المستوطنات الجديدة في المناطق المحررة وأنه سيواصل تقديم المساعدة في هذا المضمار).

إن مجمل الموقف السابق، يجعل الأحزاب الدينية الإسرائيلية ، والمفدال هنا نموذج توضيحي لها، تلتقي مع بقية الأحزاب الصهيونية اليسارية منها واليمينية وأحزاب الوسط، ولا نجد فرقاً كبيراً بين مقولة أي حاخام يهودي وبين مقولة أي قائد عسكري صهيوني في هذا الشأن، فكلاهما تنبعث أفكاره من مشكاة توراتية واحدة، فهذا موشي ديان الشخصية العسكرية المعروفة يقول : (إذا كنا نملك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة، فيجب أن تكون لنا أيضاً أرض التوراة)، ومثله يقول ديفيد بن غوريون أول رئيس وزراء لإسرائيل، (ليست المسألة مسألة احتفاظ بالوضع الراهن، فعلينا أن نقيم دولة غير متجمدة، دولة ديناميكية تتجه نحو التوسع).

مما تقدم يمكننا القول إن الوظيفة الأمنية العامة، تتكون من مجموعة تفاعل الوظائف الأمنية الخاصة، لذا فالنشاط الاستيطاني الذي تنفرد به الأحزاب الدينية الإسرائيلية هو أحد الوظائف الأمنية الخاصة التي تتكون منها الوظيفة الأمنية العامة للمشروع الصهيوني في فلسطين المحتلة، ومن هنا فإن تنفيذ مشاريع الاستيطان، والسياسات الحزبية فيها يؤدي إلى انسجام داخلي، مما يجعل كل مشروع يكمل الآخر، ولا يتعارض معه، بما يضمن استمراريته في كل المراحل على تعاقب الحكومات الإسرائيلية.

الوظائف العسكرية:

لابد من القول إن المؤرخين العسكريين الإسرائيليين يبذلون، (جهودًا مضنية لتدوين التاريخ العسكرى القديم، فهم يربطون بين معارك العبرانيين الماضية وحروب إسرائيل الحديثة، استنادا إلى المهمات الإلهية المنوطة بهم ويبحثون فى التوراة والتلمود وغيرها من كتب الديانة اليهودية ليقتبسوا من هذه أو تلك كل ما من شأنه تأكيد دعواهم وتبرير غاياتهم لإثارة الحرب، وإذا لم يجدوا في هذه الكتب الدينية ما يصبون إليه، يتحولون إلى تراث الأجداد ليغرسوا فى الأحفاد الحقد والضغينة بروح المخاطرة والاقتحام، فعقدوا الندوات للمقارنة بين فرسان داود وسليمان ودبابات حاييم لاسكوف ويسرائيل تال) ووفق الآتى:

(أ) بما أن العمل الصهيوني يستهدف التوسع فينبغى أن يعتنق أنماط الاستراتيجية التعرضية، وكل ما ينتج عنها من ترسيخ عقائد ومفاهيم دينية تلائم، قوامها الحق اليهودي - بزعمهم – فى الاستيلاء على أرض الميعاد، حتى يؤمن الجنود الإسرائيليون (بشرعية) خوض الحرب عن (قناعة) وغرس دوافع القتال العنيف فيهم، طاعة لوصايا (رب الجنود).

(ب) لما كانت العقيدة العسكرية الإسرائيلية تتطلب تحويل مجتمع (إسرائيل) إلى (شعب مسلح) أصبح لزاما أن تحاط الحرب بهالة من القدسية حتى يصبح الانتماء إلى العسكرية أملاً يتمناه جميع اليهود فى (إسرائيل).

(ج) ضرورة تأكيد اليهود إيجاد (رباط تاريخي بين ماضى العبرانيين وحاضر الصهيونية) وهذا التأكيد يشمل جميع المجالات الأخرى.

ولتحديد الوظيفة العسكرية لدى الأحزاب الدينية الإسرائيلية وعموم التيار الديني اليهودى فى فلسطين المحتلة سنتناول ذلك فى جانبين متكاملين هما :

أولاً : النظرية المقدسة:

كانت البداية للتسلح اليهودي فى فلسطين متزامنة مع دعوة الحاخام كليستر من أنصار «أحباء صهيون» والذى أشار إلى «ضرورة إعداد حراس يعرفون الحرب كى لا يأتي العرب لإبادة الكروم»، وكان اليهود المتدينون الذين أقاموا مستعمرة «بتكاح تكفا» عام ١٨٧٨ يؤلفون الطليعة التى لجأت إلى السلاح لتتمكن من تحقيق الخطوة الأولى من خطة الغزو الاستيطانى فى عام ١٨٨٧ تم تشكيل أول منظمة مسلحة من اليهود فى مستعمرة «زخرون يعقوب» ثم تبعتها منظمة «إغودات عشروت» لحماية مستعمرة رحوبوت.. ومع الهجرة الثانية سنة ١٩٠٤ وضعت الأسس الأولية للمنظمات الصهيونية المسلحة، وعلى الرغم من هذه المنظمات تشكلت بتوجيه من حزب عمال «بوعا ليتسيون» إلا أنها رفعت شعارات توراتية متمثلة «باحتلال العمل» وجعله عبرياً بعد الاستغناء عن العمال العرب.

لقد كان الإطار الديني هو الأساس في التدريب العسكري تطبيقاً لشعار «التوراة والسيف نزلا معاً من السماء» وهو أساس نظرية الأمن الإسرائيلية، وهكذا فإن العمل الذي تستند إليه المؤسسة العسكرية الإسرائيلية « هو العمل الديني والتاريخي، وتعد الطبقة العسكرية نخبة من الطبقة المثقفة التي تشبعت بمفاهيم دينية وتاريخية للقيم اليهودية ولا سيما أن هذه القيم تنمي في ذهن الفرد سمو الجنس والعنف وسفك الدماء والغزو والقتال واحتقار الشعوب الأخرى».

وإذا أخذنا موضوع الحروب الحديثة «لإسرائيل» نجد مصداقية النظرية المقدسة تتردد من قبل أكثر من طرف ينتمي إلى الأحزاب الدينية وحركاتها السياسية، فالحاخام (تسيفي يهودا كوك) يقول لتلاميذه وهم يشاهدون عرضا عسكريًّا صهيونيًّا : «اعلموا أن هذا جيش إسرائيل الذي سوف يحرر أرض إسرائيل» وهو بذلك يتطابق مع ما مارسه موشي ديان عندما بلور مهمة الجيش الإسرائيلي، وخلاصة تصوره كان يشير إلى «أن الجيش الإسرائيلي وحده هو الذي يستطيع حماية إسرائيل».

وتناولت النظرية «المقدسة» حربي عام ١٩٦٧ وسنة ١٩٧٣ وفق هذه الرؤية الدينية، لقد اعتبر اليهود «حرب الأيام الستة بمثابة عبور بني إسرائيل البحر الأحمر، بقيادة موسى في الخروج من مصر فقد كانت تلك الحرب ساعة دينية حقًّا محتوية على مشهد معجزة وإشراقة فجائية».

إن هذا التشبيه المقصود هو أبرز ما يميز الفكر العسكري لليهود لخلق الترابط المتين بين حروب إسرائيل ورب الجنود، فالحرب عندهم عمل مقدس لأن قائدها هو – يهوه – ونتيجة لذلك فإن جميع حروب إسرائيل القديمة والحديثة في نظر اليهود مقدسة« وفي هذا الصدد يقول الحاخام موشي غورين حاخام الجيش الإسرائيلي أثناء حرب حزيران ١٩٦٧ : « إن حروب إسرائيل الثلاث مع العرب في السنوات ١٩٤٨ و١٩٥٦ و١٩٦٧، هي حروب مقدسة إذ جرى في أولاها تحرير أرض إسرائيل وفي الثانية تم تثبيت أركان دولة إسرائيل، أما الحرب الثالثة فقد كانت لتحقيق كلمات أبناء إسرائيل، ومن أجل تحرير وتثبيت وتحقيق أمن إسرائيل نؤمر بالقتال، ويكرر هذا الحاخام قولته الأخرى يوم الخامس من حزيران للسنة نفسها : «لقد جاء اليوم العظيم لأمة إسرائيل ولسوف يساعدكم رب المعارك وينصركم».

وأما حرب عام ١٩٧٣، فإنها «تذكرة من الله لشعبه كي يسلم بخروج حاله عن السواء وبانفصاله الجذرى عن عالم الأمم، والقبول بالقدر المقدر عليه فى العهد».

وهكذا تدعى الأصولية اليهودية أن الحروب كلها تتم عن إرادة الله فى تدبير الخلاص «لإسرائيل» أرضاً وشعباً، كما يؤكد ذلك الحاخام تسفى يهودا كوك بقوله: «إن أرضنا المقدسة التى كانت منهوكة غارقة فى السبات، قد نهضت بفضل الحروب التى وقعت فى الخمسين سنة الأخيرة.. واليوم صارت الأرض فى أيدينا وجبل الهيكل فى أيدينا». وتواصلاً مع هذا المفهوم ترفض حركة غوش إيمونيم «امتهان اسم الرب». وهذا الامتهان يتم من خلال التنازلات الإقليمية عن الأرض المقدسة لصالح «الأجنبي» وأما الأرض التى ما زالت فى غير أيديهم فيجب أن تستعاد بالقوة : «علينا أن نستوطن أرض إسرائيل كلها ونبسط حكمنا عليها كلها.. فإذا تيسر ذلك بالسبل السلمية كان به، وإلا فنحن مأمورون بالحرب لتحقيق ذلك».

ووفق هذه الرؤية فإن «الحرب هى الطريق الوحيدة التى يتم من خلالها فقط الخلاص اليهودى»، فعندما «تندلع الحرب تستجاش قوة المسيح»، وكما سبق الإشارة فإن هذه المفاهيم «مشتركة» بين معظم الإسرائيليين لا فرق بين علمانيين ومتدينين فهذا الكاتب الصهيوني إسرائيل ألداد يصف المواجهة العسكرية بين الجيش الإسرائيلي والجيش المصرى بقوله : «جيش إسرائيل يواجه جيش مصر مرة أخرى فى الموضع نفسه الذى جرى فيه خروج الشعب اليهودي بقيادة موسى .. نحن نعيش أيام يوسف وموسى ويسوع وداود كلها فى وقت واحد»، وإن هذه «القدسية» لتنتقل إلى جميع مرافق «إسرائيل» الحديثة. «بناء على الرسالة العظيمة التى تضطلع دولة إسرائيل بها.. والمكرسة لانتصار الخير على الشر انتصاراً نهائيًّا.. فإن دولة إسرائيل مقدسة بالتوراة، اليشفوت، المحافل، فضلاً عن الأبنية، الصناعة، الزراعة وكل المشاريع الإنتاجية كلها مقدسة وإن كان ثمة درجات فى القداسة، المؤسسات الحكومية مقدسة أيضاً.. مثلما هما مقدسان بصورة خاصة، الجيش والشرطة اللذان يحميان الدولة» وبالمقابل يرى قادة الأصولية الصهيونية أن حالة «الحرب سوف تستمر حتى إحياء مملكة إسرائيل وإعادة بناء الهيكل ومجيء المسيح فالحروب التى يتوجب على إسرائيل خوضها ليست سوى فرائض – ميتسفوت – ينبغى لها ككل فريضة أن تتم بفرح».

ثانياً : التطبيق الميداني:

أعلن ديفيد بن غوريون – رسميًّا – فى ١٩٤٨/٥/٣١ إنشاء «جيش الدفاع الإسرائيلي» . وتم تشكيل رئاسة الأركان العامة من الآتى :

١- حزب العمل «اليسار المعتدل».

٢- حزب التقدميين . الأحرار المستقلين «اليمين المعتدل».

٣- حزبا مزراحى وهابوعيل همزراحى «المتدينين المعتدلين».

وبذلك تشكلت القيادة العليا لشئون الجيش والقوات المسلحة لعموم «إسرائيل» بالتساوي فى عدد الأعضاء. ويلاحظ منذ فترة مبكرة أن الحضور الدينى فى الشئون العسكرية كان بارزاً جدًّا، وهذا ما ظهر عند تباين وجهات النظر بين الهاغاناه ومنظمة إتسل« كما صرح بذلك مناحيم بيجن »قام عدد من الشخصيات الصهيونية بجهود إصلاح وتفاوضوا لمنع الحرب بين الإخوة. وظهر دور الحاخام فيشمان ميمون ليس فى الإصلاح فقط، وإنما فى دمج هاتين المنظمتين لمنع التقاطع العملى بينهما وبما يخدم مصلحة الحركة الصهيونية أساساً« ومن جانب آخر فإن أعضاء الأحزاب الدينية الإسرائيلية إلى جانب أعضاء الأحزاب اليسارية واليمينية الأخرى، شاركوا فى إنشاء «إسرائيل» وحاربوا ضمن وحدات الجيش الإسرائيلي وبذلوا جهوداً مادية ومعنوية متميزة فى تأجيج اندفاع الجندى الصهيوني ضد الجيوش العربية، وفى مختلف الجبهات، ففى اعتقاد هذه الأحزاب أن «أرض إسرائيل تساوى الوصايا الأخرى كلها مجتمعة»، لذا يجب الدفاع عنها بقوة من جميع اليهود.

إن مواقف الأحزاب الدينية الإسرائيلية من مجمل الصراع العربي – الصهيوني، وخصوصاً فى الحروب (٩٧٣/٩٦٧/٩٥٦/٩٤٨) مشارا إليها فى البرامج الحزبية المرافقة للانتخابات التى تعقب كل حرب، إضافة إلى البيانات والتصريحات للمسئولين المنتمين لهذه الأحزاب، سواء كانوا فى الحكم أو فى خارجه، وأن هذه المواقف (مترابطة) وقائمة على قاسم مشترك لا يختلف عما ورد فى برامج وتصريحات وبيانات الأحزاب غير الدينية بشأن الصراع العربى – الصهيوني، بل هى أشد غلوًّا وتطرفاً، إلا أن برامج الأحزاب الدينية الإسرائيلية لانتخابات الكنيست لعام ١٩٧٧، وهى أكثر البرامج استقراراً فى رسم المسار الحزبى والسياسي بشأن هذا الصراع، وتجسدت فيها (خلاصة) المواقف السابقة صراحة وضمنًا.

(أ) حزب المفدال :

منذ إعلان قيام (إسرائيل) وحتى حرب حزيران/ يونيو لعام ١٩٦٧، أسهم هذا الحزب في الحكومات الإسرائيلية، وأيد سياساتها الأمنية والخارجية والعسكرية والداخلية، أما بعد عام ١٩٦٧، وبتأثير تنامي حركة غوش إيمونيم المتطرفة، أصبح حزب المفدال، أكثر نشاطاً وتطرفاً ضد المواقف السلمية مع العرب، وهكذا تقدم بأول مشروع للتسوية، في سنة ١٩٧٢ يقوم على أساس ضم الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان إلى (إسرائيل) وتطبيق القانون الإسرائيلي عليها، مع تخيير السكان العرب بين الجنسية الإسرائيلية أو أية جنسية أخرى مع تصفية مخيمات اللاجئين ودمجهم بالاقتصاد الإسرائيلي .

إن رؤية حزب المفدال لقيام سلام مع العرب تنطلق مع الآتى :

١- (حق اليهود التاريخي والديني فى أرض الميعاد).

٢- دولة إسرائيل بعاصمتها أورشليم – القدس هى الدولة الوحيدة بين البحر ونهر الأردن.

٣- إقامة علاقات كاملة مع الدول العربية، بكل العناصر السياسية والاقتصادية.

٤- ضمان حدود قابلة للدفاع وعمق إستراتيجي كاف.

٥- أورشليم – القدس الموحدة هى العاصمة الأزلية لدولة إسرائيل.

٦- رفض أى مشروع يتضمن ما يعد بمثابة تنازل عن أية أجزاء من أرض إسرائيل التاريخية.

٧- اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية (هى إطار لمنظمات قتلة هدفها المعلن هو تدمير دولة إسرائيل، وأن إسرائيل لن تجرى مفاوضات مع منظمات المخربين فى أى محفل دولى).

(ب) حزب إغودات يسرائيل:

لا يتظاهر هذا الحزب بمواقفه فى الشئون الأمنية والعسكرية، ولكن سلوكه الحزبي لم يشر إلى موقف معارض لإجراءات الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، ومن جانب آخر، يرفض التفاوض واللقاء مع منظمة التحرير الفلسطينية فى أى محفل دولى.

وبشأن موقف الحزب من الصراع العربي – الصهيوني بجوانبه السياسية الأخرى فإنه يلتقى مع برنامج حزب المفدال السابق.

(ج) حزب بوعا لى إغودات يسرائيل :

يبدى هذا الحزب اهتماما أكثر من سابقه فى قضايا الأمن الخارجية ولكن مواقفه المعلنة تنحصر ما بين عدم تأييد المواقف الرسمية للحكومة الإسرائيلية والامتناع عن التصويت لصالحها فى الكنيست. وكسابقه يرفض هذا الحزب التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية فى أى محفل دولى.

وبشأن موقف الحزب من الصراع العربى – الصهيوني بجوانبه الأخرى، فإنه يلتقى أيضاً مع برنامج حزب المفدال.

ثالثاً : الإسناد العملى:

إن مهمة الإسناد العملى للأحزاب الدينية الإسرائيلية، تتجلى فى إدامة الزخم والدعم المتواصلين لإنجاح الوظيفة القومية أمنيًّا وعسكريًّا فى إطارها الإستراتيجي، ولعل من أبرز أدوات هذا الإسناد المؤثر بشكل مباشر وغير مباشر، بالنظام السياسي الإسرائيلي كالآتى:

١- التحرك على الناشئة اليهودية مثلما يفعل المفدال بإشرافه على مجموعة مدارس (مزراحى التى تمولها الدولة، لتربية ما بين ٢٥% إلى ٣٠% من أولاد – اليهود الإسرائيليين)، وفق تعاليم التوراة والتلمود والتراث الديني، إضافة إلى معاهد اللاهوت التى تضم الشباب المتطرف.

٢- مدارس بنى عكيفا الدينية، والتى تضم ما بين ٢٥ ألف و٣٠ ألف من الأعضاء العاملين فى مائة وخمسين فرعًا منتشرة فى عموم فلسطين المحتلة، إضافة إلى ثلاثين مؤسسة تربوية وثقافية تابعة لها والمئات من (رواد) المستعمرات التعاونية والجامعية، وأصبح أعضاء مدارس بنى عكيفا رصيدًا للأحزاب الدينية ولحركة غوش ايمونيم.

٣- (اليشيفوت هسدر) أى المدارس الوطنية الدينية العسكرية. وهى نمط جديد ناتج من محاولة تجديد مؤسسات الجيش بالشباب المتدين وفق تعاليم التوراة، والبرنامج الصهيوني، من خلال الجمع بين الخدمة العسكرية والدراسة الدينية، وزراعة الأرض، وهناك أربعة عشر يشيفوت هسدر تضم نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة طالب.

٤- دار الحاخامية العسكرية للجيش، تعد دار الحاخامية العسكرية من أهم المؤسسات القوية والفعالة التابعة لدار الحاخامية الرئيسية (الكبرى) فى (إسرائيل) وهى تستكمل تنفيذ الوظيفة القومية لتلك الدار على مجمل الحياة المدنية والعسكرية الإسرائيلية.

وبشكل عام أصبح دور (الحاخامية العسكرية) : مسئولية التربية والإرشاد – الفكرى، والنشاط الديني فى الجيش الإسرائيلي ، لكنه من جانب آخر تعبر عن النفوذ السياسي الديني للمؤسسة الدينية الإسرائيلية على عموم الوضع الحكومي، وفى المقابل تقبل مؤسسات الدولة لهذا النشاط حتى لو كان هذا التقبل بنسب متفاوتة، وهو ما نلمسه فى اختيار وتعيين الحاخام العسكري الأكبر، فعلى الرغم من أن تعيينه يكون بقرار من رئيس هيئة الأركان العامة، ولكن ذلك مشروط بحصول ترشيح له أولا من قبل الحاخامين الأكبرين، لدار الحاخامية الرئيسين . ويمكننا إيجازءهم مهام دار الحاخامية العسكرية الإسرائيلية بالآتى:

(أ) تعميق التربية الدينية بين الجنود والضباط بما يؤدي إلى احترام الطقوس .

(ب) إجراءات معاملات الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وإرث ووفاة وفق المذهب الأرثوذكسي.

(ج) معالجة المسائل السياسية وفق الرؤية الدينية من خلال ما تنشره مجلة الحاخامية العسكرية المعروفة باسم (ماشناييم).

(د) إدارة كنس العبادة فى وحدات الجيش الإسرائيلي.

(هـ) (عبرنة) مفردات الحياة العسكرية بمفاهيم توراتية وتاريخية ودينية.

(و) بث روح القتال والحرب ورفع المعنويات أثناء العمليات العسكرية.

(ز) تبرير الأعمال العدوانية التى يقوم بها الجيش الإسرائيلي ضد العرب واعتبارها أعمالاً مقدسة وأخلاقية.

(ح) العناية والإشراف على المناطق الوارد ذكرها فى التوراة التى يعتقد أنها تضم آثارًا (يهودية).

* ترسيخ مفهوم (الحرب المقدسة) وعدها واجباً دينيًا.

مما تقدم نستطيع استنتاج المعطيات الآتية:

أولاً: إن فاعلية الوظيفة القومية للأحزاب الدينية الإسرائيلية وخصوصا فى إطار الصراع العربى – الصهيوني تجعل من هذه الأحزاب حالة فريدة للتجربة السياسية والحزبية فى منطقة الشرق الأوسط.

ثانياً : مما يزيد من تنامى أهمية الوظيفة القومية لهذه الأحزاب والمؤسسات المرتبطة بها، (الأزمة التى تمر بها فكرة القومية اليهودية فى إسرائيل مما يضع الأصولية الأرثوذكسية اليهودية فى موقف الهجوم المستمر).

ثالثاً : إن الحاخام الإسرائيلي لا يقل عن القائد العسكري فى دعم الفعل المادي للمشروع الصهيوني (القومى).

رابعاً : إن تضافر جهود الأحزاب والمؤسسات اليهودية الدينية منها وغير الدينية، على إبراز دور الجيش الإسرائيلي ، حق بالنتيجة الميدانية معادلة (أن جيش إسرائيل هو شعب إسرائيل ، وشعب إسرائيل هو جيش إسرائيل).

وأخيرًا فإن هذا يعنى أن مستقبل التطرف الأصولى الإسرائيلي ، الوريث الشرعي للأحزاب الدينية الإسرائيلية ، يتنامى وينتشر ويتجذر سواء فى صفوف المجتمع أو فى صفوف الجيش الإسرائيلي ، لما يلقاه من إسناد ودعم ذاتى وموضوعي، داخلي وخارجي، مما ينعكس بشكل مباشر على مستقبل الصراع العربي – الصهيوني فى جانبين أساسيين هما :

١- التهديد والعنف والتطرف العنصري والديني المسلح لليهود الصهاينة.

٢- عدم استقرار منطقة الشرق الأوسط، بسبب تدخل القوى الدولية فى شئونها الداخلية المصطرعة بين الدين والسياسة والمصالح المتناقضة.

الأحزاب السياسية
المجموعة المتصارعة

ظل تعدد الأحزاب فى إسرائيل – يتسم بحتمية وجود حكومة ائتلافية يتعين على أعضائها مواءمة أفضاليتهم السياسية فى سبيل مصالح التعاون فيما بين الأحزاب، وهذه الحتمية البنائية تضاعف من أهمية المطالب التى تطرحها الأحزاب الصغيرة، إذ أنها فى المقام الأول – ليست من المتطلعين أو من المتنافسين على السلطة، ولو أنها تعتبر – باستثناء حزبين متطرفين هما حزب ماكى، وحتى عام ١٩٦٧ حزب حيروت – من المشاركين أو الشركاء المحتملين أو الفعليين فى الائتلاف.

ويجدر قبل محاولة تصنيف الأحزاب الإسرائيلية وتحديد دورها فى السياسة الإسرائيلية أن نشير الى النقاط التالية :

١- ترجع أصول النظام الحزبي الذى بدأت به إسرائيل حياتها السياسية الداخلية إلى المحاولات الصهيونية التى بذلت لإقامة وطن قومى لليهود ثم دولة يهودية، فى فلسطين، وأدت هذه الظروف إلى إضفاء أربع سمات رئيسية ميزت النظام الحزبي فى إسرائيل : التعدد الكبير جدًّا فى الأحزاب، والتوجيه الحزبي الأيديولوجي القوى، والسياسات الحزبية البالغة الحدة، وامتداد الأنشطة الحزبية لتشمل كل جوانب الحياة، والسلطة المركزية للحزب.

٢- توجه الأحزاب جانبا كبيراً من نشاطها وأموالها إلى أوجه النشاط اليومية المتعددة التى لا نجد لها مثيلا فى الأحزاب بالدول الأخرى، فقد أقامت الأحزاب الإسرائيلية المستوطنات الزراعية والمصانع والمدارس والعيادات الطبية، ولكل منها دار نشر خاصة، ولها جرائدها ونشراتها الدورية ومراكز ثقافية ومعابد خاصة بها، كما قامت ببعض مشروعات الإسكان والأندية الرياضية، وأشرفت على رعاية الحركات الشبابية وقد استمرت بعض هذه الأحزاب بعد إقامة الدولة بفترة طويلة فى الاحتفاظ بمنظماتها العسكرية وشبه العسكرية.

لقد نتجت هذه السمة التى تميزت بها الأحزاب عن حقيقة أن إسرائيل هى فى الواقع مجتمع جديد ودولة جديدة. فقد تجمع وانتظم عدد من المهاجرين فى فلسطين لخلق مجتمع جديد يقوم على أساس مفاهيم محددة حول شكل هذا المجتمع الذى يريدونه، ومع استمرار هذا الجهد وبعد إقامة المؤسسات المركزية التى تتلقى المساعدات المالية من الصهاينة واليهود فى كل مكان، أصبحت هذه الجماعات الصغيرة أحزابا سياسية تتنافس فيما بينها على السيطرة على هذه المؤسسات، وكان المهاجرون الجدد إلى إسرائيل ، والذين لم يكن لهم أى انتماء حزبي قبل ذلك – ينضمون بسرعة إلى أحد الأحزاب القائمة، وهكذا عندما أنشئت دولة إسرائيل كان معظم الإسرائيليين لهم انتماء سياسي معين، وكانوا مندمجين اندماجا قويا فى النظام القائم.

٣- وإذا كانت المفاهيم الأيديولوجية قد أكدت الخلافات القائمة بين الأحزاب، وإذا كان تشعب النظام الحزبي قد جعل الانتماء إلى أحد الأحزاب يكاد يكون ضرورة من ضرورات الحياة، فإن المركزية الشديدة فى إدارة هذه الأحزاب رسخت هذه الانقسامات بسبب تأكيد الأحزاب على عنصر الانضباط الحزبي، ووقوع السيطرة فى يد عدد قليل من كبار المسئولين فى الحزب، والذين يجسدون فى أشخاصهم هذه الخلافات والعداوات، وترجع هذه الخاصة أساسًا إلى الأسلوب المتبع فى التمثيل الذيابى النسبي البحت، إذ يختار الناخبون إحدى القوائم الحزبية لا المرشحين بصفتهم الفردية، كما أن سلطة الحزب المركزية تسمح للزعماء بوضع قوائم المرشحين. وكان أول من اتبع هذا الأسلوب هو المنظمة الصهيونية العالمية

٤- بالرغم من أن جميع هذه الأحزاب عقائدية وبعضها يتكلم لغة العلمانية أو الدين إلا أنها سرعان ما تتناسى هذه الخلافات العقائدية وتجسيدها عند تشكيل الوزارات الائتلافية حيث إن التمثيل النيابي النسبي الحالى والولاء الحزبي الراسخ يحولان دون حصول أى حزب بمفرده على الأغلبية اللازمة لتنفيذ برامجه.

٥- إن اجتماع معظم الأحزاب فى إسرائيل على الصهيونية يجعل محاولة التمييز الحقيقى المستندة إلى الجوهر الأيديولوجي لتلك الأحزاب محاولة تكاد تكون فاشلة، فالتمييز التقليدي بين الوسط من جانب واليمين واليسار من جانب آخر باعتبار أن أحزاب الوسط تمثل الاعتدال وأن أحزاب اليمين واليسار تمثل التطرف أما فى ناحية المحافظة أو الناحية الثورية لا يمكن أن تصلح لإجراء تمييز حقيقى بين الأحزاب الإسرائيلية السياسية التى تشكلت فى إسرائيل ومارست نشاطاتها السياسية والاجتماعية والعسكرية.

وبذلك يمكن أن نقسم هذا الفصل إلى ما يلى :

١- حزب الماباى .

٢- اليسار العقائدي ، الذى يضم المابام والماكى – وإلى حد ما – حزب أحدوت هافوداه.

٣- اليمين القومى ، الذى يتركز فى حزب حيروت.

٤- الواقعيون العلميون (البرجماتيون)، الذين يضمون التقدميين (الأحرار المستقلين) ، والصهيونيون العموميون، والأحزاب الدينية، وحزب رافى...



١ – حزب الماباى

لعل أكبر تأثير يمارسه النظام الحزبي فى إسرائيل هو سيطرة (حزب الماباى) على كل الحكومات الائتلافية مما قد يعوض – إلى حد ما – عدم الاستقرار الكافي فى الحكومة، ونظراً لأن (حزب الماباى) هو أقوى الأحزاب الإسرائيلية، فقد كان يحصل باستمرار على حوالي ثلث مقاعد الكنيست، وبالإضافة إلى ذلك كان (الماباى) يقف دائماً فى موقف وسط بين الأحزاب الإسرائيلية المتطرفة، وكان دائما قادرًا على أن يشرك معه فى الحكومة الائتلافية عناصر من اليسار ومن اليمين ومن كل الأحزاب الدينية.

وقد كان رؤساء إسرائيل الأربعة، وكل رؤساء حكومتها حتى انتخابات الكنيست التاسع، وكل وزير للخارجية ووزير للدفاع من بين صفوف حزب الماباي، وقد سيطر الحزب منذ قيامه في عام ١٩٢٢ على الهستدروت وإن كان بأغلبيات ضئيلة، وقوته فى الدولة كانت تشبه الأسطورة، فلأنه كان المهد الذى ترعرعت فيه معظم الشخصيات السياسية الرئيسية فى إسرائيل (بن جوريون ، بن زفاى ، أشكول، مائير، برل كاتز نيسلون، شاريت، ديان، وغيرهم كثيرون) فقد صار ينظر إليه كحزب مؤسس للدولة، وأضفيت عليه صفة الحتمية السحرية التى تسبغ عادة على مثله من الأحزاب ولأن زعماءه سيطروا على سياسة ما قبل قيام إسرائيل لسنوات كثيرة فقد أصبح أيضاً حزب التشالوتزويت (أو العمل الرائد) وهو إحدى أساطير إسرائيل الرئيسية، فيغلب النظر إليه وكأنه قادر على كل شيء تقريبًا وكانت عضوية الماباى قبل قيام إسرائيل تعتبر شيئًا ضرورياً للتقدم الشخصي، وحتى للتمتع بخدمات الحكومة.

ولم تشر كثيرا من الإحصائيات إلى حجم العضوية لحزب الماباى أو غيره من الأحزاب السياسية فى إسرائيل ومع ذلك فإن البعض قدر عضوية الحزب بأنها تزيد على مائتى ألف عضو.

– سيطرة الماباى على الهستدروت وعلى الهاجاناه، وبالتالى على الجيش.

– سيطرة الماباى على الوكالة اليهودية وعلى الدولة بعد عام ١٩٤٨، ومقدرته بالتالى على استقطاب جماهير واسعة من الأعضاء المتعددى المصالح والاتجاهات.

– شخصية (بن جوريون) التى لعبت دورًا بارزاً فى كسب شعبية انتخابية واسعة للماباى ظهر أثرها من النسبة المرتفعة نسبيا التى حصل عليها بن جوريون فى انتخابات الهستدروت والكنيست.

– أى أن (المابــاى) يســتمد عضــويته مــن الطبقــة العاملــة فــى الريــف والمستعمرات التعاونية و من عمال المدن بشكل رئيسي و من البرجوازية الصغيرة والمهاجرين الجدد القادمين من الشرق وبعض رجال الأعمال وذلك بالإضافة إلى مؤيديه الأصليين من ساكني الكيبوتز، و من ثم نجد أن الحزب يضـم مجموعـات متنوعـة تمثـل الكيبـوتز والجماعـات العنصـرية والمنـاطق الجغرافيـة والمجموعـات المهنيـة، وقـد جعـل هـذا التركيـب البشـري غيـر المتجانس حزب الماباى أكثر محافظة من الناحية الاقتصادية، و بذا أصبح الماباى فى الواقع مجموعة أحزاب.

وتأسيساً على ما سبق ، كان حزب الماباى يعتبر بمثابة الحزب «الأم» – إذا جاز هذا التعبير – فحركة الاندماجات والانشقاقات منذ قيامه فى عام ١٩٢٩ حتى التشكيل العمالي (المعراخ) الذى دخل انتخابات الكنيست السابع فى أكتوبر ١٩٦٩ تكشف لنا أن الماباى كان دائما مركز الجذب والطرد للجماعات الأخرى وفى مقدمتها مابام وأحدوت ورافى وغيرها وهكذا، و من هنا كان من الأهمية بمكان إلقاء الضوء على تركيب واتجاهات وحركة الماباى.

هناك من يرى أن حزب الماباى من الناحية الأيديولوجية يعتبر حزب صـهيوني اشـتراكي، فبرنامجـه مبنـى علـى الجمـع المفكك بـين الصـهيونية والاشتراكية الديمقراطية، وكلا العنصرين غير واضح إلى حد ما، مثل عدم وضوح العلاقة بينهما، ففى السنوات السابقة لقيام إسرائيل، كانت الصهيونية تعنى النهضة القومية روحيًّا وسياسيًّا، كما كانت الاشتراكية تعنى تدعيم القطاع التعاونى للاقتصاد، وكانت كل فكرة تعزز الأخرى حيث أن القوة الظاهرة للقطاع التعاونى كانت دليلا على الاستعداد للاستقلال السياسي، كما كان نموه يشير إلى قيام قيم اجتماعية جديدة، كذلك فقد ساد الاعتقاد بأن تقدم التطور الاشتراكى يعتمد على تقرير المصير القومى، وعلى قدر الهيئات الهامة على اتخاذ القرارات الحاسمة نيابة عن المجتمع كله، وبالتالى فقد جاوز المجتمعات الاشتراكية الطوعية الأكثر تواضعا إلى دولة اشتراكية كاملة، و لذلك كان ينظر إلى العلاقة بين الصهيونية والاشتراكية على أنها علاقة عضوية.

و قد نجد بعض أعضاء حزب الماباى فى أجهزته الرئيسية، ما زالوا ملتزمين بالصهيونية العالمية، ولكن الآخرين ولا سيما فى صفوف الجيل الجديد، مشدودين أكثر بتراكم الإنتاج القومى أكثر من تأسيس كيبوتزات جديدة، إن المفاهيم التى يقاس بها التقدم الوطنى تتحول تدريجيًّا من المجال المعنوى إلى المجال الاقتصادي.

وبالرغم من أن المادة جرت بأن تنتصر هيئات الدولة خلال هذا الحوار باستثناء مسألة رفع الأجور الأساسية، إلا أن الأمر يتطلب كميات هائلة من الحلول الوسط لاسترضاء المدافعين عن موقفهم والمحافظة على تماسك الماباي وإجماع الرأى العام، ويمكن القول أن الأفكار اليسارية فى الاقتصاد والسياسة الخارجية المؤيدة لروسيا التى كانت تدعو لها الأحزاب العمالية الإسرائيلية تبدو الآن وكأنها تخص الجيل القديم فقط، أما بالنسبة للجيل الجديد فالصورة تختلف كليًّا.

أما بالنسبة لسياسة حزب الماباى الخارجية، فإننا نجد أن معظم القرارات الهامة فى هذه المنطقة قد اتخذت داخل حزب الماباى نفسه، لا عن طريق عملية حزبية مشتركة، كما أن مقدرة الماباى الفائقة والمثيرة على استيعاب الأفكار والسياسات والأحزاب الأخرى قد ضمنت قدرًا عاليًا من الاستقرار فى الأوضاع الحكومية ككل.

وتتجلى سيطرة حزب الماباى وتفوقه فى المبادئ الأساسية لبرنامج الحكومة، ولهذا فإن «بن جوريون» و«شاريت» قد اشتركا فى وضع المبادئ الخمسة للسياسة الخارجية فى عام ١٩٤٩، وكذلك البيان الموجز لعام ١٩٥١، وقد سلم شركاء الائتلاف من أحزاب الأقلية – مثل الكتلة الدينية والتقدميين – بزعامتهما، وفى عام ١٩٥٥ اتجه التحول نحو زيادة الاستعداد العسكرى وحماية مستوطنات الحدود، نتيجة للضغط الذى مارسه حزب أحدوت هافوداه المتطرف، الذى كان قد انضم إلى الائتلاف، وقد نتج ذلك عن تزايد إرهاب الحدود وعن عودة «بن جوريون» إلى السلطة بعد فترة من النفى الذاتى فى الصحراء.

وفى حملة الانتخابات الرابعة عام ١٩٥٩ أعلن (حزب الماباى) عن برنامج للسياسة الخارجية يتألف من ثمان نقط، وقد كان لكافة الموضوعات العامة موقعها فى الخطوط العامة الموجهة للائتلاف ومع الاختلاف فى الصياغة، مثل تغيير عبارة «العلاقات الودية مع كافة دول العالم» إلى «العلاقات الودية مع كل الدول المحبة للسلام»، وقد حذفت من البرنامج اثنتان من المسائل ذات المنفعة العامة كانت محل عناية حزب الماباى واهتمامه، وهما: العلاقات التجارية مع كافة الدول، وحرية المرور فى قناة السويس، وكانت كافة الأحزاب فى إسرائيل تشارك فى الاهتمام بهاتين المنفعتين كما طرأ تعديل واحد بارز فى المبادئ الأساسية للحكومة الجديدة، وكان هذا التعديل فى صورة إضافة دعوة إلى نزع السلاح العام والشامل فى دول العالم، وفى دول الشرق الأوسط خاصة، وكان إدخال هذه الإضافة يرجع – على الأرجح – إلى ضغط حزب المابام، كما كان يرجع أيضاً إلى المفاوضات المكثفة التى كانت تهدف إلى تحديد الأسلحة فى ذلك الوقت.

وقد أصدر حزب الماباى برنامجا مماثلا للسياسة الخارجية فى عام ١٩٦١ مؤلفا من ثمانى نقاط، ومرة أخرى تدمج الموضوعات العامة فى برنامج الحكومة، كما حذفت الإشارة إلى قناة السويس، بيد أن وثيقة الماباى قد تضمنت هدف نزع السلاح العالمى والإقليمي، وقد أشارت الوثيقة إلى أفريقيا، ودعت إلى الاعتراف بحق كل شعب فى أن يتحرر من الحكم الأجنبى ولم يخالف أى حزب إسرائيلي هذا المبدأ الذى كرره كل من حزب الماباى وحكومة الائتلاف فى عام ١٩٦٦، والواقع أن كافة القيم والمبادئ التى أعلنتها الحكومة الجديدة كان قد تبناها حزب الماباى فى الحملة الانتخابية لمجلس الكنيست السادس، وفى ذلك الوقت كان قد تحقق (المعراخ) أي الانضمام بين حزبى الماباى وأحدوت هافوداه، وأصبح من اليسير تبين تأثير الحزب الأصفر فى البرنامج المشترك، ومن بين النقاط الست فى برنامج الانضمام الآتى بيانها، والتى لم تظهر فى برنامج الحكومة، يبدو أن النقاط من ٢ إلى ٥ كانت من وحى حزب إحدوت هافوداه.

١- قدر أكبر من التفاهم والتعاون مع الاتحاد السوفيتي.
٢- علاقات طبيعية مع الهند .
٣- صلات مع الصين .
٤- وقف التسلل.
٥- استمرار الرقابة البرلمانية على قوات الدفاع من خلال لجنة الكنيست للشئون الخارجية والأمن، والرقابة الحكومية عن طريق اللجنة الوزارية للدفاع.
٦- وضع ترتيب ملائم مع المنظمة الاقتصادية الأوروبية.

أما أبرز إضافة لبرنامج الائتلاف فكانت الإشارة إلى خطر النازية وللمطلب الشعبى المتزايد فى ألمانيا الغربية بشأن تحديد المهلة القانونية المسموح بها فى مباشرة الدعوى الجنائية ضد المتهمين بارتكاب جرائم عنصرية فى عهد ألمانيا النازية.

والواقع أن برنامج السياسة الخارجية لحزب الماباى وبرنامج حكومة الائتلاف كادت أن تكون متماثلة، وبوجه عام كانت النغمة السائدة تركز على القوة وعلى المصالح القومية كما أن مفاهيم الماباى الديمقراطية واعتماد إسرائيل على المساعدات الأمريكية تجذبه نحو الغرب.



٢ ـ اليسار العقائدي

أولاً : حزب المابام «حزب عمال إسرائيل»:

إن مفتاح سياسة المابام الخارجية يكمن فى أصولها العقائدية المزدوجة، الأصول الماركسية والأصول الصهيونية، وكما هو الحال مع حزب الماباى، هناك سمات اشتراكية وسمات قومية نظرة المابام وفى مفهومه للعالم إلا أن ترتيب الأولوية معكوس: فحزب الماباى كان فى جزء منه وليداً للديمقراطية الاشتراكية، على النحو الذى تجلت به، بصفة خاصة، فى الثورة الروسية عام ١٩٠٥، وكانت الدفعة الأساسية لهذا الحزب هى صعود نزعته القومية فى أواخر القرن التاسع عشر، وتعبيرها اليهودي الكلاسيكي المتحد فى «الصهيونية» وقد كان هدف حزب الماباى الرئيسي منذ أمد بعيد هو إحياء «الكومنولث اليهودي» فى أرض فلسطين، ولتحقيق هذه الغاية، كان من الضرورى تصحيح التحريفات فى التطور القومي اليهودي خلال آلاف السنين من الشتات، وكان ذلك يتطلب، بدوره، مجتمعاً طبيعيًّا من العمال فى الأرض وفى المدينة وكانت الاشتراكية تعنى – فى مفهوم الماباى – مجتمعاً تعاونياً تحظى فيه مصالح الطبقة العاملة بالرعاية، كما أن اشتراكية الماباى عملية واقعية – ولا تميل فى المذهبية والمبادئ بنفس الدرجة التى عليها الأحزاب الأخرى فى إسرائيل.

أما حزب المابام أو بالأحرى، حركته المنظمة (الحارس الفتى) فقد استلهم الروح القومية من العقيدة الصهيونية، ولكن جوهر نظرته العالمية كان مبادئ السيطرة الشعبية الروسية والماركسية اللينينية التى بلغت الذروة فى ثورة ١٩١٧، وكان ثمة التزام بإحياء النهضة اليهودية على أرض فلسطين.

وقد أسس حزب المابام عام ١٩٤٨ نتيجة لاندماج الفئات اليسارية المؤلفة من هاشومير عاتزائير Ha-shomer Ha-tsa'ir (الحارس الفتى) و«أحدوت هافودا» Ahdut Ha'avodan (العمال الصهاينة اليساريين) زيون سمولThe left Po'alie Tzyon وترجع جماعة هاشومير هاتزائير فى أصولها إلى أوروبا الشرقية إبان الحرب العالمية الأولى.

وفى أول حملة انتخابية فى عام ١٩٤٩ دعا حزب المابام إلى انحياز إسرائيل إلى القوى التى يتزعمها الاتحاد السوفيتى، كما ردد الحزب صدى الخط العام للحركة الشيوعية الدولية، أى خطر الابتزاز الذرى للولايات المتحدة على السلام، وعودة النازية إلى الظهور فى ألمانيا الغربية، وما إلى ذلك، وخلال المعونة العسكرية والدبلوماسية للكتلة السوفيتية فى حرب ١٩٤٨، لم يكن هذا الموقف منافيا للاتجاه الشعبي داخل إسرائيل.

وكانت دعوى حزب المابام، أو القضية التى يدعو إليها على المستوى العالمي، متوافقة ومتطابقة تطابقًا فعليًّا فى عام ١٩٥١، باستثناء التأييد الإضافى للكتلة السوفيتية بالنسبة لحرب كوريا ولبرلين، وقد أدت عدة أحداث – تبدأ بمحاكمات براغ عام ١٩٥١ وتنتهى بمحاكمة الطبيب The Doctor's Trial عام ١٩٥٣، وكرد فعل لموقف السوفيت من مشكلة الشرق الأوسط وحقوق العرب المشروعة فى فلسطين، إلى أن يغير حزب المابام اتجاهاته التى كانت موالية للسوفيت.

لقد حددت السياسية العالمية لحزب مابام فى عام ١٩٥٥ الاتجاه السائد بالنسبة للعشر سنوات التالية، ولذلك فإن البرنامج الانتخابي للحزب لعام ١٩٥٩ قد دعا إلى سياسة الاستقلال والحياد والسلام والاستشهاد بمتطلبات أمن إسرائيل، وبأن الشعب اليهودي مبعثر بين الأوضاع الاجتماعية المختلفة وقد تأكد ذلك من التعهد بأن إسرائيل لن تنحاز إلى أى كتلة من الكتل الكبرى، وأنها لن تدخل فى أى أحلاف عسكرية أو سياسية، أما فى الحملة الانتخابية السادسة فقد تكررت هذه السياسية حرفيًّا، مع المطالبة بمحاولة تحسين العلاقات مع الاتحاد السوفيتى.

وتبدو سياسة حزب المابام نحو العرب، فى نظر العديد من الإسرائيليين سياسة متناقضة ومتضاربة، فقد تحولت من مبدأ الدولة ثنائية القومية إلى مبدأ التنازلات إلى مبدأ التوفيق والمصالحة والتعاون، مع العداوة للملك حسين ثم إلى الدعوة للاتحاد مع الأردن بعد اكتمال الدائرة فى أعقاب حرب ١٩٦٧.

ففى عام ١٩٥٥ تعهد حزب المابام بالنضال دوما من أجل «المفاوضات المباشرة» لتحقيق السلام وضمان الحقوق العادلة والتطور الحر لكل شعوب المنطقة، أما برنامج عام ١٩٥٩ فقد كان أوسع نطاقا: دعوة متجددة للمفاوضات المباشرة « دون أى شروط مسبقة فى هذه المرة، وتحييد الشرق الأوسط، ووقف سباق التسلح، وضمان من الدول الكبرى للسيادة وللحدود القائمة لكافة دول المنطقة، وكذلك مبادرة من أجل الحل العملى السريع لمشكلة اللاجئين فى إطار التسوية السلمية الشاملة، مع إسهام إسرائيل بنصيب فيها، والتعاون الإقليمي الواسع

ولقد تكررت هذه النقاط جميعها فى عام ١٩٦٥ مع تعديل واحد – ذلك هو صدور تصريح أكثر تحديدًا يتعلق باللاجئين العرب – وقد جعلت حرب الأيام الستة من الميسور بالنسبة لحزب المابام أن يعود إلى اختياره العقائدى الأول، أى إلى مبدأ الدولة ثنائية القومية، وإن كانت فى شكل جديد، ففى عام ١٩٦٨/١٩٦٧ عارض الحزب ضم الضفة الغربية وأيد الاتحاد الكونفيدرالي مع مملكة الأردن، ونتيجة هذا الاتحاد الكونفيدرالي هى إيجاد كيان سياسي مكون من أمتين فوق أرض إسرائيل التاريخية، وإن كان هذا الكيان أوسع إطارًا من دولة واحدة ثنائية القومية، فهو سوف يسهل حل مشكلة اللاجئين.

والحقيقة أن هناك تضاربًا منطقيًا كبيرًا فى سياسة حزب المابام الداخلية والخارجية، ففى الوقت الذى يدعو فيه إلى مساواة العرب التامة لا يتورع عن الدعوة إلى تقوية الجيش ولا عن المطالبة بالقدس عاصمة لإسرائيل، فالحزب يطالب بالقدس موحدة وضم غزة إلى إسرائيل وتعديل الحدود لتأمين سلامة الدولة وجعل المرتفعات السورية منطقة حرام وإبقاء القوات الإسرائيلية بها.

وكما هو الحال عند كافة أحزاب إسرائيل، كانت البرامج الانتخابية لحزب المابام تحتوى على أفضليات قليلة و شحيحة بالنسبة للدول الأخرى، فكان التصور أن الارتباطات الثنائية أقل أهمية من النظم العالمية والإقليمية، بغض النظر عن الدولتين الأعظم، أما الدول الأخرى الوحيدة التى كان يرد ذكرها فكانت ألمانيا الغربية والصين الشعبية.. وكان حزب المابام يعارض قبول التعويضات الألمانية فى عام ١٩٥٢/١٩٥١ وكذلك شراء الأسلحة منها، كما كان يعارض إقامة العلاقات الدبلوماسية معها فى عام ١٩٦٥ باعتبارها الدولة التى خلفت النظام النازى، أما بالنسبة للصين الشعبية فقد أيد الحزب حق جمهورية الصين الشعبية فى الانضمام إلى الأمم المتحدة واستعادة التكامل الإقليمي للصين.

ويعتمد الحزب على جهازه الإعلامي القوى فى الداخل والخارج وجريدته الرئيسية «عال هاميشمار» Al-Hamishmar وله جريدة عربية «المرصاد» وعدد من الدوريات والمجلات الأسبوعية والشهرية التى تصدر بعدد من اللغات، وأهمية المابام تعود لقربه من الماباى من حيث العقيدة، إذ أنه – نظريًا على الأقل – أقرب الأحزاب إليه- وإمكانية التعاون بين الاثنين لتأليف الحكومة واردة.

ثانياً : حزب ماكي :

من الواضح أن الحزب الشيوعي الإسرائيلي ينتمي إلى اليسار العقائدي، إلا أنه أقل تمثيلا لهذا الاتجاه المنافس من حزب المابام : والواقع أن حزب الماكى الشيوعى كان إلى أواخر الستينيات، يفتقر إلى الشرعية داخل النظام السياسي الإسرائيلي، والسبب فى ذلك: عداؤه الشديد للمبادئ والمثل والعقائد والأهداف التى بنيت عليها الصهيونية، أى الأساس العقائدي للدولة، فهو الحزب السياسي الوحيد الذى يعادي الصهيونية صراحة، وقبل قيام إسرائيل، كان ذلك يعنى تحبيذ إنشاء دولة عربية مستقلة داخل فلسطين، أما بعد ذلك فقد أصبح يعنى اتهام سياسة إسرائيل فى كل صراع مباشر مع الدول العربية، وقد كان ينظر إلى السياسة الإسرائيلية على أنها قناع لإخفاء خطط الاستعمار البريطانى والأمريكي، ومن ثم فقد بقيت سياسته أمراً شاذا، على طرفى نقيض مع كافة الألوان والاتجاهات الحزبية.

والحزب الشيوعي الفلسطيني، الذى تأسس فى عام ١٩١٩، كان معظم أعضائه فى البداية من اليهود الذين بدأوا ينشطون مع المثقفين العرب الذين اعتنقوا المبادئ الماركسية من خلال دراساتهم فى أوروبا، ومنذ البداية والحزب الشيوعي يحمل فى طياته مجموعة من المتناقضات التى أدت إلى عدد من الانشقاقات فى داخل صفوفه ليس أقلها وجود عرب ويهود لكل منهم أفكار خاصة على الرغم من غطاء الماركسية الذى يجمعهم، ومن التناقضات كذلك محاولة الأعضاء اليهود أنفسهم التوفيق بين الصهيونية كعقيدة والأفكار الماركسية حتى إن نفرًا منهم والذين لم ينجحوا فى التوفيق فضلوا مغادرة البلاد والعودة إلى الاتحاد السوفيتى، فالحزب كان يتهم الصهيونية بالعمالة إلى الإمبريالية البريطانية وكان يعارض الانتداب البريطانى على طول الخط، كما ناضل الحزب ضد الهجرة اليهودية وضد كل الجهود المبذولة لزيادة الاستقلال الذاتى اليهودي، وضد كافة المبادئ المختلطة، مثل الصهيونية الماركسية التى يعتنقها حزب المابام بما يهدف إليه من إقامة دولة ثنائية القومية، كما تعاون الحزب الشيوعي الفلسطيني مع حركة الثورة العربية فى الفترة ١٩٣٦-١٩٣٩. إلا أن حزب الماكى، وهو الذى خلف الحزب الشيوعي الفلسطيني كان من الأطراف التى وقعت على وثيقة إعلان الاستقلال فى الخامس عشر من مايو ١٩٤٨، وكان «شيمويل ميكونيس» Shmuel Mikunis سكرتير عام الحزب عضوًا فى مجلس الدولة المؤقت، وبعد تأسيس الدولة بفترة تبنى الحزب نظرية الحياد وبدأ بالدعوة إلى عقد مفاوضات مباشرة بين العرب وإسرائيل ثم عاد وغير رأيه مرة ثانية بعد دخول الاتحاد السوفيتى إلى المنطقة وبدأ بمهاجمة الإمبريالية الأمريكية.

وقد حدث انشقاق داخل صفوف الحزب عام ١٩٤٣ وخروج العرب منه والعمل تحت اسم عصبة التحرر الوطنى بينما استمر الأعضاء اليهود بالعمل تحت اسم الحزب الشيوعي الفلسطيني. واستمر الجناحان يعملان بشكل مستقل حتى عام ١٩٤٨ حتى انضما مرة ثانية.

وكانت صورة حزب الماكي العالمية والإقليمية صدى حقيقيًّا للخط الشيوعي الدولى عبر سنوات طويلة، وليست ثمة حاجة إلى بحث هذا الموضوع فى هذا المقام، وبالمثل كانت المطالب الخاصة بالسياسة، وكان ذلك على نحو مؤكد إلى أن حدث الانشقاق فى عام ١٩٦٥ إلى حزب يهودي فى أغلب أعضائه بحكم الواقع (حزب ميكونيس سنيح Mikunis Sneh) الحزب الشيوعي الإسرائيلي، ثم حزب عربى فى أغلب أعضائه (حزب طوبى – ويلنر Toubi – Wilner) حزب «الشيوعيين الجدد» New Communists «المعروف بحزب راكاح».

وفى السنوات الأولى التى أعقبت قيام إسرائيل كان حزب ماكى يؤيد الانحياز إلى جانب القوى المحبة للسلام بزعامة الاتحاد السوفيتي. وبحلول عام ١٩٥٥ دعا الحزب إلى انتهاج سياسة خارجية مستقلة للسلام وللاستقلال وللأمن القومى – وكان هذا يعنى فى جوهره – تحرير السياسة الخارجية لإسرائيل من تبعيتها للولايات المتحدة، وإقامة علاقات طبيعية مع كافة الدول على أساس المساواة والاحترام المتبادل، وعدم الاعتداء والتعايش السلمي. وقد حدد الحزب مصلحة إسرائيل القومية بإنهاء الحياد، وذلك فى الحملات الانتخابية فى عامى ١٩٥٩، ١٩٦١، وكان هذا يعنى بالتالى، إقامة علاقات ودية مع الدولة الاشتراكية.

أما سياسة حزب ماكى تجاه الصراع العربي الإسرائيلي فتبدو شديدة الشبه بسياسة حزب المابام، وقد طالب الحزب فى عام ١٩٥٥ بمفاوضات مباشرة دون تدخل امبريالي ودون شروط مسبقة. وفى عام ١٩٥٩، ثم فى عام ١٩٦١، طالب الحزب بالاعتراف بالحقوق القومية العادلة لكلا الشعبين (الإسرائيلي والفلسطيني) على أساس النظرة بأن فلسطين هى الأرض والوطن القومى للعرب واليهود، ومن ثم يطالب بحق اللاجئين العرب فى العودة، وعلى المستوى الثنائي لم يرد ذكر أى دولة سوى ألمانيا الغربية وجمهورية الصين الشعبية، وكان ذكر الدولة الأولى من زاوية اللوم والنقد، أما الثانية فبوصفها الممثلة الشرعية لسبعمائة مليون نسمة داخل الأمم المتحدة.

ورغم الانشقاق الذى حدث فى عام ١٩٦٥، فإنه لم تكن هناك خلافات حادة فى برامج ومواقف السياسة الخارجية، فقد طالب حزب ماكى بسياسة إسرائيلية خارجية مستقلة غير منحازة تجاه أى كتلة عالية ضد كتلة أخرى، كما اتخذ حزب الشيوعيين الجدد (راكاح) (Rakah) نفس الموقف دون ذكر للحياد. وأيد الحزبان قطع العلاقات مع ألمانيا الغربية، بل إنه حتى على المستوى القومى فقد دعا الحزبان إلى بذل الجهود لتحقيق تسوية على أساس الاعتراف المتبادل بالحقوق المشروعة لكلا الشعبين، ورغم ذلك فقد كان ثمة اختلاف فى النغمة وفى التوقيت وفى الألفاظ نفسها، فالشيوعيون الجدد (راكاح) أعلنوا «أنه لابد أن تعترف إسرائيل أولاً بحق اللاجئين العرب فى الاختيار بين العودة إلى وطنهم أو الحصول على تعويضات»، وذلك فى رأيهم، هو السبيل إلى اعتراف الدول العربية بإسرائيل، أما حزب ماكى فلم يطرح مثل هذا المطلب، وفضلا عن ذلك فإن الشيوعيين الجدد كانوا يشيرون بشكل مستمر، إلى فلسطين والمشكلة الفلسطينية، أما حزب ماكى فكان يتجنب ذلك.

ولقد تكشفت الخلافات بين حزب المابام وحزب ماكى وكافة الأحزاب الأخرى حول قضية اللاجئين العرب فى مناقشة جرت فى الكنيست عام ١٩٦١، فقد طرح أحد أعضاء المباى اقتراحا مؤداه أن الحل الوحيد هو توطين اللاجئين فى الدول العربية، وكانت نتيجة التصويت ٦٣ صوتا لتأييد الاقتراح، مقابل ١١ صوتا تعارضه وامتناع ١٣، وقد جاء فى اقتراح لحزب المابام أن إسرائيل سوف تكون على استعداد – فى إطار مفاوضات السلام – لأن تناقش عودة عدد محدد متفق عليه من اللاجئين، وقد أيد هذا الاقتراح سبعة أصوات وعارضه ستون صوتا، أما اقتراح حزب الماكى الذى يطالب بالاختيار الحر المتاح أمام اللاجئين العرب إما بالعودة أو الحصول على التعويضات فقد قوبل بالرفض من جانب أغلبية أكبر.

ويعتمد الشيوعيون أكبر الاعتماد على الأقلية العربية، فقد وجدت فى الحزب الشيوعي المتنفس الوحيد الذى تستطيع من خلاله إعلان احتجاجها، وينال الشيوعيون أكثر من نصف الأصوات التى يحصلون عليها من الأقلية العربية.

ومن أسباب قوته فى الأوساط العربية بالإضافة إلى كونه المتنفس غير الصهيوني الوحيد: أنه دافع عن حقوق هذه الأقلية وطالب مبكراً بإلغاء الحكم العسكرى عليها، كما يطالب بإعادة جميع الأراضى التى لم يعيدها قرار التقسيم إلى إسرائيل ويطالب الحزب بحقوق متساوية للعرب وعودة اللاجئين إلى ديارهم أو بتعويضهم وعارض راكاح فقط الهجرة غير المحدودة إلى إسرائيل وقد طالب الحزب بكتابة دستور يضمن حقوق جميع الأفراد، وبإلغاء المحاكم والقوانين الدينية من البلاد.

والحزب الشيوعي الإسرائيلي قبل الانشقاق الأخير وبعده حزب ضعيف على وجه الإجمال، ويعود ذلك إلى عدائه الصريح للصهيونية ولهذا فإنه بقى على هامش الحياة السياسة، فقد استثنى فى البداية من الاشتراك فى الحكومات الائتلافية ولا يسمح لأعضائه فى الكنيست بالاشتراك فى اللجان المهمة به وفى عام ١٩٥٥ أى عندما وصلت قوة الحزب المتحد إلى قمتها، لم يحصل الحزب إلا على ٤.٥١% من مجموع الأصوات الانتخابية، ويعود ضعفه كذلك بسبب تبنيه الدفاع عن حقوق الأقلية العربية واستثنائه العملى من الحوار الهادف إلى رسم أهداف الدولة ووسائلها، فالأقلية العربية والتى تشكل مركز ثقله السياسي مستثناه من الحوار أصلا وكانت ترزح تحت الحكم العسكري، أضف إلى ذلك أن الحزب بعدائه للمفاهيم الصهيونية لم يؤسس لنفسه، كغيره من الأحزاب لا مزارع جماعية ولا تعاونية، وهكذا فلا توجد له جذور عميقة فى المجتمع اليهودي، كما وأنه لا جذور له لدى الطبقة العاملة، ولم يوافق الهستدروت على اشتراك الشيوعيين فيه إلا عام ١٩٦٩ عندما انتخب عضو واحد من راكاح فى هيئته التنفيذية، وهكذا فقد بقى الحزب على أطراف المجتمع السياسي لا يتمتع بنفوذ أو بسمعة جيدة.

ثالثاً : حزب أحدوت هافوداه :

يرجع حزب «أحدوت هافوداه» فى أصوله التاريخية إلى أوروبا الشرقية حيث ابتدأ كحركة اشتراكية صهيونية بعد الحرب العالمية الأولى، ومن ثم انضم إلى المنظمة العالمية لعمال صهيون وقد كانوا يمثلون في السنين التى سبقت الانتداب البريطانى على فلسطين طابعا عمليًا متطرفًا يدعو إلى الاشتراكية الدولية، وفى عام ١٩٢٩ انضم إلى حركة العامل الفتى لتكوين حزب الماباى ولكنه عاد وانفصل عن هذا الحزب عام ١٩٤٤ لشعوره أن الماباى قد تبنى خطأ إصلاحيًا وسطًا ولا يحجم عن مساومة الرأسمالية ومهادنتها، وقد بقيت حركة «أحدوت هافوداه» مستقلة تعتبر نفسها حركة تتوسط الماباى وحركة الحارس الفتى حتى عام ١٩٤٨ حين اندمجت مع الأخير وحركة العمال الصهاينة اليساريين ليشكلوا معا حزب المابام.

ثم عاد «الأحدوت هافوداه» فانسحب من المابام عام ١٩٥٤ مؤكدا صهيونيته ومعاداته للاتحاد السوفيتى، وقد أوضح مؤتمر أحدوت هافوداه المنعقد فى مايو ١٩٦١ أن قادة الحزب يسعون إلى تحويل حزبهم إلى نموذج حى من حزب الماباى أو الاتحاد معه فى نهاية الأمر وهذا ما حدث فى سنة ١٩٦٨، وقد انضم اليهود عام ١٩٦٨.

وقد عارض الحزب مقترحات المابام والماكى بالنسبة للاجئين العرب، والواقع أن حزب أحدوت هافوداه تجاه هذه القضية وتجاه الصراع العربى الإسرائيلي يتسم بالتطرف والتشدد، أما نظرته العالمية فإنها تتسم رغم ذلك، بسمة اشتراكية راسخة وحقيقية.

وهناك جذور متعددة لهذه الصورة الثنائية المزدوجة، وهذا التشعب المرتبط بذلك فى مطالب السياسة الخارجية، من هذه الجذور أو الأصول التركيب العقائدي لحزب أحدوت هافوداه – ذلك التركيب الذى جمع بين نفس سمات الماباى والمابام، أى القومية والاشتراكية، وإن كان ذلك بنغمة وتركيز مختلفين، ومن الأصول أو الجذور الأخرى شخصيات زعماء الحزب، وثمة أصل ثالث هو دور الحركة الأصلية المؤسسة فى مرحلة النمو فيما قبل قيام الدولة وإبان وقت المستعمرات الزراعية والييشوف Yishuv وينعكس هذا كله على المسلك الحزبي الواحد المتماثل لحزب أحدوت هافوداه بوصفه الكيان السياسى، وذلك هو البحث الدائم عن الوطن، فقد كان يغير الولاءات بطريقة مستمرة لا نظير لها.

وكان حزب أحدوت هافوداه، طوال تاريخه المتشعب، يحتفظ بولاء مجموعة متماسكة من الأعضاء، كما كان يحتفظ بقاعدة تنظيمية – سواء فى المستعمرات الجماعية «هاكيبوتز هاميوهاد» لكن الخلافات المذهبية مع الماباى لم تكن بالخلافات العنيفة التى لا يمكن تخطيها، فقد كان كلا الحزبين وريثين لتقاليد وتراث الصهيونية العالمية، وكلاهما ملتزمان ببعث الكومنولث اليهودي، وكلا الحزبين يتقبلان مبدأ المجتمع الاشتراكى، ولكن إزاء تحرك حزب الماباى من الأرض (الريف) إلى المدينة، وبعد أن أصبح حزبًا قوميًّا، فقد شجبت سمات اشتراكيته التى أصبحت فى المرتبة الثانية، وظلت حركة أحدوت هافوداه حركة زراعية فى جوهرها.

وقد أصبحت الثغرة العقائدية باهتة شاحبة بمرور الوقت، أما ما بقى بين الماباى وأحدوت هافوداه فكان الشقاق حول نزعة التطرف والتشدد تجاه البريطانيين والعرب على السواء، وهو موقف سيكولوجي نحو الصراع السياسي، وكان هذا الصراع أول ما كان بين «بن جوريون» و«تابنكين» Tabenkin ، وقد ازداد عمق صراع الشخصيتين، ثم تداخل هذا الصراع مع المنافسة الحزبية فى موضوع قوات الدفاع للمستعمرات الزراعية إبان حرب ١٩٤٨.

ولقد كانت حركة أحدوت هافوداه ، في جوهرها ، قطاعا من حزب الماباى، مع شباب أكثر تطرفاً وأضيق ذرعاً وأشد حيوية وديناميكية، ولكنها ظلت حركة حزب عمال صهيوني رغم ذلك كله، وكان الحزب أكثر التزاما بالأفكار الاشتراكية من حزب الماباى، وأقل التزاماً بهذه الأفكار من حزب المابام ، وكان أشد تطرفاً فى نزعته القومية من المابام وأكثر تشدداً وحيوية من كلا الحزبين ومن هنا يمكننا تصنيف حزب المابام على أنه حزب اشتراكي يساري، والماباى حزب ديمقراطي اشتراكي، وأحدوت هافوداه حزب قومى يسارى، و هذا الموقف المتوسط فى وضع يسار الوسط ضمن مجموعة اتجاهات السياسة الإسرائيلية يتمثل و ينعكس، وكذلك فى مطالب السياسة الخارجية التى يطرحها حزب أحدوت هافوداه.

كان حزب أحدوت هافوداه خلال الحملتين الانتخابيتين الأولتين (١٩٤٩، ١٩٥١) جزءاً لا يتجزأ من حزب المابام، وكان يشارك فى حركة «الهاشومير هاتزائير» (حرس المزارع الجماعية) نحو الانحياز إلى الكتلة السوفيتية، وعقب قيام دولة إسرائيل لم ينتهج سياسة متشددة نحو الدول العربية، وقد ظهرت هذه النظرة الثنائية خلال انتخابات ١٩٥٥، و هى الانتخابات التى خاضها حزب أحدوت هافوداه باعتباره حزبًا مستقلاً قائمًا بذاته.

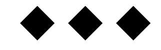
وقد طالب حزب أحدوت هافوداه ، فى عبارات أكثر وضوحًا وأشد وقعاً بالعودة إلى سياسة الاستقلال و عدم التطابق أو التماثل، ومعارضته إعادة تسليح ألمانيا الغربية، وتأييد التعايش السلمي، وحظر الأسلحة النووية، وقبول الصين الشعبية فى الأمم المتحدة، واستعادة التكامل الإقليمي للصين (أى أن تكون هناك صين واحدة)، وكذلك تأييد جهود التحرير الوطنى للشعوب المستعبدة.

أما الانشقاق على حزب المابام ونزعة التطرف التى سبق أن لمسناها فقد كان من الظواهر الواضحة فى السياسة التى تؤدى بها بالنسبة للمنظمة، وبعد الاعتراف والإقرار بضرورة السلام، هاجم أحدوت هافوداه النهج الذى تسير عليه جماعة حرس المستعمرات الزراعية (الهاشومر هاتزائير) والقائم على المصالحة والتوفيق، فكان حزب أحدوت هافوداه يرى أن حدود التاسع والعشرين من نوفمبر التى حددها قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة فى عام ١٩٤٧، وكذلك مفهوم الدولة ثنائية القومية من المفاهيم البالية.

ويجب عدم تقديم أى تنازلات إقليمية، كما يتعين إعادة توطين اللاجئين العرب فى أراضى البلاد العربية وذلك بالمساعدة الدولية، وسوف تكون إسرائيل على استعداد للمساعدة فى إطار المفاوضات من أجل سلام دائم، وأن السلام لن يتحقق إلا من خلال التغيير الاجتماعى فى العالم العربي وتعاظم قوى السلام العالمية، وأنه يجب علينا فى الوقت نفسه أن نكون على استعداد لجولة ثانية، ولا بد من دعم جيشنا وأمننا، ولا بد أن نسحق حوادث الحدود بالقوة إذ ألزم الأمر.

وفى مطلب السيطرة الحكومية الفعالة على مؤسسة الدفاع، وأكثر من ذلك تحديدًا أن الحزب كان يصر على ضرورة إحاطة الوزراء كلهم بالقرارات السياسية وبالعمليات فى كافة المجالات، ولا سيما مجال الدفاع والشئون الخارجية، وقد كانت المفاوضات السرية الخاصة بالأسلحة مع ألمانيا الغربية فى عام ١٩٥٧ – ١٩٥٨ وراء طرح هذا المطلب، وبحلول عام ١٩٦٥ كان حزب أحدوت هافوداه جزءًا من حركة التحالف كما أن النفوذ الأقوى لحزب الماباى فى حركة التحالف قد حدد هذه النغمة.

هذا وتعود أهمية حزب أحدوت هافوداه إلى سيطرته على البالماخ قبل قيام الدولة، وإلى اشتراكيته المتوسطة بين الماباى والمابام وإلى ثقله فى الهستدروت وقاعدته فى الكيبوتز.



٣ ـ اليمين القومى (حزب حيروت)

إن من أسباب ضآلة ما يحرزه الحزب الشيوعي من نجاح أن حزب حيروت قد سبقة فى الاستيلاء على معظم ما له من جاذبية بوصفه الحزب المعبر عن احتياجات سكان المدن، وإذا كان الماباى وحتى انتخابات الكنيست الثاني كما هو حزب المؤسسة الحاكمة، فإن حيروت هو حزب المعارضة، وقد ظلت أحزاب أخرى فى موقف المعارضة لفترات طويلة، ولكن حزب حيروت وحده (باستثناء الحزب الشيوعي) لم يدخل فى أية وزارة ائتلافية حتى يونيه ١٩٦٧ عندما قامت حكومة ائتلافية سميت حكومة الوحدة الوطنية من جميع الأحزاب ما عدا الشيوعيين، ثم دخل مرة ثانية فى الحكومة الائتلافية التى تشكلت عقب الانتخابات للكنيست السابع عام ١٩٦٩ وخرج من ائتلاف الحاكم نتيجة لقبول الحكومة القائمة مبادرة روجرز فى ذلك الوقت.

ومقياس نجاح حزب حيروت يتركز فى مضاعفته للناخبين المؤيدين له بين عامى ١٩٥١ ، ١٩٦١ فانتقل من نسبة ٩.٩٤% من الأصوات إلى نسبة ١٣.٧٦% وقد كان ثانى أكبر الأحزاب فى إسرائيل بين عامى ١٩٥٥، ١٩٦٥، ويساوى حزبي المابام والأحدوت هافوداه معا، وسيطر على سبعة عشر مقعدا برلمانيا من المائة والعشرين مقعدا، وفى عام ١٩٦٥ انضم إلى جناح يمين الوسط (الأكثر اعتدالا) لحزب الأحرار، وقد سمى الائتلاف الجديد بكتلة جاحال، ونجح فى الحصول على ٢١% من الأصوات الانتخابية فى عام ١٩٦٥، أى أكثر من ضعف عدد الأصوات التى حصل عليها بوصفه الحزب الذى يحتل المركز الثالث، وفى الانتخابات للكنيست السابع عام ١٩٦٩ لم تتقهقر هذه النسبة إلا قليلا، كما أنه فى انتخابات الكنيست الثامن عام ١٩٧٣ حازت كتلة ليكود Likud وحيروت أحد أجنحتها الرئيسية على ٣٩ مقعدا برلمانيًّا.

وقد تأسس حزب حيروت عام ١٩٤٨ ولكن جذوره تمتد إلى ما قبل ذلك بكثير، ففى عام ١٩٢٥ أسس واحد من أبرز زعماء الصهيونية العالمية هو «فلاديمير جابوتنسكي» Viadimir Jabotinsky الحركة الإصلاحية.

وكان برنامج الإصلاحيين العام كما تطور يدعو إلى تغيير سياسة الصهيونية القائمة على التصالح مع بريطانيا والنزوع إلى مساعدتها وضبط النفس تجاه العرب، ويؤكد بدلاً من ذلك، زيادة الاعتماد على النفس والروح العسكرية، ومعارضته السلطة البريطانية علانية وقد كان ما أثار سخط الإصلاحيين هو إقامة بريطانيا لدولة شرق الأردن التى يعتبرها الصهيونيون فى مخططاتهم جزءًا من دولتهم.

فلم يكن «جابوتنسكي» قائماً بمظهر الدفاع السلبي الذى ظهرت به الهاجاناه فى أول عهدها، بل كان يدعو اليهود إلى المقاومة الفعالة والحرب المسلحة لتحقيق أهدافهم، ويعتقد «مناحم بيجين» زعيم الأرجون اللاحق بأن ظهور رجل مثل «دافيد راتزل»، أول قائد للأرجون، كان عاملاً هامًّا من عوامل قيام الأرجون واضطلاعها بتنفيذ دعوة جابوتنسكي، ويصف بيجين دافيد راتزيل أنه «أعظم عقلية عسكرية فى جيلنا» وسواء أكان هذا الوصف وصفا دقيقاً للرجل أو كان مجرد إطراء جندى لقائده، فإن حقيقة الأمر أن الأرجون استطاعت أن تفرض وجودها المستقل عن الهاجاناه وتقوم بأعمالها الإرهابية فى فلسطين.

وقد شرحت الأرجون فى بيان نشرته على الصحافة الأوروبية فى شهر أغسطس عام ١٩٣٩ أسباب قيامها فيما يلى :

١- إن غزو بلد واستقلال أمة مظلومة لا يتوج أبداً بالنجاح إلا حين تدعمه قوة عسكرية.

٢- إن حوادث ١٩٢٠ – ٢١ و١٩٢٩ أثبتت بالتأكيد نية العرب فى استعمال العنف المسلح لمقاومة إنشاء دولة يهودية، وكان موقف اليهود السلبي أمام هذا العنف تشجيعًا للإرهابيين العرب.

٣- لا يمكن لنا أن نعتمد على قوة الانتداب لقهر العنف العربي، فإن الإدارة البريطانية هى ضد الصهيونية وضد اليهودية تماماً، وقد شجعت هذه الإدارة العنف العربي لتبرر نسخ تصريح بلفور والانتداب، وقد بلغت هذه السياسة ذروتها فى كتاب مكدونالد الأبيض فى مايو ١٩٢٩.

٤- ستكون فلسطين فى حالة الحرب نقطة استراتيجية ذات أهمية بالغة للديمقراطية الغربية، وفى أثناء الحرب سيكون حق اليهود التاريخي والقانوني والعاطفى فى فلسطين أقل احترامًا من جانب بريطانيا، وإنه بالاحتفاظ بقوة مسلحة للدفاع عن فلسطين سيكون فى مقدورنا أن نحتل مركزًا يجعل بريطانيا تقبل بإيجاد دولة يهودية.

وقد أحدث نشوب الحرب العالمية الثانية ثغرة فى موقف الأرجون المعادى للبريطانيين ولم يواصل هذا النشاط سوى فرع صغير وغير فعال نسبيا من الأرجون وذلك فى يونيه ١٩٤٠ وأسمت نفسها «لخماى حيروت إسرائيل» أى المحاربون من أجل حرية إسرائيل، وقد عرفت باسم جماعة «شتيرون» نسبة إلى زعيمها «إبراهام شتيرن» الذى كان مساعدًا لدافيد راتزل، قائد الأرجون.

وعقب قيام دولة إسرائيل فرضت حكومة «بن جوريون» تصفية منظمة الأرجون، وكان ذلك حدثا سياسياً أظهر قدرة الحكومة على فرض النظام الداخلي، ولكنها شكلت أيضاً نقطة تجمع لحزب سياسي جديد، وقد كان ذلك حزب «حيروت»، وقد ظل هذا الحزب مخلصًا لخطة الاصلاحيين السياسية من الناحية الأيديولوجية، محولا اهتمامه عن البريطانيين – بعد أن رحلوا – إلى العرب داخل وخارج إسرائيل، كذلك أصر على إنهاء سلطة الهستدروت والاتجاهات الاشتراكية للحكومة، وأولوية العناصر العمالية فى سياسة الحكومة ومؤسساتها، وحيث أن حزب الماباى كان له الدور الأول فى بناء سياسة الحكومة فقد شنت معظم هجمات حزب حيروت عليه، وحيث أن حزب الماباى وبن جوريون على وجه التحديد كانا سبب تحطيم منظمة الأرجون، فقد كانت تلك الهجمات تتسم بروح انتقامية واضحة.

وتنبع معظم تلك المراوغة بين الماباى وحيروت من ذلك العداء الشخصي والفكرى بين «مناحم بيجين» زعيم حزب حيروت منذ تأسيسه كحزب سياسي وحتى عام ١٩٦٦ و«دافيد بن جوريون» زعيم حزب الماباى وحتى عام ١٩٦٣، فكل منهما يسارع باتهام الآخر أمام العامة والخاصة بحقد غير عادى، حتى بالمقاييس الإسرائيلية، وقد أدى ترك بن جوريون لرئاسة الماباى إلى تنقية الجو، مما يجعل قبول الأحزاب الأخرى لحزب حيروت كمتحدث مسئول أمراً سهل التحقيق.

إن دولة إسرائيل الحالية لا تمثل سوى جزء من أرض إسرائيل التاريخية كما هى محددة فى التوراة، وهى – عموما – المنطقة الداخلة فى حدود الانتداب أى ضفتا نهر الأردن، ومن ثم فإن الهدف الأول للسياسة الخارجية لإسرائيل هو إعادة خلق دولة إسرائيل التاريخية، وذلك بتحرير شرق الأردن، ولن يقر لإسرائيل قرار حتى تحقق هذا الهدف.

هذا هو جوهر مفهوم حزب حيروت، وهذا أيضاً هو جوهر مطلبه السياسي، ومن ثم فإن عدداً من المضامين قد أصبح عندئذ واضحاً وملموساً.

وفى الحملة الانتخابية للكنيست التاسع عام ١٩٧٧ أعيد كتابة البرنامج السياسي لكتلة ليكود بزعامة مناحم بيجين من جديد، ولم يتضمن الفقرة التى تنص على عدم تقسيم أرض الضفة الغربية من جديد، وقد ذكر فى الصيغة الجديدة لبرنامج كتلة ليكود «أن حق الشعب اليهودي فى أرض إسرائيل هو حق أبدي لا يمكن التنازل عنه وهو يرتبط بالحق فى الأمن والسلام، وبناء على ذلك فإن الضفة الغربية (يهودا والسامرا) لن تسلم لأي سلطة أجنبية.. وبين البحر وبين الأردن ستكون السيادة الإسرائيلية فقط.

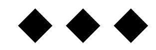
وأن أى مشروع من شأنه التنازل عن أرض الضفة الغربية إنما يقوض من حقنا فى الأرض. و يؤدي إلى إنشاء دولة فلسطينية تهدد المقيمين فى الشرق وتهدد بقاء دولة إسرائيل وتحبط كل فرص السلام.

وقد كان حيروت من الأحزاب التى طالبت بدستور مدون وبنظام الانتخاب النسبي والأخذ بنظام المجلسين. ويطالب الحزب بالتشديد فى معاملة العرب داخل إسرائيل وبسياسة عدوانية توسعية فى المنطقة، كما يرفض مبدأ الحياد ويحمل العداء الصريح للاتحاد السوفيتى بسبب الشيوعية ويدعو إلى عدم إقامة أية علاقات مع ألمانيا وإلى التعاون مع الولايات المتحدة وفرنسا وقد حظيت دولة جنوب أفريقيا بالتأييد بالنسبة لسياسة وقضية التفرقة العنصرية لأنها كانت تقف موقف الود من إسرائيل، وبسبب المصالح اليهودية المحلية هناك.

هذا وبرنامج الحزب السياسي يرفض فكرة العمل الرائد التى تربى على أساسها الكثيرون من زعماء الأحزاب الأخرى، وأهم ما فى الأمر أن حزب حيروت يتوجه بندائه إلى المعدمين من سكان المدن وإلى المهاجرين القادمين من الشرق الأوسط وأبنائهم ساعيًا إلى إيجاد وسيلة للتعبير عن قلقهم وضيقهم.

ولا يهم أن برنامج حيروت السياسي يدعو كذلك إلى إنهاء سيطرة الهستدروت الاقتصادية وإعادة الاتجاه نحو سياسة اقتصادية حرة، و هى مواقف يرفضها بسبب مضامينها العملية، على الأقل معظم مهاجرى الشرق الأوسط، فقوة دفع الحزب – كما يرونها – تكمن فى مجال آخر.

كذلك يعتمد حزب حيروت، فى بعض تأييده، على الطبقة المتوسطة الأكثر استقرارًا من بين سكان المدن، فبعضهم يؤيدونه بسبب اعتراضهم على دولة الرفاهية وبعضهم الآخر بسبب السخط العام على حزب ماباى. وقبل اندماج حزب الأحرار مع حزب حيروت كان أمام مثل هؤلاء الأشخاص فرصة للاختيار السياسي، إذن أن حيروت يشارك أحزب الأحرار يمين إسرائيل السياسي.



٤ ـ الواقعيون العمليون (البراجماتيون)

على النقيض من مجموعات الصفوة الممتازة المتنافسة ذات الطابع العقائدي، لم ينحرف الواقعيون العمليون عن أسس السياسة الخارجية لإسرائيل، فالأحزاب الدينية والصهيونيون العموميون والتقدميون وحزب رافى كانت تشارك كلها حزب الماباى فى موقفه العام حيال الشئون الخارجية، ولعل السبب فى ذلك هو مسلك الماباى باعتباره المقابل الواقعى فى السياسة الإسرائيلية، ولو أنه كانت هناك اختلافات فى النغمة وفى الاتجاه الدقيق فى برامج السياسة الخارجية لهذه الأحزاب.

أولاً : الصهيونيون العموميون :

كانت الحركة العمالية الصهيونية من الروافد الأساسية داخل إطار الحركة القومية اليهودية قبل قيام إسرائيل، وكانت حركة التصحيح رافدًا آخر من جملة هذه الروافد، وكانت الحركة الصهيونية العامة ـ رغم مزاعمها ـ رافدًا ثالثًا، وكان أبرز زعمائها وأكثرهم ذيوعًا فى الصيت «حاييم وايزمان» Chaim Weizmann، الزعيم شبه الدائم للمنظمة الصهيونية العالمية وأول رئيس لدولة إسرائيل، ولقد كان «الحزب الصهيوني العام» إلى جانب «حزب التقدميين» هو الناقل لذلك التقليد الثالث فى سياسات إسرائيل.

وتبدو أوجه الشبه أكثر مما يبدو أوجه الاختلاف بين «الصهيونيين العموميين» وبين «التقدميين» فى النظرة وفى السياسة، كلاهما من أحزاب الوسط، وكلاهما يمثلان الطبقة المتوسطة ويدعمان القطاع الخاص، وهما يناصران حقوق الفرد وفصل الدولة عن الدين، ويتعاطفان مع الغرب ومع قيمه ومثله، ورغم ذلك فهناك اختلافات تتعلق ـ فى المقام الأول ـ بالتركيب الاجتماعى والاقتصادي، وقد حالت هذه الفوارق دون حدوث اتحاد مستمر.

و«الصهيونيون العموميون» من رجال التجارة والصناعة والزراعة، ومن المقاولين من الطراز التقليدي، أما «التقدميون» فهم رجال المهن الحرة، أى رجال القانون والطب والتدريس والصحافة، مع الامتياز فى الناحية المالية، وفضلا عن ذلك فإن قادة حزب «الصهيونيين العموميين» يتميزون بخلفيات وأصول عرقية أكثر تفاوتًا وتنوعًا، ومن ثم فإن «الصهيونيين العموميين» يمثلون العنصر البورجوازى من الطبقة المتوسطة، ابتداء من صاحب المحل الصغير إلى موظف الشركة أو المؤسسة، أما «التقدميون» فهم أساسًا، لسان حال رجال المهن الحرة.

وقد كان «الصهيونيون العموميون» يعارضون الهستدروت معارضة شديدة، وكذلك كانوا يعارضون المشروعات الأخرى غير الخاصة «المشروعات العامة»، وهذا على الرغم من أنهم فى مطلع الستينيات أسسوا حزبًا داخل الهستدروت مثلما فعل حزب حيروت، ولقد رحب «التقدميون» بمبدأ الاقتصاد المختلط وهم ممثلون تمثيلا مباشرًا فى الهستدروت، ومن أهم مبادئ وأهداف حزب «التقدميين» حماية حقوق الفرد، وقد ألقى الحزب بكل ثقله فى المعركة ضد نظام الحكم الديني أو الدولة القائمة على نظام الحكم الدينى «الثيوقراطى» وكانت هذه المثل والقيم أقل أهمية وخطورة بالنسبة «للصهيونيين العموميين» وإذا وضع «التقدميون» فى إطار التراث الأنجلو ساكسوني فهم حزب يساري ليبرالى ينزع إلى الأخذ باتجاه دولة الرعاية والرخاء أما «الصهيونيون العموميون» فهم صغار المحافظين فى إسرائيل.

وأثناء المناقشات التى تمخضت عن تشكيل أول مجلس وزراء إسرائيلي فى مارس ١٩٤٩ أبلغ قادة الصهيونيين العموميين «بن جوريون» بأنه فيما يتعلق بالسياسة الخارجية فهم لا يرون الفوارق الأساسية، وأن وجهة نظرهم هى أن الحكومة يجب ألا تفرق بين القطاعين الخاص والعام الاقتصاديين.

وفى الحملات الانتخابية فى عامى ١٩٥١ و١٩٥٥ طالب الصهيونيون العموميون بإلحاح، بحلف دفاعي مع الولايات المتحدة، وبحلول عام ١٩٥٩ أصبحت تلك الدعوة أكثر مرونة نحو علاقات ودية مع الشعوب والدول فى كافة أرجاء العالم على أساس المصالح المتبادلة، وكذلك الدعوة إلى الاهتمام بدعم جيش إسرائيل، وكذلك استوعب الصهيونيون العموميون دروس حملة سيناء، أما المطلب الوحيد المجرد فكان هو التكامل الاقتصادي مع السوق الأوروبية المشتركة.

وعلى المستوى الإقليمي، كانت نظرة «الصهيونيين العموميين» أقرب ما تكون إلى نظرة حزب الماباى، وهى أن إسرائيل موجودة فى الشرق الأوسط على أساس من الحق، وأن اللاجئين العرب هم مسئولية العالم العربي، وفى نفس الوقت لابد وأن تسعى إسرائيل إلى تسوية سلمية مع جيرانها، ومن أجل تيسير السبيل إلى الحل دعا برنامج عام ١٩٥٩ إلى وضع ميزانية انتقالية مؤقتة – بصفة احتياطية – لمدفوعات التعويض للاجئين العرب من أجل استخدامها فى إعادة توطينهم فى الدول العربية.

ثانياً : التقدميون:

تكون الحزب التقدمى فى الإطار الليبرالى نتيجة لاندماج جماعة المهاجرين اليهود الألمان ويهود أوروبا الوسطى وجماعة من حزب عمالي معتدل، وقد اشترك هذا الحزب فى جميع الحكومات الائتلافية منذ قيام دولة إسرائيل وكان عادة يتولى أحد أعضائه وزارة العدل، وفى عام ١٩٦٥ انشق عن هذا الحزب جناحه المعتدل فأسس حزب «الأحرار المستقلين» الذى بقى دائما كحزب مستقل إلى الآن.

لم يختلف البرنامج الانتخابي للحزب لعام ١٩٤٩ عن السياسة الخارجية للحكومة المؤقتة، وإن كان البعض من أمثال «روزين» قد تحفظوا فى مواقفهم إزاء اندماج القدس داخل إسرائيل، كما دعا البرنامج إلى عدم الانحياز فى الحرب الباردة بين الكتل، والسعى إلى التفاهم مع العرب، وقد سمح لأعضاء الحزب فى الكنيست بحرية التصويت حول قضية التعويضات فى عام ١٩٥١ – ١٩٥٢ إلا أن التقدميين كانوا يمثلون شريكاً مخلصاً فى الائتلاف حول الجدل القائم بالنسبة لمبيعات الأسلحة إلى ألمانيا (١٩٥٧-١٩٥٨) وقد خذل التقدميون توسلات «جولد مان» لإحداث تغيير فى السياسة الخارجية فى مناسبتين : عند اقتراحه فى عام ١٩٥٣ بأن تسعى إسرائيل إلى التكامل والاندماج فى منطقة الشرق الأوسط، وذلك بأن تعرض – لو اقتضى الأمر – الانضمام إلى جامعة الدول العربية، وكذلك عند دعوته فى عام ١٩٥٧ بتحييد منطقة الشرق الأوسط، مع تأكيد إسرائيل لعدم الانحياز.

أما برنامج عام ١٩٦٥ للجناح التقدمى المنشق، الذى يعرف باسم «الأحرار المستقلين»، فقد كان شديد الشبه ببرنامج «التحالف» وعلى المستوى العالمي لم يكن هذا الجناح الجديد يؤيد سوى بذلك الجهد لتحسين العلاقات مع مختلف الكتل، وكان التركيز كله على القضايا العربية والإسرائيلية، وقد نادى الأحرار المستقلون بدعم قوات الأمن، وباتخاذ مبادرة سياسية من أجل تحقيق السلام على أساس الوضع الراهن، وانتهاج سياسة خارجية تستهدف توسيع دائرة القوى الدولية المستعدة لمساعدة إسرائيل، وإبعاد المنطقة عن نطاق الحرب الباردة وعن نطاق منافسة الدول الكبرى، والحصول على ضمانات من الدول الكبرى، واتخاذ إجراءات ضد المقاطعة العربية، كما طالب «الأحرار المستقلون» بتوثيق الصلات السياسية والاقتصادية والثقافية وتبادل المعونة مع الدول النامية، وبالنضال من أجل ضمان حق الهجرة اليهودية من كافة دول الشتات، ولا سيما اليهود السوفيت.

ثالثاً : الأحزاب الدينية:

فـى خضـم الألـوان المتداخلـة مـن السياسـات الإسـرائيلية نجـد أن هنـاك مجموعتين من الأحزاب الدينية : الأولى جماعة «مزراحى» وهى المجموعة الصـهيونية الأرثوذكسـية (أى المتشـددة أو المتزمتـة) التـى تمثـل الطبقـة الوسطى، والمقابل العمالي – الأوسع إطارًا – لهذه المجموعة، وهو حزب «هابوعيـل همزراحـي» ثـم جماعـة متطرفـة مناهضـة للصـهيونية، وهـى «أجودات إسرائيل»، والمقابل العمالى لها «بوعالى أجودات إسرائيل».

وتحتل الأحزاب الدينية مركزًا هاما فى مجال السياسة الإسرائيلية يفوق مكاسبها العددية في الكنيست، ولا يغرب عن البال أنه كان من أهم أسباب قيام إسرائيل كدولة فى منتصف القرن العشرين العامل الديني، وعلى الرغم مـن أن كثيـرًا مـن المـواطنين غيـر متبعـين لأحكـام الـدين، نجدهم يتـأثرون بالمطالب ذات الصبغة الدينية التى تطالب بها هذه الأحزاب.

وعقائد هذه الأحزاب الدينية بشكل عام ترتكز على أساس الدين اليهودي، فهى تدعو إلى إحياء المبادئ الأخلاقية والسياسية والاجتماعية عن تعاليم التوراة، كما وأنها تدعو إلى قيام اقتصاد وطني قائم على أساس العدل والمساواة بـين المـواطنين والطبقـات، فبعضـها قريـب فـى عقيدتـه الاقتصـادية إلـى المابـاى وبعضها محافظ إلى أقصي الحدود، أما حزبا «هابوعيل همزراحي» و«بوعالى أجودات إسرائيل» فذاتا صبغة عمالية، ولعل تقارب هذه الأحزاب من بعضها البعض وارتكازها على أساس ديني واحد كان السبب فى تجمعاتها فى كتل لفترة والعودة إلى الانشقاق ثم التجمع من جديد.

وفى أول حملة انتخابية عام ١٩٤٩ تكتلت جميع هذه الأحزاب فى كتلة واحدة سميت «الجبهة الدينية المتحدة» وحصلت على ستة عشر مقعدًا ولم يدم هذا الاندماج طويلا إذ عادت هذه الفئات فانفصلت عن بعضها البعض فى الانتخابات الثانية لعام ١٩٥١ وحصلت مجتمعة على خمسة عشر مقعدًا ثمانية منها حصل عليها هابوعيل همزراحى بمفرده وقد نزلت أجودات إسرائيل، «وبوعالى أجودات إسرائيل» هذه الانتخابات باسم جبهة التوراة المتحدة واستمر هـذا الانـدماج حتـى انتخابـات ١٩٦١ عنـدما عـاد الحزبـان فانفصلا عن بعضهما مرة ثانية، وقد تقبل الحزبان دولة إسرائيل برغم غياب التدخل السماوي المقدس، وقد شارك حزب «الباجى» فى الحكومة منذ عام ١٩٦٠ – أما حزبا «مزراحى» و«هابوعيل همزراحى» فقد عادت للاتحاد مرة ثانية فى الانتخابات للكنيست الثالث عام ١٩٥٩ تحت اسم «الحزب الديني القومي»، وهو عضو دائم فى الحكومات الائتلافية الإسرائيلية.

فالبرنامج الانتخابي للحزب الديني القومي لعام ١٩٥٥ كان موجزاً وغامضاً، وقد بدأ هكذا: «فى هذا العالم نجد أن حساب الخسارة والمكسب أكثر أهمية من الاستقامة الأخلاقية أو السياسية للشعب، ومن ثم فلابد لشعبنا أن يناضل وحده من أجل وجوده» كما طالبت الأحزاب الدينية كذلك باستمرار الجهود لتحقيق الدعم والتأييد فى الأمم المتحدة، وبحث أى خطة سلام معقولة، ودعم جيش إسرائيل (زاخال).

وكذلك كان برنامج الحزب الديني القومي فى انتخابات عام ١٩٥٩ مماثلا لبرنامج حزب الماباى، مع التركيز على المنطقة، أى النضال من أجل السلام على أساس الاعتراف بسيادة إسرائيل، وكذلك السعى من أجل التأييد الخارجي، كما كان هناك التزام بمحاولة كسر الاحتكار الحزبي لوزارة الخارجية كما حددت فى حالات سابقة، وكذلك الدعوة من أجل توثيق الروابط مع الأمة اليهودية فى الشتات، كما حددت أحزاب أجودات إسرائيل مطالبها فى زيادة الهجرة، والإعراب عن استعدادها للسلام العام والاستقرار الحقيقى فى الشرق الأوسط.

وكان لحزب «الباجى» نطاقًا أوسع قليلاً، وقد أيد الحزب حل مشكلة اللاجئين العرب بالتعويض والتوطين خارج إسرائيل، وكذلك ألا يتم جمع شمل العائلات بعد ذلك إلا على أساس مفاوضات السلام، كما أعرب عن الاهتمام الأولي بقضية يهود الشتات، ومعارضة توسيع إطار العلاقات مع ألمانيا، وقد انتهجت الأحزاب الدينية عموما خطًّا متشددًا حيال الطريق إلى السلام كما يتضح من افتتاحيات صحيفتى «هامودياع» (حزب أجودات إسرائيل) و«شيعاريم» (حزب بوعالى أجودات إسرائيل) ، وإلى مدى أقل بعض الشىء فى صحيفة «هاتسوفيه» (الحزب الديني القومي)، ويكفى مثال واحد لكي يوحي بأن القوة هى الغاية الوحيدة فى ذاتها، وهو مبدأ يزهو به أى ممارس للسياسة الواقعية العملية.

رابعاً : حزب رافى:

وآخر مجموعة الأحزاب الواقعية العملية (البراجماتية) وأقصرها عمرًا ذلك الحزب الذى أوصى «بن جوريون» بانشقاقه على حزب الماباى فى عام ١٩٦٥، وهو حزب «رافى ريشمات بوعالى إسرائيل» (أى قائمة عمال إسرائيل) وهناك عدة أسباب دعت «بن جوريون» إلى إعلان قيام الحزب الجديد بعضها شخصية والآخر منها عامة، ومن الأسباب الأولى عدم الوفاق بين شخصيتى «بن جوريون» و«ليفي أشكول» رئيس الوزراء آنذاك، «فبن جوريون» على الرغم من سنه المتقدم، شعلة من الديناميكية بيذما يمثل أشكول الكفاءة المملة، ولكن الأهم من ذلك غضب «بن جوريون» على قيادة الماباى لعدم تبنيها لوجهة نظره فيما يتعلق بفضيحة «لافون» والذى كان «بن جوريون» ضالعا فيها، ومن الأسباب العامة أن «بن جوريون» لم يكن راضيا عن الوحدة المزعم إقامتها فى حينها بين الماباى وأحدوت هافوداه

على الرغم من أنه كان فى حياته السياسية من دعاة الوحدة العمالية، والسبب فى ذلك : أن قيادة أحدوت هافوداه كان معظمها شبابا وديناميكية واتحادها مع الماباى يعنى اقتطاع جزء كبير من المراكز القيادية لها مما سيؤدى إلى إبعاد العناصر الشابة فى الماباى والتى كانت تتطلع إلى استلام المراكز القيادية.

وقد كان هناك صراع حاد بين «بن جوريون» والقيادات المسنة فى الحزب، ولكى ترضى الأحدوت هافوداه بالاندماج مع الماباى فقد وعد الأخير بأن يتخلى عن مطلبه القديم لتحديث وإصلاح قانون الانتخاب والذى سيؤدي إلى زوال عدد من الأحزاب الصغيرة، وقد كان بن جوريون من دعاة هذا الإصلاح.

وبعد ذلك بثلاث سنوات، عاد حزب رافى إلى الاتحاد مع حزبي الماباى وأحدوت هافوداه لتكون كلها «حزب العمال الإسرائيلي» ومن ثم فقد كان تعمل بمثابة الصفوة المنافسة فى انتخاب واحد فقط، وحتى فى ذلك الوقت لم يكن حزب رافى يطرح برنامجا بديلا للسياسة الخارجية، ويرجع ذلك إلى أن تصور «بن جوريون» ونظرته هما النظرة والتصور فى تشكيل سياسة الماباى، أى سياسة الحكومة، من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٣، وقد كان «ديان» عضوًا بارزًا فى الصفوة القائمة على السياسة الخارجية طيلة عشر سنوات، كما أن «طبيريز» – الزعيم الثالث فى حزب رافى – كان عضوا متصدرا لنفس المدة تقريبا فى هذه المجموعة، وفى النهاية لم تعد السياسة الخارجية سببًا فى الانشقاق.

وتكتشف مقارنة برنامج السياسة الخارجية والدفاعية فى الحملة الانتخابية لعام ١٩٦٥ عن أن الثغرة بين مجموعات الصفوة الممتازة التى تتولى السلطة والمجموعات التى تنافسها على السلطة ليست بالثغرة الكبيرة، وعلى المستوي العالمي، لم يكن هناك سوى حزب جاحال الذى يدعو إلى الانحياز الصريح للغرب، أما بقية الأحزاب فقد كانت تؤيد دعوة التحالف بالصداقة مع كافة الشعوب، وإن كان حزب المابام قد حدد الاتحاد السوفيتي بالذات فى هذا السياق، وقد أكد حزب رافى على الاعتماد على النفس، كما نادت كافة الأحزاب بالسلام مع جيران إسرائيل من العرب، مع درجات متفاوتة من التركيز والاهتمام، ولم ينشق سوى حزب المابام على النظرة السائدة بأن يتوطن كافة اللاجئين العرب فى الأراضي العربية مع تعويض مناسب، أما النظرة الأخرى المخالفة فقد كانت ضرورة إعادة توطين عدد غير محدود فى إسرائيل،

وقد كان هناك إجماع حول ضرورة وجود جيش قوى ولكن كان هناك خلاف حول عدة أمور متصلة بذلك، فالتحالف والحزب الديني القومي كانا يناديان بالرقابة الوزارية على المؤسسة العسكرية، مع إلحاح أحزاب جاحال والمابام والأحرار المستقلين على الرقابة البرلمانية، وطالب الحزب الديني القومي بإلغاء الخدمة العسكرية للفتيات، وعارض حزب المابام وجود الأسلحة النووية فى الشرق الأوسط، ودعا الأحرار المستقلون إلى إبعاد الجيش والعسكريين عامة عن السياسة، وقد رفض حزب جاحال كافة الصلات مع ألمانيا، بينما عارض المابام أى توسيع لنطاق العلاقات معها.

الفصل الثالث : الصهيونية الدينية النشأة والمفاهيم

انطلقت الصهيونية الدينية من فكرة أساسية، تتمثل في معارضة الفكرة التي يؤمن بها عامة اليهود، والداعية إلى الاعتماد على «المسيح المنتظر» كي يقودهم صوب فلسطين، من أجل إقامة «مملكة إسرائيل». و قد رأت الصهيونية الدينية أن هذا الاعتقاد الذي ساد بين اليهود قرابة ستين جيلاً، وأدى بهم إلى الابتعاد عن اتخاذ أي عمل سياسي يعيدهم إلى «أرض الميعاد»، قد شجع على انتشاره وضع اليهود نفسه. وهكذا وقفت الصهيونية الدينية ضد ذلك الرأي الذي ساد بين اليهود على مدى ثمانية عشر قرنًا، واستندت إلى تلك الفترة التي ثار فيها اليهود مرارًا وتكرارًا بين عامي (٥٣٩ق.م-١٣٥م)، معتبرة أن سياسة التهدئة والمسالمة ربما كانت مفضلة في الظروف المعاكسة لليهود، وأن سياسة البعث والتنشيط يمكن ألا تكون مستحسنة لدى الرب.

وقد استغلت الصهيونية الدينية، مقولتين أساسيتين يؤمن بهما عامة اليهود، وجعلتهما دعامة فكرية لمفاهيمها وهما: الشعب المختار، وأرض الميعاد.

وقد أضفى الحاخام موشيه بن نحمان الملقب «رمبان» (١١٩٤-١٢٧٠م) في تفسيره للتوراة طابعًا من القداسة على «أرض فلسطين»، فاعتبر أنها «مركز العالم»، وأن «أورشليم» هي مركز «أرض إسرائيل»، وأن هذه الأرض هي المكان المناسب والوحيد لتأدية الوصايا الدينية المنصوص عليها في التوراة، وفيها يصل الإنسان وكذلك الحيوان إلى قمة كماله. وقد اعتبر بن نحمان أن الاستيطان في «أرض إسرائيل» واجب ديني، بل إنه اعتبر أن استيطان «أرض إسرائيل» يوازي كل فرائض التوراة. وتم تفسير هذه الفريضة فيما بعد كواجب مزدوج يلزم اليهود كمجموعة، كما يلزم كل فرد يهودي بالهجرة إلى «أرض إسرائيل» يوازي كل فرائض التوراة. وتم تفسير هذه الفريضة فيما بعد كواجب مزدوج يلزم اليهود كمجموعة، كما يلزم كل فرد يهودي بالهجرة إلى «أرض إسرائيل» والعيش فيها تمهيدًا لمجيء المسيح المخلص. وتم لاحقًا -بناءً على هذه الاجتهادات- توسيع هذا الالتزام وإدخاله إلى حيز الأحوال الشخصية، بحيث أصبح مثلاً رفض أحد الزوجين الذهاب إلى «أرض إسرائيل» والعيش فيها مبررًا كافيًا، حسب الشريعة، للزوج لطلب الطلاق. ومثل هذه الاجتهادات كانت من الأسباب التي دفعت بعض اليهود من حين إلى آخر للهجرة إلى فلسطين والعيش فيها.

وقد انطلقت البداية الحقيقية للصهيونية الدينية في العصر الحديث من أفكار الحاخام يهودا القلعي (١٧٩٨ – ١٨٧٨م)، الذي دعا إلى خلاص اليهود بالعودة إلى التلمود، وأساطير «القبَّالاه». واقترح في كراسته: «اسمعي يا إسرائيل» (شِمعي يسرائيل) التي نشرها عام ١٨٣٤م، العودة إلى فلسطين تحت قيادة زعامة بشرية، دون أي انتظار للمسيح المخلص، كما دعا إلى إقامة مستعمرات يهودية في فلسطين كي تكون مقدمة لظهوره. وبناءً على حسابات كان قد أجراها اعتمادًا على «القبَّالاه» توقع القلعي أن يظهر المسيح عام ١٨٤٠م. ولما لم يحدث ما توقع فقد غير رأيه، وأعلن أن الخلاص لا يمكن أن يأتي فجأة ومرة واحدة، وإنما ينبغي العمل بجد في سبيله، وأن هذا الخلاص الذاتي سيتم بالدعوة إلى عقد «جمعية كبرى» (كنيست جدولا) وقيام صندوق قومي لشراء الأراضي، وهي الأفكار نفسها التي تبناها هرتسل فيما بعد. وقد فسر في كتابه «الخلاص الثالث» الخلاص الجديد على أساس الاستيطان في فلسطين، بقصد تعمير الأرض «الخراب» وإحياء اللغة العبرية.

ولم يكتف الحاخام القلعي بالدعوة نظريًّا إلى آرائه، بواسطة الكتب والكراريس التي كان ينشرها من حين لآخر، بل حاول تطبيق آرائه عمليًّا، فقام بوضع كتب لتدريس اللغة العبرية، والتوصية باستعمالها، وقام بزيارات عدة إلى دول أوروبية للترويج لأفكاره بين اليهود، كما حاول القيام بنشاط استيطاني في فلسطين، لكنه لم يوفق، وهاجر عام ١٨٧٤م إلى فلسطين حيث توفي فيها.

وقد استطاع القلعي التأثير في أحد زملائه، وهو الحاخام البولندي، تسفي هيرش كاليشر (١٧٩٥-١٨٧٤م) حاخام الطائفة اليهودية في مدينة تورين بألمانيا، الذي دعا لمثل ما دعا إليه القلعي. وقد تصدى كاليشر بضراوة لحركة الإصلاح الديني اليهودية، واعتبر في كتابه «البحث عن صهيون» (دريشت تسيون) (١٨٦٢م) أن عذاب اليهود وشقاءهم هما امتحان لإيمانهم، وأن بداية حلول الخلاص تكمن في التطوع للذهاب إلى فلسطين بقصد الاستيطان وشراء الأراضي، لأن استيطان البلاد المقدسة هو من أهم وصايا التوراة.

ولم يكن تمرد الحاخامين القلعي، وكاليشر على فكرة انتظار المسيح عملاً سهلاً؛ إذ أن غالبية الحاخامات ورجال الدين اليهود كانوا حتى ذلك الوقت، يعتبرون هذه الدعوة نوعًا من الهرطقة، وزاد من صعوبة موقف كاليشر بالذات أنه نشر اجتهاداته في مجتمع يهودي متدين، كان يشك في أية دعوة لإقامة دولة يهودية. لذا لجأ في كتابه «البحث عن صهيون» إلى الاقتباس المكثف من التلمود، وكتابات كبار الحاخامات الذين سبقوه، والتي تؤيد وجهة نظره. ومهما يكن الأمر فإن آراء هذين الحاخامين بالرغم من أنها لم تحظ بالتأييد الكامل من قبل أغلب حاخامي العصر، فإنها شكلت في النهاية المقدمة المطلوبة لبروز تيار الصهيونية الدينية داخل التجمعات اليهودية.

وقد أعطت أفكار هذين الحاخامين ثمارها بعد حين، فبدا تأثيرها واضحًا في المؤتمر الصهيوني الأول، حين شارك مجموعة من المتدينين المؤمنين بأفكار الحاخامين في أعمال المؤتمر، وكان على رأس هؤلاء الحاخام الروسي شموئيل موهيليفر (١٨٢٤-١٨٩٨م)، الذي كان من المتعمقين «بالقبَّالاه» والحسيدية وأحد زعماء حركة «أحباء صهيون»، ومن المتأثرين بأفكار كاليشر. وتنفيذًا لهذه الأفكار هاجر في نهاية الأمر مع جماعة من أتباعه إلى فلسطين وأسهم في تأسيس مستوطنة «رحوفوت» هناك، وكان من أوائل المتدينين الذين تعاونوا مع العلمانيين وعملوا على دمج الأرثوذكسية الدينية، بالقومية اليهودية الحديثة. وقد استطاع موهيليفر إقناع روتشيلد، بالإسهام في تمويل ومساعدة الاستيطان اليهودي لفلسطين. وحينما واجه المستوطنون اليهود لأول مرة مشكلة «سنة التبوير» (شنات هشميطاه)، وهي السنة السبتية السابعة، كان موهيليفر من ضمن الحاخامات الذين أفتوا بوجوب زراعة الأرض في السنة السبتية بعد بيعها «للأغيار» بيعًا صوريًّا. وقد ركز هذا الحاخام كل جهوده على التوفيق بين العلمانية والمتدينين بناءً على القول الوارد على لسان أحد العلماء في التوراة، على أن يعيشوا في المنفى وينفذوا تعاليمها». وبرزت جهوده واضحة في الإعداد للمؤتمر الأول مع هرتسل، وقد بعث برسالة إلى المؤتمر بشر فيها باقتراب قدوم المسيح المخلص الذي سوف يجمع شمل «شعب إسرائيل» في فلسطين.

وكان من المؤمنين بتلك الأفكار الحاخام مردخاي الباشبيرج كبير منظمي «أحباء صهيون» والحاخام عزرائيل هيلد سهايمر حاخام مدينة برلين الذي ساعد على نشر الدعوة بين الفئات المتدينة من يهود ألمانيا، والحاخام نفتالي برلين والد الحاخام مائير برلين «بر – إيلان» (سميت على اسمه الجامعة الدينية القائمة في بئر سبع)، أحد مؤسسي حركة «مزراحي»، وأسهمت هذه الاجتهادات والآراء في بزوغ منظمة «المزراحي» المتدينة على يدي الحاخام يتسحاق راينس.

وقد قفزت الصهيونية الدينية، قفزة كبيرة إلى الأمام بأفكار الرابي أفراهام إسحق كوك (Kook)، فتبلورت بفضل أفكاره ولأول مرة، فلسفة شاملة للصهيونية الدينية، وعمل هو بنفسه على نشر هذه الأفكار وترجمتها إلى واقع عملي، عبر تأسيسه عام ١٩٢٤م مدرسة «مركاز هَراف»، الدينية، التي تعتبر أول مدرسة صهيونية دينية في إسرائيل، والتي تخرج فيها الآلاف من دعاة الصهيونية الدينية، وعلى رأسهم زعماء حركة «جوش أيمونيم».

ويمثل الحاخام أفراهام كوك في كتاباته وأفكاره تلك الصهيونية الدينية التي تعمل على جمع شمل مختلف الاتجاهات في الدين والسياسة. وقد استطاعت آراؤه استيعاب كل وجهات النظر، والبرامج السياسية، وفلسفات الأحزاب الدينية، حتى تلك الاتجاهات المناوئة للدين، وقد استمد منظوره هذا من تبحره في عقيدة «القبَّالاه» التي سخرها لخدمة الأهداف الصهيونية.

ومما لا شك فيه أن أفكار كوك تمثل أوضح محاولة لجعل مسألة «أرض إسرائيل» مسألة مركزية في التقاليد الدينية اليهودية، وكان يرى أن هناك ثلاثة مبادئ رئيسية تنظم العلاقة بين التقاليد الدينية، والقومية اليهودية الحديثة، **هي:**

١- إعطاء معنى ديني حقيقي لمركزية «أرض إسرائيل» في الحياة اليهودية.

٢- تنمية الإدراك الحسي للعلاقة بين الدين اليهودي ونشاط الصهيونية العلمانية.

٣- إعطاء أهمية عالمية للنهضة اليهودية من خلال نظام الفلسفة الدينية.

وتطبيقًا لهذه المبادئ شن كوك هجومًا عنيفًا على التقاليد الدينية التي تبيح للإنسان أن يعيش في «الشتات»، واعتبر أن ارتباط التعاليم اليهودية «بأرض إسرائيل»، وآمال العودة هي التي حفظت اليهودية من الضياع، وأن شعب إسرائيل، والتوراة، وأرض إسرائيل هم مزيج واحد. وعليه فإن اليهودية في الشتات ليس لها وجود حقيقي إلا على اعتبار أنها تتغذى بقطرات الحياة من »أرض إسرائيل« القدسية».

وعند كوك فإن «العقل البشري في أسمى مراتبه لا يستطيع أن يدرك معنى قدسية «أرض إسرائيل»، ولا يستطيع أن يحرك الحب الكامن في أعماق شعبنا نحو هذه الأرض.

ويرى كوك أيضًا «أن جميع حضارات العالم ستتجدد بولادة شعبنا من جديد وستحل جميع النزاعات. وتجددنا هذا سيجعل الحياة تشع ببهجة تشبه بهجة ولادة الطفل، وسترتدي كل الأديان حلة جديدة ثمينة بعد أن تنزع عنها كل ما هو موحل وغير نظيف وكريه، وسوف تشرب هذه الأديان قطرات الندى المتساقطة من الأنوار المقدسة، والتي كان أصلها من بئر إسرائيل عند بدء الخليقة».

أما الحاخام صموئيل حاييم لانداو أحد قادة الصهيونية الدينية العمليين، فقد انخرط في حركة «مزراحي» بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وكتب العديد من المقالات التي هاجم فيها موقف اليهود الأرثوذكس السلبي من الصهيونية، وأكد أهمية الاستيطان في «أرض إسرائيل»، لأن الإقامة في الأرض المقدسة هي أحد الأوامر الدينية وأن «القبس الإلهي لا يؤثر في الشعب اليهودي إلا وهو في أرضه»، وعليه «لا يمكن اعتبار إسرائيل أمة حية وهي تعيش في المنفى». وقد رفع لانداو شعار «التوراة والعمل»، وأكد أنه «لا يمكن أن تولد التوراة من جديد من دون العمل، وكذلك لا يمكن أن يولد العمل كقوة مبدعة في بناء الأمة من جديد دون التوراة التي هي جوهر الانبعاث».

وعلى نهج من سبقوه برز أيضًا الحاخام مائير بر إيلان، الذي يعتبر أحد زعماء «المزراحي» الكبار، وقد حارب بر إيلان النزعات المعادية للصهيونية بين الأرثوذكس، كما حارب الاتجاه العلماني لدى الكثيرين من الصهيونيين. وقد كتب عام ١٩٩٢م مقالة بعنوان «أي نوع من الحياة علينا أن نخلق في أرض إسرائيل» عالج فيها مسألة العلاقة بين المعبد والدولة التي أصبحت فيما بعد مدار صراع عنيف بين الدين والعلمانية في إسرائيل.

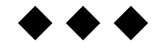
ويقرر بر إيلان أنه «ليس هناك من بديل للتوراة، ولا توجد أية وسيلة لتوحيد جميع مذاهب وفئات الشعب اليهودي في دولة متجانسة سوى إعادة إحياء كل جانب من حياتنا على أساس تراثنا من التوراة. لكن هذا لا يعني أننا يجب أن نتجاهل قيم وعادات هذا الجيل، أو أن نسخر منها، حتى لو كانت هذه القيم والعادات، مناقضة للتوراة، فيجب أن نحاول تغييرها شيئًا فشيئًا.

وقد أعطى قيام إسرائيل دفعة قوية للصهيونية الدينية ومفاهيمها، وتعززت دعواها في جعل «أرض إسرائيل» هي النقطة المركزية في حياة اليهود، خاصة أن قيامها، جاء بعد فترة قصيرة من أحداث النازية ضد اليهود من جانب، وأعقبها انتصارات عسكرية بلغت قمتها في حرب يونيو ١٩٦٧ جعلت جموع اليهود في داخل إسرائيل وخارجها يشعرون بالنشوة من جانب آخر. وبالرغم من أنها جاءت دولة علمانية، فإن دعاة الصهيونية الدينية، اختاروا –على عكس المتدينين «الحريديم»- طريق التكيف مع الوضع القائم.

وهكذا قدمت الصهيونية الدينية، بنية تحتية دينية، تدعم الدولة القائمة مثلها مثل أيديولوجية أي حزب علماني آخر، وقامت علاقة شبه تكافلية بينها وبين الصهيونية السياسية العلمانية.

والواقع أنه حتى عام ١٩٦٧، كانت الصهيونية الدينية معتدلة سواءً في السياسات الداخلية، كالمطالبة بتطبيق تعاليم «الهالاخاه» في قوانين وتشريعات البلاد، أو فيما يتعلق بالشئون الخارجية وبالرغم من تنفيذ المشروع الصهيوني، فقد استمرت الصهيونية الدينية في ممارسة التقاليد اليهودية المتسمة بالحرص والاعتدال، فيما يتعلق بغير اليهود ودول العالم، وفقًا لوصية التوراة: «لا تستفزوهم» (سفر التثنية ٢: ٥). ولذلك كان يميل حزب «أجودات يسرائيل» المتطرف في العقيدة، إلى الاعتدال في مواقفه المتعلقة بالسياسات الخارجية.

وطوال تلك الفترة، كانت الصهيونية الدينية مرتبطة سياسيًّا بالصهيونية الرئيسية، حتى إنه كان ينظر إلى ذلك الارتباط بأنه تحالف تاريخي. وقد تغير ذلك الوضع بصورة راديكالية بعد أحداث حرب ١٩٦٧ العاصفة، التي أدت في نهاية الأمر إلى التغيرات الهائلة في الصهيونية الدينية، ثم إلى تغيير مواقعها من الائتلاف مع «حزب العمل الإسرائيلي» (ممثل الصهيونية الرئيسية)، وتشكيل ائتلاف مع أنصار فكر جابوتنسكي – بيجن – شامير، ممثلي «الصهيونية التنقيحية» أو «التصحيحية» (اليمين الصهيوني المتطرف).



الأحزاب الصهيونية الدينية الأرثوذكسية

١- حزبا «المزراحي» و «العامل المزراحي»:

تعتبر الأحزاب الدينية الموجودة اليوم على الساحة السياسية في إسرائيل في الأحزاب التي نشأت، كغيرها من الأحزاب الإسرائيلية، خارج فلسطين، في شرق أوروبا. وبالرغم من الدور المحدد الذي قامت به الصهيونية الدينية، مقارنة بالصهيونية العمالية والصهيونية التصحيحية، فإنها تبقى مع هذا من أقدم القوى الحزبية في إسرائيل.

ويمكن القول أن جذور الصهيونيين الدينيين ترتكز على أقوال ربي موسى بن ميمون، الفيلسوف اليهودي في العصور الوسطى، التي تحكي التقاليد اليهودية أنه عندما زار القدس عام ١٣٢٧م وجد بها يهوديين فقط، وقرر آنذاك الدعوة للاستيطان اليهودي في فلسطين. ويرى البعض أن ربي يسرائيل بعل شيم طوف (ربي إسرائيل ذو السمعة الطيبة) مؤسس الحركة الحسيدية في بولندا في القرن الثامن عشر والحاخام تسفي هيرش كاليشر والحاخام الياهو جو تماخر (١٨٧٤-١٩٧٦م من كبار رجال التصوف اليهودي في القرن التاسع عشر)، هم المبشرون الأوائل بالنسبة لهم لأن بناء فلسطين احتل مكانة مهمة للغاية في فكرهم الديني.

كذلك فإنه كان من بين مؤسسي حركة «محبي صهيون» (صهيونية شرق أوروبا) عدد من الحاخامات اليهود أمثال الياشبرج وشموئيل موهيلفر. ولكن التنظيم اليهودي الديني، الذي عرف باسم «مزراحي» (اختصار الكلمات «مركز روحاني» أي «المركز الروحي»)، بناءً على اقتراح من الحاخام إبراهام سلتوسكي، ظهر للوجود بعد ذلك بعدة سنوات بعد أن أعطى هرتسل دفعة جديدة للصهيونية.

وقد كان العنصر المحرك لمؤتمر فيينا الذي عقد عام ١٩٠٢، هو مؤسس «المزراحي» إسحاق يعقوب راينس (١٨٣٩-١٩١٥)، حاخام ليدة، الذي عرف عنه أنه لم يكن يعرف أي لغة غير اللغة العبرية، ويفتقر إلى الثقافة العامة، ولكنه كان رجلاً صاحب حكمة ومعرفة كبيرة، وخبيرًا في التلمود، و «جاؤونا» (من كبار رجال التوراة) وداعية من أندر الدعاة، شق الطريق أمام أدب «الهاجاداه» (الشق الأسطوري من التلمود).

وقد شجع راينس «محبي صهيون»، ولكنه قرر بعد تفكير طويل أن ينضم إلى صهيونية هرتسل. وبعد أن درس الدعاوى المثارة ضد الصهيونية من جانب الحاخامات المتطرفين ورفضها ووصل إلى استنتاج، بأن كل من يتوصل إلى أن المثالية الصهيونية لها علاقة بالإلحاد، يمكن أن يكون هو نفسه محل شك كمدنس للقداسة.

وفي مؤتمر فيينا، وفي الاجتماع الذي عقد بعد ذلك في مينسك في أغسطس ١٩٠٢ وساده الصدام بين الصهيونيين العلمانيين من ناحية، والصهيونيين الدينيين من ناحية أخرى، حول توجيه الأعمال الثقافية والأهداف الروحانية للصهيونية، تم الاتفاق على تشكيل لجنتين للثقافة والتعليم إحداهما علمانية والثانية دينية، ولكن لم يتم الاتفاق بين أولئك الذين قالوا : إن «المزراحي» يجب أن يعمل ككلب حراسة داخل الحركة الصهيونية، أي يحول دون سقوطها في يد «الملحدين»، وبين أولئك الذين قالوا بأن التعامل السلبي الصرف لن يكون له تأثير على المدى الطويل، وأن «المزراحي» ينبغي لذلك أن يقوم بعمل بناء، مثل التعليم والاستيطان. وقد كانت هذه الاختلافات اختلافات تكتيكية أكثر منها مبدئية.

والدليل على ذلك : أن أعضاء «المزراحي» كانوا على اتفاق دائم، بأن الهدف الرئيسي «للمزراحي» هو «الاستيلاء على المؤسسات الصهيونية» وخلق أغلبية دينية بين يهود فلسطين.

وقد كان «المزراحي» حتى ذلك الحين مجرد اتحاد ضعيف من الجماعات المحلية، يجمعها الإيمان بالعقائد الدينية والقومية والرغبة في العمل كجماعة ضغط ضد «الكتلة الديمقراطية» (كتلة حاييم وايزمان وليو يهودا موتسكين)، وأرادت أن تعمل الحركة في الأنشطة الثقافية والتعليمية، وكذلك أيضًا في العمل السياسي والاستيطاني في فلسطين. وحيث أن النشاط التعليمي من جانب غير الدينيين كان مجالاً غير مقبول من «المزراحي»، فقد وقعت أزمة حينما تقرر في المؤتمر الصهيوني العاشر (أغسطس ١٩١١) قبول مشروع «الكتلة الديمقراطية» بتضمين النشاطات الثقافية في البرنامج الصهيوني.

وقد تم حسم الخلاف بين التيارين في المؤتمر العالمي الخامس لحركة «المزراحي» الذي عقد مباشرة بعد المؤتمر الصهيوني العاشر، لصالح التيار الداعي للبقاء. لكن رافضي القرار لم يلتزموا به، وانسحبوا من الحركة ملتحقين بحركة دينية أخرى تشكلت آنذاك، وهي «أجودات يسرائيل» (مايو ١٩١٢)، بغية الوقوف في وجه الحركة العلمانية التي وجدت من يؤيدها في أوساط اليهود بأوروبا الشرقية والوسطى.

وقد قرر أتباع «أجودات يسرائيل» التقليل من أهمية مركزية فلسطين في الحياة اليهودية، من أجل التمييز بينهم وبين الصهيونيين المتدينين، والتزموا بأن تقوم منظمة «أجودات يسرائيل» بدور فعال في جميع الشئون المتعلقة باليهود والشئون اليهودية «على أساس التوراة، ومن دون أي اعتبارات سياسية»، كما أقاموا مجلس «كبار علماء التوراة» (جدولي هتوراه) كي يضمنوا بقاء الاعتبار التوراتي فوق كل اعتبار.

ويعتبر صدور وعد بلفور (٢ نوفمبر ١٩١٧) نقطة انطلاق مهمة في تطور منظمة «المزراحي»، حيث انطلق تنظيم اليهود الأرثوذكس من أجل «إعادة بناء فلسطين»، وأقام حركات شبيبة في دول أوروبية عديدة، وأنشأ «حركة دينية قومية تربوية» تضمنت شبكة مدارس دينية أطلقت عليها «شبكة مدارس يفنه».

وانسجامًا مع قرار المؤتمر العالمي الأول، بالدعوة للعودة إلى «أرض الأجداد»، بدأت منظمة «المزراحي» توجه أنظارها إلى فلسطين لافتتاح فرع لها هناك. ولهذا الغرض بدأت المنظمة تتصل بدوائر «اليشوف القديم» (قدامى السكان اليهود في فلسطين)، وشكلت مركزًا مؤقتًا للمنظمة في يافا عام ١٩١٨م، ثم عقدت أول مؤتمر لها في فلسطين في سبتمبر من السنة نفسها، وتبع ذلك نقل المركز العالمي للمنظمة إلى القدس في عام ١٩٢٠. وكان أول إنجاز لمنظمة «مزراحي» في فلسطين تشكيل مؤسسة «الحاخامية الرئيسية» (هحخاموت هاراشيت) في القدس عام ١٩٢١ بمبادرة من الحاخام أفراهام يتسحاق كوك.

ويقول البروفيسور «زئيف لاكوير» حول هذه المرحلة من تاريخ «المزراحي»:

«كان اثنان من الزعماء الشبان والنشيطين، وهما الحاخام مائير برلين والحاخام ي. ل. فيشمان في أمريكا في فترة الحرب العالمية الأولى وساعدا على إقامة المنظمة هناك. وقد كان عام ١٩٢٢ بمثابة علامة طريق في تاريخ الحركة؛ حيث تم نقل مقر الإدارة وتم تأسيس «العامل المزراحي» (هابوعيل هَمِزْراحي)، وهو الجناح العمالي للمزراحي».

في أعقاب الحرب العالمية الأولى أخذت تتوافد على فلسطين مجموعات من يهود أوروبا الشرقية ضمن ما يسمى في القاموس الصهيوني «الهجرة الثالثة» (١٩١٩-١٩٢٣). وكان بين هؤلاء الوافدين شبان ينتمون إلى منظمة مزراحي، ولا سيما حركة الشبيبة التابعة لها: «هتسعير همزراحي» (الفتى المزراحي). وكان هؤلاء المهاجرون متأثرين بالتيارات الاشتراكية في أوروبا الشرقية فرفعوا شعار «التحقيق الذاتي» (ههجشاما هعتسميت) للصهيونية بواسطة «التوراة والعمل» (توراة فيعفودا)، كمحاولة للدمج بين «الفكر الديني القومي والفكر الاشتراكي» في فلسطين. وفي عام ١٩٢٢، أعلن تأسيس منظمة «هابوعيل همزراحي» (العامل المزراحي)، التي بدأت مع مرور الوقت تشدد على أهمية «الدين» و «القومية»، بينما احتلت «الاشتراكية» «منزلة ثالثة ومتدنية»، على الرغم من أن هذه المنظمة تعاونت مع الاشتراكيين وتبنت الكثير من الأنماط الاشتراكية في فلسطين، مثل «الكيبوتز»... وهدفت إلى تحقيق رفاهية العمال وممارسة الاستيطان والتربية.

وفي عام ١٩٢٥ تأسس «الاتحاد العالمي لحركة التوراة والعمل» في «الدياسبورا» (الشتات اليهودي). وبينما كانت «العامل المزراحي» تعمل في إطار المنظمة الصهيونية العالمية، كجزء من «مزراحي»، أخذت تلعب بالتدريج دورًا مستقلاً عنها في مؤسسات «البيشوف» (الاستيطان اليهودي الجديد في فلسطين). وخلال فترة «البيشوف» لم تكن العلاقة بين المنظمتين حسنة؛ لأن منظمة «مزراحي» كانت محسوبة على المعسكر غير العمالي، بينما توصلت منظمة «العامل المزراحي» إلى اتفاق تعاون مع الهستدروت. كذلك فإن النزعات العمالية الاشتراكية لدى «هابوعيل همزراحي» شكلت سببًا آخر من أسباب التوتر.

وفي المؤتمر الذي عقد في إنتفارفن عام ١٩٢٦، صيغت أيديولوجية مزراحي في صيغة موجزة تقول: «المزراحي عبارة عن اتحاد صهيوني قومي وديني يسعى إلى بناء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وفقًا لقوانين التوراة والشريعة».

وقد كان «المزراحي» في أساس تكوينه حزبًا للطبقة الوسطى، ولذلك عارض سيطرة اليسار على المنظمة الصهيونية في عام ١٩٣١. وقد أدت هذه السياسة إلى خلافات، حيث عارض أعضاء «العامل المزراحي» الذين انضموا بعد ذلك إلى الهستدروت هذا التوجه اليميني، وقاموا بالدفاع عن «الاشتراكية اليهودية» زاعمين أن الاشتراكية لا ينبغي بالضرورة أن تكون مادية وإلحادية الطابع، بل على العكس من ذلك؛ لأن الاشتراكية القائمة على مفاهيم العدل الاجتماعي كما تجلت في العهد القديم، هي اشتراكية شرعية ومرغوب فيها في آن واحد. ولم يتأثر «المزراحي» كثيرًا في البداية من أصوات الخلاف هذه، بل على العكس من ذلك؛ حيث أن عدم نجاحه في التأثير على السياسة الصهيونية بروح الدين اليهودي أدى إلى المزيد من التشدد في موقفه.

وفي مؤتمر كاركوف الذي عقد في عام ١٩٣٣، قرر «المزارحي» تصعيد نضاله ضد غير المتشددين دينيًا، سواءً في الحركة الصهيونية أو في المؤسسات المنتخبة ليهود فلسطين. وقد أدى هذا الأمر إلى المزيد من الشقاقات في صفوفه حيث انتهى بانفصال «المزراحي» الألماني الذي ترك الاتحاد العالمي في عام ١٩٣١ (إلى حد ما بسبب الخط المعارض لوايزمان) كما كانت هناك معارضة للخط الجديد في بريطانيا والنمسا وسويسرا، وكذلك أيضًا بين يهود فلسطين.

وهكذا فقد انسحبت منظمة «المزراحي» الأمم من المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٩٣٣، احتجاجًا على التنكر للتقاليد الدينية في مستوطنات «الكيرن كَييمت» (الصندوق القومي)، ثم عادت إليها عام ١٩٣٥. وقد تبنى «المزراحي» من ناحية أخرى، في مؤتمره الذي عقد عام ١٩٣٤ الدعوة إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين، وكان بذلك الحزب الثاني بعد «الصهيونيين التصحيحيين» الذي رفع الشعار في هذا الوقت المبكر. وعندما عرض مشروع لجنة «بيل» لتقسيم فلسطين عام ١٩٣٧، عارضه «المزراحي» لتعارضه مع حدود «أرض إسرائيل» المذكورة في التوراة.

وعلى امتداد فترة الانتداب البريطاني، وحتى منتصف الخمسينات، حافظت المنظمتان على أطرهما المستقلة في فلسطين وفي الكيان الصهيوني. وخلال تلك الفترة تعاظمت قوة «العامل المزراحي»؛ حيث أصبحت أبرز الحركات الدينية العاملة في فلسطين وأعظمها تأثيرًا.

وقد كان لدى حركة «العامل المزراحي» إمكانات تنظيمية فتحولت إلى حزب سياسي، وأصبحت قادرة على كسب المهاجرين الجدد الذين يتمسكون بالتقاليد الدينية، أكثر مما كان لدى منظمة «المزراحي»، وقد تجلى ذلك في الانتخابات العامة سنة ١٩٥١، إذ حصل «العامل المزراحي» على ٨ مقاعد في الكنيست وفاز «المزراحي» بمقعدين فقط.

٢- «الحزب الديني القومي» (المفدال):

بعد قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ برز اتجاه قوي لتوحيد الحزبين «المزراحي» و«العامل المزراحي»، وكان لكل منهما أسبابه الذاتية والعامة في ذلك. فعلى الصعيد الذاتي كانت عملية التوحيد توفر لزعامة «المزراحي» التاريخية قاعدة جماهيرية منظمة، و«للعامل المزراحي» الإمكانات المادية المتوافرة لحزب «المزراحي» من تنظيمه العالمي. وكانت الخطوة الأولى في هذا الاتجاه توحيد الحركتين العالميتين لهذين الحزبين في الخارج عام ١٩٥٥. وبعد التوحيد على الصعيد العالمي، دعا إلى عقد مؤتمر مشترك في إسرائيل في صيف ١٩٥٦؛ حيث تقرر تشكيل «الحزب الديني القومي» (مفلاجا داتيت لئوميت) أي «الحزب الديني القومي» الذي يعرف اختصارًا باسم «مفدال».

وقد تشكلت داخل «المفدال» مجموعة من الكتل هي: «الكتلة المركزية»، و«كتلة الشباب» و«الكتلة من أجل توحيد الحركة»، وكتلة «لَمِفنيه» (من أجل التحول)، وكتلة «ليكود أو تمورا» (التكتل والتغيير)، و«كتلة الموشافيم» (كتلة المستوطنات التعاونية)، وكتلة «الكيبوتس الديني»، وكتلة «السفارديم» (اليهود الشرقيون)، وكتلة «التجدد الديني» التي تشكلت من (كتلة الشباب والكتلة المركزية سابقًا) بعد انتخابات عام ١٩٧٧، وكتلة «المرأة المتدينة».

وقد ظهرت فكرة الريادة الصهيونية «هحلوتسيوت» مرة أخرى، ولكن على أساس ديني، بعد حرب يونيو ١٩٦٧، حيث تكونت حركة استيطانية من شباب المتدينين الأعضاء في «المفدال»، ممن تلقوا تعليمهم في مدارس «اليشيفا». وقد نضجت هذه الحركة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، وأطلق عليها «جوش أيمونيم» (كتلة الإيمان) بقيادة الحاخام حييم دروكمان الذي قاد الحركة الاستيطانية في الأراضي المحتلة. وقد انعكس هذا الأمر في مؤتمر الحزب عام ١٩٦٩، الذي كان تمهيدًا لانتخابات عام ١٩٦٩، حيث انقسم الحزب على نفسه بين مؤيدين لضرورة الاحتفاظ بالأراضي المحتلة من «كتلة الشباب» بزعامة «دروكمان»، بينما كان زعيم الحزب آنذاك «موشيه شبيرا»، و«يتسحاك رفائيل» من المؤيدين لفكرة الأرض مقابل السلام، وكان لكل فريق حججه. فقد رأى أنصار الضم أن ذلك يأتي ضمن تطبيق أحكام «الهالاخاه» (الشريعة اليهودية)، التي تؤكد على أن «يهود والسامرة» (الضفة الغربية) هي جزء من «أرض إسرائيل الكبرى» وتحريرها يمثل تطبيقًا للوصايا اليهودية التي ترى أنه يجب عدم إعادة هذه الأراضي للحكم الأجنبي.

وعلى الجانب الآخر أسس أنصار عدم الضم نظريتهم على الحجج التالية:

١- يعد الوجود اليهودي والحياة اليهودية القيمة العليا. ولو تعرض ذلك الوجود أو تلك الحياة للخطر نتيجة للاحتفاظ بالأراضي التي تحررت، حتى ولو كانت يهودية، في هذه الحالة يجب مبادلة الأرض بالأمن.

٢- يرى معظم الصهاينة المتدينين أن الدولة الإسرائيلية دولة علمانية، ومن ثم فالسيادة الإسرائيلية على هذه الأراضي هي مسألة سياسية وليست قضية دينية.

٣- إن تنفيذ الوعد الإلهي بأرض الميعاد لا بد أن يتم من خلال اتباع الوصايا الدينية، وليس عن طريق الاعتداء على الآخرين. ومن هنا فإن نتائج حرب ١٩٦٧ هي نتائج سياسية عسكرية وليست مقدمة للخلاص المسيحاني.

ولم يكن هذا الموقف الحمائمي من زعامة «المفدال» دعوة إلى التخلي عن الأراضي المحتلة، بقدر ما كان بمثابة تعرية لموقف هؤلاء الذين أضفوا شرعية دينية على ذلك العمل العسكري.

وقد توصل الطرفان إلى حل وسط في إطار ذلك المؤتمر في البرنامج الانتخابي عام ١٩٦٩ تمثل في الحل التالي:

١- استمرار الحزب في حكومة الوحدة الوطنية وعدم الاستقالة في حالة انسحاب الليكود.

٢- الاعتراف بالحقوق التاريخية الإسرائيلية في أرض إسرائيل داخل حدودها الآمنة.

٣- الدعوة إلى استيطان سريع للمناطق الجديدة خصوصًا منطقة القدس.

وقد تكررت المواقف نفسها في مؤتمر الحزب الرابع بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ بين أنصار مبدأ الأرض مقابل السلام وبين أنصار الضم الكامل.

وبشكل عام فإنه توجد داخل «المفدال» ثلاثة أجنحة رئيسية؛ حيث يمثل «العامل المزراحي» أقصى التطرف اليساري ويقترب بل ويكاد يختلط من حيث مفاهيمه مع مفاهيم حزب «الماباي»، وتأتي بعد هذا كتلة الوسط التي تمثل نحو ٤٥% من الحزب، وهي أقل اعتدالاً وأكثر تصلبًا في مفاهيمها الدينية، ثم تأتي بعد ذلك عصب مختلفة منها عصبة المزارعين، و«عصبة السفارديم»، وهي أقرب عناصر «المفدال» إلى اليمين المتطرف. وقد شارك «المفدال» في كل الائتلافات والحكومات، وكانت وزارة الأديان دائمًا من نصيبه.

والجدير بالذكر أنه في عام ١٩٦٨ تخبطت أحزاب المعسكر الديني حول ما إذا كان قد حان الوقت للتضامن والوحدة للوصول إلى تأثير أكبر بين الجمهور، وفي الكنيست، وفي مؤسسات الدولة أم لا.

وانطلقت الدعوة لبلورة جبهة دينية تصد بالقوى المشتركة هجوم الدوائر العلمانية على قيم الدين، وعلى الأخص على الشريعة (الهالاخاه) والقوانين الشخصية. وظهرت على صفحات صحيفة «شعاريم» (منافذ) نداءات لهذا الغرض استغلت تصريحات الدكتور ناحوم جولدمان (رئيس المنظمة الصهيونية العالمية)، وموشيه شاريت (من زعماء حزب «الماباي» سابقًا) تدعو إلى إيجاد مخرج من مشاكل زواج الكاهن والزواج من المطلقة، وغيرها من المشاكل التي لم تعد تحتملها الحياة الحديثة، وذلك كدليل على أن الجبهة الخاصة بالزعامة العلمانية لا بد لها من «جبهة دينية متحدة» لتحافظ على الوجود وعلى الشريعة.

وخلال عام ١٩٦٨ أثير من جديد موضوع «الجبهة الدينية المتحدة»، أو التشكيل الحزبي بين الأحزاب الثلاثة بمناسبة انتخابات الكنيست السابع، ولكن رجال «الأجودات» أبدوا موقفًا فاترًا من الفكرة.

وقد خاض «المفدال» انتخابات الكنيست السابع (١٩٦٩) منفردًا وحصل على ١٢ مقعدًا، ولكنه انتكس في انتخابات الكنيست الثامن (١٩٧٣)، وحصل على عشرة مقاعد بسبب آثار حرب أكتوبر على هذه الانتخابات؛ حيث إن أعدادًا لا بأس بها من ناخبي هذا الحزب في المستوطنات في الضفة الغربية، وفي الجيش أعطت أصواتها للتكتل اليميني (الليكود). لكن هذا الحزب استعاد قوته البرلمانية في انتخابات الكنيست التاسع (١٩٧٧) حيث حصل على اثنى عشر مقعدًا، وعلى ٩.٢% من أصوات الناخبين. ولعل هذه الزيادة في عدد المقاعد، راجعة إلى أن الأوساط المتطرفة في الحزب بزعامة «كتلة الشباب» أخذت في أعقاب انتخابات الكنيست الثامن، تعزز مواقعها داخله، الأمر الذي ترك أثرًا واضحًا في سياسة الحزب في الشئون الخارجية والأمن.

وذكر آريه أفنيري أن «المفدال يتبنى اليوم نظرة أكثر إيجابية بالنسبة للموضوعات القومية وهو متحرر من الالتزامات الائتلافية».

ولذلك فإن «المفدال» قد عارض في برنامجه الانتخابي أي مشروع «يتضمن تنازلاً عن أجزاء من أرض إسرائيل التاريخية، أرض أجدادنا، ولا يمكنهم أن يكونوا شركاء في أي مشروع تقدمه إسرائيل، ولا يشتمل على بقاء «يهودا والسامرة» (الضفة الغربية)».

وهكذا بقي «المفدال» يحافظ على وحدته خلال السنوات ١٩٥٦-١٩٨١، وبالتالي على قوته التمثيلية البرلمانية التي تراوحت بين ١٠ مقاعد و١٢ مقعدًا. ولكن في عام ١٩٨١ (عام انتخابات الكنيست العاشر) حدث انشقاق في حزب «المفدال» عندما انسحب أهارون أبو حصيرا، أحد قادته الشبان، وسعى لتأييد الطوائف الشرقية التي كانت تحظى بتمثيل متدنٍّ في الحزب. وهكذا فإنه بالرغم من وجود نظام الكتل داخل «المفدال» منذ تأسيسه، وبالرغم من الصراع بين هذه الكتل، فإن الأمر لم يصل إلى حد الانشقاق كما حدث في عام ١٩٨١، إذ انخفضت قوة «المفدال» البرلمانية من ١٢ مقعدًا إلى ٦ مقاعد (٥ للمفدال ومقعد واحد لـ «متساد» هو مقعد حييم دروكمان الذي انضم لـ«المفدال» في إطار تفكك كتلة «موراشا» التي حصلت على مقعدين).

وعشية انتخابات الكنيست الحادي عشر (١٩٨٤) بدأ «المفدال» ضعيفًا يستحوذ على زعامته يوسف بورج وزفولون هامر بعد تنحية قائد مهيمن من قادته هو يتسحاق رفائيل، وانسحاب الحاخام المتطرف حييم دروكمان.

وقد فشلت جميع المحاولات لإعادة توحيد «المفدال» كي يخوض الانتخابات في قائمة واحدة، وخصوصًا بعد فشل مسعى أفراهام شبيرا الحاخام الكبير لإسرائيل، الذي اقترح وضع ثلاثة مرشحين من اليهود الشرقيين في المراتب الستة الأولى من القائمة، وأربعة في المراتب العشر الأولى، والمحافظة على زعامة يوسف بورج، غير أن معظم الكتل رفضت هذا الاقتراح، وبقي الانقسام في «المفدال» قائمًا.

وثمة خلاف آخر نشب بشأن البرنامج الانتخابي للحزب، إذ تحفظت كتلة «لمفنيه» بزعامة بورج، و«كتلة الشباب» بزعامة هامر، تجاه طلب الحاخام دروكمان إدراج بند يلزم الحزب بالسعي لضم الضفة الغربية إلى إسرائيل.

وهكذا خاض «المفدال» الانتخابات بزعامة يوسف بورج، والرجل الثاني زفولون هامر، وبذلك فقد «المفدال» قسمًا كبيرًا من قوته الانتخابية. وثمة اعتقاد أن قادة «المفدال» ارتكبوا خطأً تكتيكيًّا جسيمًا عندما انضموا إلى «الليكود» عام ١٩٧٧ لتشكيل الحكومة. وفي عام ١٩٨١ عندما كان الحزب مشكلاً من «العناصر الصقرية»، وعد بأنه لن ينضم إلا إلى حكومة بزعامة «الليكود» بعد الانتخابات. وكان هذا خطأً دفع بأنصار «المفدال» إلى التصويت لليكود مباشرة.

وقد كان من التطورات البارزة في نطاق استعداد المعسكر الديني لخوض المعركة الانتخابية للكنيست الثالث عشر، حدوث الانتخابات الداخلية في حزب «المفدال» ممثل التيار الديني القومي في أوساط المتدينين، والمنافس الرئيسي للأحزاب الحريدية. وقد أسفرت الانتخابات الداخلية عن انتخاب زفولون هامر رئيسًا للحزب بدلاً من أفنير شاكي وإحلال النواب الخمسة في الكنيست الثاني عشر في الأماكن الخمسة الأولى في قائمة مرشحي الحزب للكنيست الثالث عشر، وقيام صفقة بين هامر والعناصر الشديدة التطرف في الحزب، تعهد هامر بموجبها بتأييد برنامج سياسي أكثر تطرفًا من البرنامج الحالي في مؤتمر الحزب المقرر عقده قبل الانتخابات.

وقد استمر الاختلاف في التوازن بين «المفدال» والأحزاب الدينية الأخرى خلال انتخابات الكنيست الثالث عشر التي جرت في ٢٣ يونيو ١٩٩٢، والتي أصر خلالها «المفدال» على إعلان السير قدمًا مع حزب «الليكود» ضد حزب «العمل الإسرائيلي»، حيث حصل على أربعة مقاعد فقط من بين ١٤ مقعدًا حصلت عليها الأحزاب الدينية مجتمعة (٦ مقاعد لشاس، ٤ مقاعد لـ «جبهة يهودية التوراة الموحدة»: الأجودات وموريا وديجل هتوراه).

وقد أدى هذا الموقف من جانب «المفدال» إلى عدم دخول الائتلاف الحكومي بزعامة حزب العمل الإسرائيلي حيث شكل يتسحاق (إسحاق رابين) حكومة ائتلافية ضم إليها من بين الأحزاب الدينية حزب «شاس» الذي يمثل اليهود السفارديم من «الحريديم». ولم يعهد إسحاق رابين بوزارة الأديان، وهي الوزارة التي ظل «المفدال» يتولى أمرها منذ عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٩٢، إلى أي من شخصيات الأحزاب الدينية في أول تشكيل معلن لحكومته في أوائل يوليو ١٩٩٢، وظل يحتفظ بأمر تسيير دفتها بين يديه من خلال نائب وزير من حزب «شاس».

ويقوم الموقف الفكري والأيديولوجي لحزب «المفدال» من القضايا السياسية والدينية على المحاور التالية:

١- لا تقوم بين البحر ونهر الأردن إلا دولة واحدة هي دولة إسرائيل، أي رفض إقامة دولة فلسطينية، وعدم تسليم أي جزء من «أرض إسرائيل» إلى سلطة أو سيادة أجنبية.

٢- القدس هي من الآن، وستبقى إلى الأبد، عاصمة لدولة إسرائيل وشعب إسرائيل.

٣- استمرار حركة الاستيطان في كل أجزاء أرض فلسطين، بما في ذلك الضفة الغربية (يهودا والسامرة) وقطاع غزة. وهضبة الجولان جزء من دولة إسرائيل غير قابل للسلخ عنها، وفي أي عملية تهدف إلى السلام ينبغي عدم التفاوض في شأنها من زاوية الأراضي.

٤- تأييد اتفاقية «كامب دافيد».

٥- الخدمة في جيش الدفاع الإسرائيلي هي واجب على كل فرد في إسرائيل، ولا مبرر لانتهاء الخدمة في جيش الدفاع الإسرائيلي بسبب الدراسة في «اليشيفو» (المعاهد التلمودية).

٦- لا بد من تقوية مكانة «الحاخامات الرئيسية» ودعم أعمال «المجالس الدينية».

٧- تأييد التشريع الديني مع المحافظة على اتفاقية «الوضع الراهن».

٨- التأييد الكامل لقانون «من اليهودي؟».

٩- تأييد إقامة «حكومة وحدة وطنية».

١٠- شجب الحاكم الذاتي الفلسطيني واعتباره خطرًا على دولة إسرائيل، ويمكن أن يؤدي إلى نشوء دولة فلسطينية.

ومن الأمور التي يجدر ذكرها بشأن مواقف «المفدال» من قضايا العلاقة بين الدين والدولة، أن طلبة المدارس الدينية التابعة «للمفدال»، وخصوصًا طلبة «مركاز هراف كوك» في القدس، ومدارس حركة «بني عقيفا» يذهبون إلى الخدمة العسكرية طواعية خلال إجازاتهم السنوية، أو ينقطعون عن دراستهم لمدة معينة ثم يعودون إليها بعد إنهائهم لخدمتهم العسكرية. وفي سبيل تشجيع طلبة المدارس الدينية على أداء الخدمة العسكرية بادرت مدرسة «أور عتسيون» الدينية الصهيونية عام ١٩٧٩، وبتنسيق مع الجيش الإسرائيلي ووزارة المعارف إلى إنشاء كلية عسكرية خاصة بالمتدينين أطلق عليها «كلية أور عتسيون العسكرية الدينية»، وهذا بخلاف موقف سائر الأحزاب الدينية اللاصهيونية التي يتحايل شبابها على التهرب من الخدمة العسكرية، ويصر زعماؤها على الحفاظ على مكسب تأجيل الخدمة لأبناء المدارس الدينية التابعة لها وعدم تجنيد الفتيات.

٣- «تامي» (قائمة تقاليد إسرائيل):

اشتركت هذه القائمة أول مرة في انتخابات الكنيست العاشرة (١٩٨١)، في إثر انسحاب أهارون أبو حصيرا من «المفدال». وقد حاول أبو حصيرا أن يستقطب المتدينين من اليهود الشرقيين (يهود المغرب في الأساس) وفاز بثلاثة مقاعد، وانضم أبو حصيرا إلى الحكومة الائتلافية برئاسة بيجن، وزيرًا للعمل والرفاهية، إلى أن استقال في ٣٠ أبريل ١٩٨٢ في إثر إدانته بفضيحة مالية.

وقد خاض أبو حصيرا انتخابات الكنيست الحادي عشر (١٩٨٤) في ظل ظروف مختلفة تمامًا عن تلك التي كانت سائدة في عام ١٩٨١. ففي ذلك الحين طرحت «تامي» نفسها على اعتبار أنها قائمة طائفية تسعى لاستقطاب اليهود المهاجرين من شمال أفريقيا. غير أن قوة أبو حصيرا أخذت في التراجع بسبب الفضيحة المالية التي تورط فيها، كما ظهرت خلال انتخابات ١٩٨٤ قائمتان دينيتان جديدتان نافستا «تامي» على المقترعين أنفسهم تقريبًا (اليهود الشرقيون المتدينون)، هما «موراشا» و «شاس» اللتان سيرد عنهما الحديث لاحقًا. وعلى ضوء هذا فإن «تامي» لم تحصل إلا على مقعد واحد فقط، في انتخابات الكنيست الحادي عشر (١٩٨٤)، بينما لم تحصل على أي مقعد في الكنيست الثاني عشر (١٩٨٨). وكذلك أيضًا في الكنيست الثالث عشر (١٩٩٢).

وبالنسبة لمواقف «تامي» من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فإنها تعكس مواقف «المفدال» نفسها، حتى أنه شاع عنها أنها «مفدال شمال أفريقيا».

٤- «موراشا» (التراث):

قائمة انشقت عن «المفدال» بزعامة الحاخام المتطرف حييم دوركمان. وهي تتكون من «متساد» (مَحَنيه تسيوني داتي) أي (المعسكر الصهيوني الديني) برئاسة دروكمان، ومن «أوروت» (أضواء) بزعامة حانان بن بورات أحد قادة حركة « جوش إيمونيم» الأصولية الاستيطانية المتطرفة المعروفة، ومن حزب «عمال أجودات يسرائيل»، الذي مني بفشل ذريع، في انتخابات الكنيست العاشر (١٩٨١). وقد جاء هذا التحالف نتيجة تبدد الأمل في «توحيد المعسكر الديني القومي» بعد أن رفض زعيم «المفدال» يوسف بورج، اعتزال رئاسة الحزب، كما كان يطالب بذلك دروكمان وبن بورات.

وقد تعرضت قائمة «موراشا» لانتقادات عنيفة، واتهمت بأنها كانت السبب في نشوء «شراذم أحزاب دينية»، كما اتهم الحاخام دوركمان بالتسبب في «المزيد من التفتيت».

وقد توقع دروكمان أن تحصل قائمة «موراشا» على أصوات من الجمهور «الديني القومي»، ومن الجمهور المتدين في أوساط «المفدال» و«عمال أجودات يسرائيل» و«تامي» و«هتحيا» و«الليكود». وتمثل قائمة «موراشا»، كما يقول دروكمان «تراث الأجيال الذي سيترك آثاره في دولة إسرائيل كلها، وأن المشكلات تثقل كاهل الدولة في مجالات مختلفة، وضمنها المجال الاجتماعي والمجال الخلقي، وعندنا الحلول من ينبوع التوراة والعقيدة المتأثرة بمحبة إسرائيل الحقيقية».

وتجدر الإشارة إلى أن قائمة «موراشا» تعتبر من أكثر الأحزاب الدينية تطرفا وتعصبًا، على الصعيد الديني أو على الصعيد السياسي، إذ أن مواقفها تلتقي مع مواقف «الليكود» وحركة «حيروت» بالذات.

وقد تحدث إبراهام فيرديجر، زعيم حزب «عمال أجودات يسرائيل»، عن سبب التحالف مع «متساد» وليس مع «أجودات يسرائيل»، فقال: «إن أجودات يسرائيل» غارق في الخلافات والنزاعات الداخلية، ولذلك فإن هذا وقت عصيب لمحاولة الاتحاد معه. ونحن نعتقد أن الاتحاد مع «متساد» خطوة متواضعة نحو تحاشي تشرذم الأحزاب الدينية...».

والمعروف أن حزب «عمال أجودات يسرائيل» حزب غير صهيوني وينتمي إلى «المعسكر التوراتي»، ولا يشارك في انتخابات المؤتمر الصهيوني، وقد أصر على حذف كلمة «صهيونية» من برنامج قائمة «موراشا»، ووافق «متساد» على ذلك بالرغم من أنه يعتبر نفسه حزبًا صهيونيًّا.

وقد فسر الحاخام فيرديجر ذلك بأن حزبه يؤمن أيضًا «بتكامل التوراة» و«تكامل البلد» و«تكامل الشعب»... وبالنسبة للصهيونية، فإن «متساد» ينتمي إلى الصهيونية الدينية في حين ننتمي نحن إلى المعسكر الأرثوذكسي المتشدد (الحريدي)، لكننا سنتعاون مع «متساد» في الكنيست بالتأكيد.

٥- «ميماد» (معسكر الوسط الديني) أو «اليهود العقلانية»:

أنشئ هذا الحزب الديني الجديد «ميماد» (مَحَنيه مركاز داتي) أي (معسكر الوسط الديني) بزعامة الحاخام يهودا عميطل الذي يرتبط بحزب «العمل».

ويعتمد هذا الحزب على اليهود من أصل أوروبي، لا سيما الناطقين باللغة الإنجليزية، لينافس «المفدال» و «شاس»، اللذين كانا يتنافسان على أصوات اليهود الشرقيين. وقد وصف الصحفي موتي باسوك هذا الحزب بقوله «إن حزب «ميماد»، عبارة عن قائمة أكثر «أشكنازية» وأقل تطرفًا». ولم يحصل هذا الحزب على أي مقاعد في انتخابات الكنيست الثاني عشر (١٩٨٨).

وهناك اتجاه لعرض هذا الحزب الجديد كبيت لكل الدينيين القوميين الذين لا يوافقون على الاستقطاب اليميني كما تجلى في «المفدال». والحاخام يهودا عميطل، رئيس «يشيفاهر عتسيون» في «إيلون شافوت» في «جوش عتسيون»، هو بمثابة الروح الحية وراء مبادرة إقامة هذا الحزب، ويتمسك بالرأي الخاص بمعارضة أي تشريع ديني على أساس اتفاقيات ائتلافية.

ومن رأيه أن التشريع الديني لم يزد عدد الورعين، وأن أية إضافة لتشريع كهذا ستزيد فقط من التراجع الموجود لدى جزء من الجمهور العلماني في البلاد تجاه الدين.

وهناك اتجاه آخر يسيطر على الحاخام عميطل وأتباعه، يرى أن الموقف السياسي المتطرف المدعوم بالمزاعم الدينية يحول الدين إلى موضوع للاستقطاب والكراهية. ويناضل الحاخام عميطل ضد الانطباع القائل أن الخط السياسي المتطرف هو جزء حيوي من الجمهور الصهيوني الديني، ويعتقد أن الموقف السياسي المعقد في المنطقة، يجعل من كل خط سياسي خطًا شرعيًّا. ويخشى عميطل من احتمال أن يظهر في المستقبل جيل جديد من السياسيين لا تكون لديه حساسية تجاه الطابع الديني للدولة، ولذلك فإنه يعتقد أنه ينبغي تغيير كل المناخ السائد في العلاقات بين الدينيين والعلمانيين، وهو لا يريد أن يفرض الدين، ويريد أن يقنع الجمهور العلماني بأن هناك مجالاً للحفاظ على الطابع اليهودي لإسرائيل.

والحاخام عميطل كان حتى حرب لبنان ١٩٨٢ معروفًا فقط داخل دائرة «يشيفا هرعتسيون»، وكان كتابه التأملي «أفكار من الأعماق» (معالوت ميعماكيم) الذي نشره بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ كتابًا حماسيًا. وقد ذاعت شهرة الحاخام عميطل بعد أحداث مذبحة صبرا وشاتيلا، حيث علق في «اليشيفا» منشورًا حظي بالانتشار، حدد فيه أن المذبحة التي تمت في مكان يحتله جيش الدفاع الإسرائيلي، أدت إلى تدنيس اسم الرب، ولن يغتفر لهؤلاء حتى في عيد الغفران القادم، واستنكر الوزراء الدينيين الذين فضلوا شرف رئيس الحكومة على شرف السماء.

و«يشيفا هرعتسيون» معروفة بأنها «يشيفا» متفتحة وليبرالية، تتسم في مناهجها بالاعتدال. وقد حرم الحاخام عميطل على تلاميذه المشاركة في المستوطنات والاشتراك في مظاهرات «جوش إيمونيم»، وكذلك المشاركة في أعمال معارضة إخلاء مستعمرة ياميت في سيناء.

وعندما قرر عميطل خوض انتخابات الكنيست الثاني عام ١٩٨٨، وقدم نفسه كزعيم سياسي، أنشأ حزب «ميماد» كحزب ديني قومي معتدل، وحصل على سبعة عشر ألف صوت، ولكنه لم يحصل على النسبة التي تؤهله لعضوية الكنيست. وكانت وجهة نظره بشأن إقامة هذا الحزب، أنه لم يجد حزبًا يمكن أن ينحاز إليه كلية، ولكنه كان متعاطفًا مع إسحاق رابين. وكان ما يزعجه هو أن الجمهور الديني انحاز كلية إلى اليمين.

ويرى عميطل أن «جوش أيمونيم» هي مسيحانية كاذبة؛ لأنها مشكّلة من كافة أنواع العناصر والأشخاص، حيث يوجد فيها الدينيون، والعلمانيون، وأصحاب وجهات النظر السياسية وأصحاب وجهة النظر المسيحانية الذين يروجون لفكرة أن نجاحهم مضمون في كل ما يتم في مجال الدولة. ويرد عليهم عميطل بقوله: «أن تلاميذ الحاخام «هجرا» (الياهو بن شلوموزلمان – جاؤون فيلنا) قد تحدثوا عن «بداية الخلاص»، وتحدثوا بالنغمة نفسها كذلك في مدرسة الحاخام كوك. وبعد كل هذا جاءت «أحداث النازية». ومعنى هذا، أنهم عندما يتحدثون عن «بداية الخلاص» فليس معنى هذا أن كل ما يحدث لنا هناك ضمان بألا يحدث مرة أخرى. لذلك فإن كل قرار لنا يجب أن يتم معتمدًا على التروي مع المسئولية، وهي المسئولية التي تضاعفت في أعقاب «أحداث النازية». والقول أنه لا ينبغي الالتفات إلى ما يحدث؛ لأننا في مرحلة «بداية الخلاص» أو المسيحانية والنجاح مضمون في كل ما نفعله، هو وجهة نظر تنقصها المسئولية.

ويتفق الحاخام عميطل مع التفسير الذي يرى أن النجاح النسبي الذي حققه «الحزب الديني القومي» (المفدال) في انتخابات يونيو ١٩٩٢ للكنيست الثالث عشر معناه أن الجمهور الديني الصهيوني في إسرائيل هو جمهور يميني صقري في توجهاته. ولكنه يرى من ناحية أخرى، أن هذا خطأ، وأن هذه ظاهرة سلبية في حاجة إلى تعديل. ويرى أن عدم دخول «المفدال» في حكومة إسحاق رابين هو بمثابة رسالة سلبية إلى الجمهور الديني، وبالذات الشباب، الذين يتحدثون طوال الوقت على أن «أرض إسرائيل» هي الأساس بالنسبة لهم، وأن كل الأشياء هي قيم ثانوية؛ لأن معنى هذا أنهم على استعداد للتنازل عن مكاسب في مجال التعليم والخدمات الدينية في مقابل الحفاظ على «أرض إسرائيل». ويبدي عميطل تعجبه من سماع مثل هذه الأمور من حاخامات مهمين، لديهم استعداد للمغامرة بخوض حرب إبادة مدمرة في سبيل الحفاظ على «أرض إسرائيل». وإن كان هناك حاخامات من داخل «المفدال» يؤمنون بما يؤمن هو به إلا أنهم لا يجدون في أنفسهم الشجاعة لكي يقولوا هذا صراحة.

وبشأن إعادة المناطق المحتلة في هضبة الجولان، والمطروحة خلال محادثات السلام الجارية (نوفمبر ١٩٩٢)، يرى عميطل أن الجولان هي من حيث قدسية «أرض إسرائيل» جزء من البلاد، ولكن في حالة النجاح في التوصل إلى سلام حقيقي، فإنه يمكن أن يكون هناك مجال للتسوية الإقليمية، وأن هذا الأمر ينطبق أيضًا على الضفة الغربية وغزة.. ويرى كذلك أن الحكومة تستلزم عدم التحرك من الجولان، فعليها ألا تتحرك حتى ولو لم تكن الجولان جزءًا من أرض الميعاد. وإذا استلزمت المصالح تقديم تنازلات، فعليها أن تتنازل حتى ولو كان الجولان أرضًا مقدسة. ولكنه أبدى تحفظًا تجاه التنازل الكامل عن الأراضي المحتلة، ودعا إلى ضرورة أن يكون هناك خط أحمر؛ لأن عدم وجود مثل هذا الخط يخلق مشكلة من ناحية الروح المعنوية ومن ناحية العلاقة بين الشعب والبلاد.

ويرفض الحاخام عميطل أن يكون للحاخامات دور في رسم الخرائط السياسية أو إصدار فتاوى شرعية بشأن عدم الانسحاب، لأن مثل هذه الفتاوى مضللة، وعلل هذا بقوله: «إذني أرى توجهًا إليها في كل ما يحدث الآن، ولكن لأنه ليس لدينا نبي، فإنه محظور العمل بما يتناقض مع الاعتبارات العقلانية».. والحاخام عميطل يهاجم الأحزاب الدينية القائمة ويرى أنها المسئولة عن توسيع شقة الخلاف بين العلمانيين والدينيين لشيوع انطباع عام بأنها متهمة بالإكراه الديني، بالإضافة إلى شيوع انطباع بأن هذه الأحزاب تستغل الدولة في بناء مؤسساتها ولا تسهم بنصيب في بناء الدولة، وهو الأمر الذي ينعكس في أن المظهر الديني للدينيين لا يحظى بالاحترام والتقدير.

ومن المقترحات التي يقترحها الحاخام عميطل في مجال تنظيم المؤسسات الدينية في إسرائيل، إلغاء مناصب الحاخامات الرئيسية في إسرائيل، وأن تنقل اختصاصات الحاخامين الرئيسيين إلى مجلس «الحاخامية الرئيسية»، الذي يشكل من أعضاء المحكمة الكبرى وحاخامات المدن الثلاث الرئيسية (تل أبيب – حيفا – يافا)، وأن يكون كل واحد منهم رئيسًا (للحاخامية الرئيسية) بالتناوب. ويرجع سبب اقتراحه هذا إلى أن الصفات الرئيسية التي يجب أن يتصف بها «الحاخام الرئيسي»، وهي المرونة في الفتوى الشرعية، والقبول الجماهيري الذي يتيح له توصيل صوت التوراة ونقل الرسائل في مجال الإيمان والأخلاق والشرائع لمجموع الناس، هي صفات نادرة وغير متوافرة فيمن يتبوءون هذا المنصب.

والجدير بالذكر أن حزب «ميماد» لم يخض انتخابات الكنيست الثالث عشر، خوفًا من تكرار تجربة الفشل التي تعرض لها في انتخابات الكنيست الثاني عشر، ولأن نسبة الأصوات المطلوبة لدخوله الكنيست لم تكن مضمونة.



الفصل الرابع : المعارضة الدنية الصهيونية على ضوء فكرة المسيح المخلص

تنطلق اليهودية الأرثودكسية المتشددة (الحريدية) المسيحانية المعارضة للصهيونية ولدولة إسرائيل في رفضها للصهيونية، ردًا على استخدام الصهيونية للدين اليهودي، من أن الصهيونيين يخفون الملابس الصهيونية القذرة والفجة تحت ثياب طاهرة ومقدسة، ولذلك فإنهم لا يسيرون على هدي تعاليم الدين والشريعة اليهودية الحقة. ويرى هؤلاء اليهود الأرثوذكس المسيحانيون المعادون للصهيونية، أنه كما أن النبي إرميا قد تنبأ بالمكروه لمعاصريه ممن استسلموا لخديعة الأنبياء المزيفين، فإن ما يحدث في العصر الحديث، هو تكرار لتجربة إرميا، حيث أن الكثيرين من اليهود انجرفوا وراء أمواج الكلمات وخطب الدعاة الصهاينة الذين يمثلون الأنبياء المزيفين. إن دعاة الصهيونية في نظر هؤلاء الحاخامات اليهود هم بشر لم يقبلوا السيادة السماوية ولا الإرادة الإلهية ولا يتبعون طريق التوراة، ويتفاخرون بأنهم قادرون على تحقيق السلام لليهود وإنقاذهم من محنتهم الحالية، وهي مزاعم تنكرها جذريًا نصوص متعددة من التوراة والتلمود والمدراش، لأن الخلاص المسيحاني لا يمكن أن يتم بوسائل بشرية سواء كانت هذه الوسائل المال أو السلاح:«هكذا قال الرب لقد باعوكم بدون مقابل لذلك لن يفك أسركم بالمال» (إشعيا ٥٢: ٣)، وكذلك أيضًا : «لا بالعنف ولا بقوة الجيش ولكن بروحي» (زكريا ٤ :٦)، وكذلك أيضًا: « سوف أخلصهم بقوة رب الخلود إليهم ولن أنقذهم بالقوس ولا بالسيف ولا بالحرب ولا بالخيل ولا الفرسان» (هوشع ١: ٧).

و قد أدرك الزعماء الدينيون اليهود منذ ظهور الحركة الصهيونية أنها حركة قومية علمانية، وتصدى أغلب هؤلاء للفكرة والحركة الصهيونية ليس بسبب طابعها العلماني فقط، ولكن لإيمانهم أن بناء مملكة فقط، ولكن لإيمانهم أن مملكة إسرائيل لابد أن يتم على يد المسيح المنتظر.

وقد كان الدينيون المعارضون للحركة الصهيونية، ينطلقون في معارضتهم هذه من اعتقادهم الثابت بوجود فرق بين الدين والسياسة. وقد كتب الحاخام يوسف حييم سونفليد زعيم الطائفة اليهودية الأشكنازية في القدس، عام ١٨٩٨م رسالة إلى صديق له تضمنت هجومًا شديدًا على هرتزل وصفه فيها بأنه قادم من «الجانب الملوث». واعتبر الفيلسوف اليهودي الأمريكي موريس س.كوهين عام ١٩١٩م أن الصهيونية «تحاول دون جدوى استعادة فترات قصيرة من التاريخ اليهودي القومي التي تلاشت منذ وقت بعيد».

وامتدادًا لهذه المعارضة عقد في مدينة أتلانتيك سيتي الأمريكية عام ١٩٤٣م اجتماع ضم اثنين وتسعين حاخامًا في محاولة لعرقلة تيار الصهيونية كما عبر عنه برنامج بيلتيمور. وقد جاء في مقررات المجتمعين:

وقد أعلن المجلس الأمريكي لليهودية – وهو تنظيم مناوئ للصهيونية- عندما اقترح حلاً ماديًا للمشكلة اليهودية:

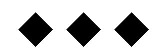
«إننا نعترض على إقامة دولة يهودية في فلسطين، أو في أي مكان آخر، فتلك فلسفة انهزامية، لا تقدم حلاً عمليًا للمشكلة اليهودية».

ولم تكن المعارضة الدينية للصهيونية مقتصرة على دعاة الاندماج والعالمية بين المتدينين اليهود، بل إن قطاعًا واسعًا من المتدينين الأرثوذكس، والذين تتسم معتقداتهم الدينية والفكرية بالانغلاق عادة، قد عارضوا الحركة الصهيونية، ليس لأن دعاة هذه الحركة كانت تصطدم مباشرة بالفكر اليهودي الأرثوذكسي أيضًا.

ويمكن القول إن أمل العودة وإحياء مملكة إسرائيل كان أهم قواعد اليهودية الأرثوذكسية لفترة تزيد على ١٧٦٢ عامًا – من ثورة بركوخبا عام ١٣٥م حتى بداية الحركة الصهيونية ١٨٩٧م – ولد وانقرض خلالها ستون جيلا من اليهود.

ويعتبر مفهوم انتظار المسيح المخلص، بمثابة الوسيط بين مفهوم الاختيار، وبين محن «المنفى» التي تتناقض مع هذا المفهوم. والمسيح المخلص الذي يطلق عليه اليهود اسم «همَّا شيياح بن دافيد»، يشكل اعتقادًا راسخًا عند عامة اليهود، منذ السبي البابلي (٥٨٦ق.م). ويعزو بعض الباحثين هذه الظاهرة إلى إحساس اليهود آنذاك بحاجتهم إلى من يخلصهم من أسر البابليين، لذا اقترن انتظار المسيح عند اليهود بترقب عموم الخير، حيث ستنقلب حالهم عند قدومه إلى أحسن حال، وسيحقق لهم المسيح كل أمانيهم، فيجمع لهم «شتات المنفيين»، ويعود بهم إلى صهيون، ويحطم أعداء شعب «إسرائيل»، ويتخذ أورشليم عاصمة له، ويعيد بناء الهيكل ويحكم بالشريعة المكتوبة (التوراة) والشفوية (التلمود)، ثم يبدأ الفردوس الذي سيدوم ألف عام (من هنا جاءت تسمية «الأحلام الألفية»). وبقدومه أيضًا سيسود السلام في العالم، ويزل الفقر، وستحول الشعوب أدوات الحرب إلى أدوات بناء، ويصبح الناس كلهم موحدين، أحباء، متمسكين بالفضيلة، أما «صهيون» فستكون مركز هذه العدالة الشاملة، وستقوم كل الأمم على خدمة «المسيح»، أما الأرض فتخصب وتطرح فطيرًا وملابس من الصوف وقمحًا حجم الحبة منه كحجم الثور الكبير، ويصير الخمر موفورًا.

ومما لاشك فيه أن فكرة «المسيح المخلص» كانت إحدى العوائق الفكرية التي جابهت الحركة الصهيونية. وقد لجأت إلى الالتفاف على هذه الفكرة عن طريق الادعاء بأن جهودها لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، ستكون من أجل تمهيد الطريق أمام قدوم المسيح، بيد أن هذا التعليل لم ينطل على قطاع واسع من اليهود، وخاصة المتدينين المتشددين «الحريديم».«إن (إجودات يسرائيل على سبيل المثال، اعتبرت أن الجهود لإقامة دولة يهودية في فلسطين، هي اعتداءات على سلطة المسيح، واستعجال للنهاية – (دحيقت هكيتس)- غير مرغوب فيه. وعندما حاولت (أجودات يسرائيل) في الثلاثينيات مد الجسور مع الحركة الصهيونية، أدت هذه المحاولة إلى انشقاق صغير داخلها، وأسفر هذا الانشقاق عن ظهور حركة (نطوري كارتا)، التي رفضت الاعتراف بالحركة الصهيونية وبدولة إسرائيل حتى اليوم، وذلك لأن هذه الدولة حسب مفاهيم (نطوري كارتا)، قامت على يد نفر من الكافرين، الذي حرفوا مشيئة الله بعملهم، وتطاولوا على وعد الرب، بدلاً من انتظار المسيح الموعود وتدخل الرب بصورة إعجازية، فالمسيح المنتظر هو وحده القادر على إقامة الدولة، حيث تكون مملكة الكهنة والقديسين».



آليات انتقال القوى الدينية الحريدية للعبة السياسة في إسرائيل

لقد عرف العالم اليهودي في كل من غرب وشرق أوروبا «عصر التنوير اليهودي» (الهسكالاه) (١٧٨٠ – ١٨٨٠)، حيث وجه المثقفون اليهود كل سهامهم المسنونة نحو تحجر الدين ووصاية الحاخامات، ومهدوا الأرض للخروج من أسوار «الجيتو» اليهودي في غرب أوروبا، ومن منطقة «تخوم الاستيطان» في شرق أوروبا. قد أدان اليهود الأرثوذكس هذه التوجيهات إدانة بالغة، ورأوا فيها ابتعادًا آثما عن الشريعة والوصايا اليهودية. وعندما ورثت الصهيونية «الهسكالاه» بفعل عوامل وظروف تاريخية وفكرية متعددة، أصبح هذا الجدل بين اليهودية الأرثوذكسية والصهيونيين العلمانيين جدلا متهافتًا تجاوزه الزمن. وقد بدأ نظام «القهيلوت»، أي نظام الجماعات اليهودية التقليدية في الشتات، والذي يلعب فيه الحاخام دورًا رئيسيًا في الرقابة الاجتماعية الدينية، في التفكك اعتبارًا من هذا التاريخ بفعل قوتين متناقضتين هما: حركة التنوير اليهودية، من ناحية، والحركة الدينية غير الأرثوذكسية «الحسيدية» من ناحية أخرى.

و قد قضت أحداث النازية خلال الحرب العالمية الثانية على المراكز التقليدية لليهود الأرثوذكس من ليتوانا وبولندا إلى بيساربيا. و غداة الحرب العالمية الثانية صار الصهاينة يشيرون إلى الحاخامات الأرثوذكس المعادين للصهيونية في وسط أوروبا بأطراف الأصابع ويتهمونهم بأنهم يتحملون مسؤولية كبرى في الحجم الذي بلغته أحداث النازية ضد اليهود، وذلك أنهم سهلوا – بمنعهم المؤمنين بالصهيونية من الهجرة إلى فلسطين، ووفقًا للمنظرين الصهاينة فإن موقف الخضوع للنازيين كان بمثابة النهاية الحتمية لليهودية في الشتات، تلك اليهودية العاجزة عن الكبرياء، والمستعدة، على العكس من ذلك لأكثر التسويات إذلالا، مع المجتمع غير اليهودي المحيط. وكان رمز هذا الإذلال هو شخصية « اليهودي الجيتوي» الممقوت والمكروه، تلك الصورة الذائعة الصيت لليهودي «لا عق الأحذية» ومهرج السيد البولندي الذي يغني أمامه ترانيم يوم السبت لتسليته وتسلية صحبته. وصاغت الصهيونية في المقابل صورة «العبري الجديد» النقيض التام «ليهودي الجيتو» المحنى الظهر المتملق. طريد الأحداث النازية (وهو من الموضوعات التي شاعت في الأدب العبري الحديث في فلسطين ثم إسرائيل اعتبارًا من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى نهاية الستينيات، وتم من جديد بعد حرب ١٩٦٧ إعادة تقييم ليهود الشتات وإعادة الاعتبار لهم).

واعتبارًا من نهاية الخمسينيات بدأ تأويل جديد لأحداث النازية في الظهور في الأوساط الأرثودكسية كرد فعل على الجدال الصهيوني. ووفقًا لهذا التأويل فإن الصهيونية أصبحت هي المسؤولة عن استفزاز أحداث النازية ضد اليهود، وذلك حين ابتعدت عن الموقف الشتاتي التقليدي لليهود وهو الموقف الجالوتي (نسبة إلى المنفى في المصطلح اليهودي الديني والذي يقوم على السعي إلى التسوية، والحل الوسط مع غير اليهود رجوعًا إلى موقف يوحنان بن زكاي في «يفنه في الفترة الرومانية»).

ووفقًا لأحد غلاة الأرثوذكس من الحاخامات المتطرفين فإن « التوراة تحذر اليهود وتطلب إليهم المفاصلة» الكاملة في كافة وجوه حياتهم، مع الشعوب المحيطة بهم.

وتبدو أحداث النازية هنا وفقًا لهذا المنظور بمثابة عقاب من الرب وقصاص من أولئك الذين انتهكوا وصايا التوراة وأوامرها وسعوا للتشبه «بالأمم» والانصهار بها أولا، ثم بالتصميم على إنشاء دولة يهودية على غرار الدول الأخرى «جوي كِشْأر هجوييم» (شعب كسائر الشعوب) وهو شعار الصهيونية العلمانية الاشتراكية، ثانيًا.

وعلى هذا فإن الأيديولوجية الأرثوذكسية قلبت المنهج الصهيوني رأسًا على عقب وجعلت من «أوشفيتز» عقابًا لكل مشروع سياسي يهودي لا يستمد إلهامه الوحيد من التوراة ويحترمها احترامًا صارمًا دقيقًا.

وعندما أشاع هؤلاء «الحرديم» روايتهم الخاصة بأحداث النازية، فإنهم عادوا للانخراط في التاريخ في الوقت نفسه الذي أعادوا فيه إدارج مستقبل اليهود كتاريخ مقدس، محركه هو الله، يعاقب في الخارجين على شريعته عقابًا لا رأفة فيه. وهذه القراءة للتاريخ هي التي أتاحت لهم تأمين الصلة مع الأجيال الشابة من اليهود في إسرائيل الغارقين في الثقافة العلمانية، وألحقتهم بالأرثوذكسية اعتبارًا من السبعينيات بتوسط «التوبة» (تشوفا).

وبعد احتلال الضفة الغربية وغزة في حرب يونيو ١٩٦٧ طرأ تحول على مواقف معظم الأحزاب الدينية الصهيونية، حيث اعتبرت هذه الحرب معجزة وإشارة ربانية لبداية الخلاص المسيحاني. وفي الأوساط الدينية غير الصهيونية انطلق صوت زعيم حسيدي «حَبَد» الحاخام شنيورسون الملقب «بالحاخام من لوفافيتش» ليؤكد أن دولة إسرائيل» ككيان ليست تعبيرًا عن الخلاص؟ ولكن من ناحية أخرى فإن «أرض إسرائيل» تحدت السيادة اليهودية تنطوي على مغاز دينية ذات أهمية، ولذلك تدعو الحركة إلى عدم التنازل عن أي من الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧، وذلك من منطلق أحكام الشريعة الدينية وفي المقابل فإن إحدى الجماعات الحسيدية وهي جماعة «ساطمار» عارضت هذا التفسير «الحبدي»، وتساءل حاخامها: كيف يقف الرب بجوار دولة كافرة وملحدة لتنتصر في الحرب، ورفض كل التفسيرات الإعجازية والربانية لانتصار إسرائيل.

وقد اعتمد قسم من هذا التيار الديني المعادي للصهيونية، في تأكيده عدم قدسية إسرائيل على الفارق بين «دولة إسرائيل» و«أرض إسرائيل» وعلى ذلك الجزء عينه الذي لا يمثل قيمة مهمة في التقاليد الدينية اليهودية.

ولكن بعد احتلال عام ١٩٦٧ زال هذا الفارق عمليًّا وأصبح هناك تطابق بين «أرض إسرائيل » وهي ذات مفهوم ديني، وبين دولة «إسرائيل» وهي ذات مفهوم سياسي علماني، ووقعت الحجة القديمة في مأزق وجد له حلاً في اقتراب أتباع هذا التيار بالتدريج من الأوساط اليمينية في إسرائيل» ، ومن «حركة إسرائيل الكاملة»، كما كانت تلك الأوساط تطلق على نفسها. ولم يكن أتباع الحاخام من لوفافيتش مثلا مستعدين بعد ذلك لدعم برنامج سلام «معراخي» يقوم على التنازل عن أجزاء من الأراضي المحتلة. وعلى الرغم من استمرار لصهيونية هذا التيار، فإن تحول «أرض إسرائيل» إلى قيمة دينية في نظره جعله يقترب كثيرًا من مواقف حركة أصولية يهودية مثل «جوش إيمونيم».

أما التيار الثاني، وهو تيار قديم جديد فهو تيار تمثله المدارس الدينية اللتوانية بزعامة الحاخام الأشهر اليعيزر مناحم شاخ، الذي يعتبر شخصية متميزة في عالم المتدينين اليهود من «الحريديم». وقد أسهم بعد انشقاقه عن «مجلس كبار التوراة» (السلطة الروحية لأجودات يسرائيل)، في إقامة حزبين هما حركة «شاس» التي يقاسمه زعامتها الروحية الحاخام عوفاديا يوسف، حركة «ديجل هتوراه» (علم التوارة) التي لا ينافسه أحد في زعامتها.

وينظر الحاخام شاخ إلى دولة إسرائيل نظرة برجماتية مغالية في براجماتيتها، لأنه ينزع أي قيمة مقدسة عن إسرائيل، فلا هي «بداية الخلاص» كما تعتقد «جوش إيمونيم»، ولا هي «مقدمة لبداية الخلاص إذا أحسن استخدامها» كما تدعي أوساط «أجودات يسرائيل»، وليست « أرض إسرائيل» مقدسة في حد ذاتها.

وتثير مواقف الحاخام شاخ في إسرائيل اهتمامًا واسعًا لأنه المرشد الروحي لأحزاب دينية ترجح كفة هذا الائتلاف الوزاري على ذاك.

وباستثناء جماعة «نطوري كرتا» (حراس المدينة) المعادية للصهيونية ولوجود الدولة، يتضح أن الاتجاهات الدينية التقليدية الأرثوذكسية (الحريدية) تنقسم إلى ثلاثة تيارات أساسية يجمعها العداء للطبيعة العلمانية للدولة (تكفير الدولة واعتبار إسرائيل نوعًا من أنواع «المنفى».

(المقصود «بالمنفى» هنا ليس البعد الروحي، أي أن المصطلح هنا ليس سياسيًّا بل ثيولوجي ميتافيزيقي، لا يغيره قيام الدولة، عن طريق الخلاص المسيحاني). وقد اختلفت هذه التيارات فيما بينها في مواقف تتدرج من التعايش مع إسرائيل كدولة غريبة، يجب التعامل معها كما يتعامل اليهود مع الدول الأجنبية، إلى إضفاء صبغة دينية مجددة على دولة إسرائيل وإعطاء شيء من الأهمية الدينية لمفهوم الاستقلال الديني السياسي لليهود من خلال الدولة، كون قيامها كان نوعًا من أنواع العناية الإلهية لإنقاذ أرواح اليهود رافقته معجزات متكررة أهمها انتصار ١٩٦٧(الدولة بداية الخلاص ومجيء المخلص).

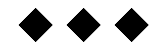
إن هذه التيارات اليهودية الأرثوذكسية «الحريدية» لا تتحرك وفقًا لهدف تحويل إسرائيل إلى دولة شرعية، لأن دولة «الهالاخاه» (الشريعة اليهودية) لن تقوم إلا بمجيء المسيح المخلص، لكنهم يطالبون باحترام الدولة للشريعة اليهودية، ويحاولون استغلال الدولة لدعم مشاريعهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية والتعليمية.

ومن هنا فإن بعض هذه الحركات الدينية الأرثوذكسية (الحريدية) المعارضة للصهيونية لا تهتم كثيرًا بالتوجه إلى المجتمع اليهودي العلماني في إسرائيل، وتكاد تكون مجتمعًا «جيتويا» منغلقًا على نفسه، ومن بينها حركات مثل «حسيدي ساطمر» و«حبد». وفي مقابل هذا توجد مدارس دينية أرثوذكسية تهتم اهتمامًا خاصة باليهودي العلماني، وتواجه إشكالية الكيفية التي ينبغي بها أن تتوجه إلى هذا اليهودي العلماني من أجل إعادته إلى جادة الصواب الديني والتوبة.

ويمكن القول، بأنه خلال الفترة من عام ١٩٧٤، عام إنشاء حركة «جوش إيمونيم» المتطرفة في «كفار عتسيون»، وحتى اكتشاف المؤامرة السرية التي دبرها أعضاء ينتمون لهذه الجماعة لنسف المسجد الأقصى عن طريق شبكة سرية إرهابية، كان العالم السياسي الديني «لجوش إيمونيم» هو أحد مراجع المجتمع الإسرائيلي المتدين الرئيسي.

وبعد اكتشاف مؤامرة ساحة المسجد الأقصى، التي أثارت ذهولاً حتى في صفوف المتعاطفين من «جوش إيمونيم» هذه، فإن هذه الحركة مرت بمرحلة توقف طوعي عابر أتاح لحركات معاودة تهويد أخرى أن تحتل مقدمة المسرح الديني، في إسرائيل، وكانت هذه الحركات هي الجماعات والأحزاب «الحريدية» الأرثوذكسية.

وقد كانت إستراتيجية هذه الجماعات حتى هذا التاريخ تقوم على إستراتيجية «معاودة التهويد من تحت»، وهي الإستراتيجية التي كانت تفضي بأتباعهم إلى الانعزالية في الحياة اليومية عن المجتمع المحيط والحياة في جيتو متحد سواء في إسرائيل أو خارجها في الشتات اليهودي. ولكن هذه القوى والجماعات الحريدية توصلت بعد استجلاء لاتجاهات اللعبة السياسية إلى أن تعي مقدار قوتها فدخلت اللعبة السياسية بقوة، وبدأت في ممارسة نفوذ حاسم في دولة إسرائيل اعتبارًا من عام ١٩٩٠، وذلك بتحكمهم في الائتلافات الحكومية وإجبارها على الاستجابة لمطالبهم المتعلقة بتطبيق الشريعة اليهودية في المجتمع وتمويل أنشطتها الدينية والثقافية والتعليمية، وذلك بما يشبه المعجزة سواء لمريديها القدامى أو الجدد.



الأحزاب الدينية المسيحانية الأشكنازية

١ - «أجودات يسرائيل»:

«أجودات يسرائيل»، هي منظمة عالمية، دينية وسياسية لليهود المتشددين، مبدؤهم الرئيسي هو حل كل القضايا اليهودية وفقًا لروح التوراة.

وقد طرحت فكرة تأسيس «أجودات يسرائيل» لأول مرة عام ١٩٠٩، ولكن الإعلان الرسمي عن التأسيس، تم بعد ثلاث سنوات من ذلك. ففي عام ١٩١٢، وفي أعقاب قرار المؤتمر الصهيوني العاشر (١٩١١) بتضمين البرنامج الصهيوني النشاطات الثقافية، انسحب بعض الأعضاء من منظمة «مزراحي» الدينية، التي كانت قد تشكلت في وقت سابق، احتجاجًا على رفض طلبهم بالانسحاب من المنظمة الصهيونية العالمية. وقام هؤلاء معًا إلى جانب مجموعات أخرى من اليهود المتدينين من التيار الأرثوذكسي بالإعلان عن تأسيس «أجودات يسرائيل»، في مؤتمر عقد لهذا الغرض في كاتوفيتس ببولندا عام ١٩١٢.

ولعل أهم إنجازات المؤتمر هو ما كان يتعلق باختيار «مجلس كبار علماء التوراة»، كأعلى سلطة مرجعية لتنظيم حياة الجماعات اليهودية وتوجيهها. وهذا المفهوم لم يميز «أجودات يسرائيل» عن المنظمات اليهودية غير الدينية، وخاصة عن المنظمة الصهيونية العالمية فحسب، بل أيضًا عن منظمة «مزراحي» الدينية. وكان هذا المفهوم بمثابة المرتكز الأساسي لمعارضة «أجودات يسرائيل» لسلطات «الييشوف» (الاستيطان اليهودي في فلسطين قبل قيام الدولة) ومؤسساته ولاحقًا لدولة إسرائيل.

وبعد الاحتلال الألماني لبولندا، وقدوم العديد من زعماء «أجودات يسرائيل» في ألمانيا مع جيش الاحتلال كمستشارين، أصبح حزب «أجودات يسرائيل» أكبر حزب منظم بين يهود بولندا البالغ عددهم ثلاثة ملايين نسمة. وقد تمكن الحزب من تشكيل منظمات جماهيرية عديدة في تلك الفترة، منها التنظيم العمالي، وحركة «نساء أجودات يسرائيل» إضافة إلى شبكة واسعة من المدارس الدينية.

أما في فلسطين، وفي أعقاب الاحتلال البريطاني لها، وميل السلطات البريطانية للاعتراف بسلطة المؤسسات الصهيونية كإطار لتنظيم حياة الجماعات اليهودية هناك، فقد برز خطان داخل الجماعات اليهودية الأرثوذكسية: الخط الأول، وقد انضوى تحت لواء منظمة «المزراحي» التي آثرت الاندماج في حياة «الييشوف» اليهودي ومؤسساته، على حين آثر الخط الثاني النهج الانفصالي المغلق «لأجودات يسرائيل»التي كانت قد بدأت نشاطاتها بفعالية هناك في عام ١٩١٩.

لقد رفضت «أجودات يسرائيل» خلال فترة الانتداب البريطاني في فلسطين سلطة مؤسسات « الييشوف» العبرية وفرض اللغة العبرية كلغة حديث.

وقد اعتبرت غالبية «الييشوف» اليهودي، هذا النهج، بمثابة خيانة وتنكر للوحدة القومية اليهودية، الأمر الذي أدى من حين إلى آخر، إلى صدامات عنيفة بين «أجودات يسرائيل» والمعسكر الصهيوني.

وقد وصلت الصدامات إلى ذروة التوتر حينما قتل في القدس الحاخام يعقوب دي هان (١٩٢٢ – ١٩٢٤) المتحدث السياسي باسم « دوائر المتشددين الدينيين والمقربين من «أجودات يسرائيل» والذي كان على علاقة وثيقة بالعرب، وقاد معركة ضارية ضد «اليشوف» العبري ومؤسساته حتى في مؤسسات الانتداب البريطاني.

وكغيره من الأحزاب اليهودية، فقد تأثر حزب «أجودات يسرائيل» بموجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين. فعلى حين كانت جماعات «الييشوف» (الاستيطان اليهودي القديم) تسيطر على الحزب في فلسطين منذ تأسيسه هناك، فإن قدوم موجات المهاجرين من بولندا وألمانيا، في أعقاب صعود النازية إلى الحكم، أدى إلى الإخلال بموازين القوى داخل الحزب. فهذه الجماعات الجديدة من المهاجرين، سعت إلى تحقيق المزيد من الاندماج اقتصاديًا وإلى حد ما سياسيًا مع «أجودات يسرائيل» ونشاطاته وأهدافه السياسية في فلسطين.

وقد تجلت هذه الخلافات في الآراء بشكل واضح في «الجمعية الكبرى» (هَكنيست هَجدولاه) التي عقدت في مدينة مراينبد عام ١٩٣٧.

وكانت «أجودات يسرائيل» مُشَكَّلة من ثلاث جماعات رئيسية هي:

١- الأرثوذكسيون في ألمانيا، الذين كانوا متأثرين بنظرية حاخامهم وزعيمهم الأيديولوجي، الحاخام شمعون رفائيل هيرش (١٨٠٨ – ١٨٨٠). وقد اتخذ هؤلاء لأنفسهم عادات الغرب، والزي واللغة الألمانيين.

٢- الأرثوذكسيون في هنغاريا.

٣- الأرثوذكسيون في بولندا ولتوانيا، ولم يأخذ هؤلاء بعادات غرب أوروبا، ولا بوجهة نظر الأرثوذكسية اليهودية في ألمانيا.

من أجل ذلك فإن «الجمعية الكبرى» الثانية التي عقدت فيذيا عام ١٩٢٩، استقرت على الوضع الراهن لكل بلد من البلدان التابعة «لأجودات يسرائيل».

وفي أعقاب الأحداث النازية في أوروبا حدثت تغييرات في المؤسسات والهيئات الإدارية لأجودت يسرائيل. وفي اجتماع المجلس العالمي الذي عقد في مدينة مرايند، أقيمت ثلاثة مراكز رئيسية في كل من نيويورك ولندن والقدس.

وتحت ضغط الموقف في أوروبا والتغييرات التي حدثت في المعسكر المتشدد دينيًّا، بدأت «لأجودات يسرائيل» العمل في استيطان فلسطين، وأقامت مستوطنة زراعية باسم «محنية يسرائيل» في وادي يزرعئيل (وقد اندثرت بمرور الوقت)، وأقامت المدارس، والمؤسسات الاقتصادية وبدأت كذلك في التعاون مع المؤسسات الصهيونية.

وعند إعلان إسرائيل، عام ١٩٤٨، كان حزب «أجودات يسرائيل» قد قطع شوطًا طويلا في عملية تقبل فكرة الاندماج في إطار الدولة اليهودية بعد سنوات طويلة من النهج الانعزالي عن مؤسسات «اليیشوف» اليهودي في فلسطين، وهكذا ففي عام ١٩٤٨، تحول «لأجودات يسرائيل» إلى حزب إسرائيلي يعمل في إطار مؤسسات الدولة، عبر موافقته على المشاركة في مجلس الدولة المؤقت. وقد تم ذلك، بعد مناقشات داخلية طويلة بشأن الموقف من الدولة اليهودية، وبعد التوصل جميعًا مع باقي الأحزاب الدينية، إلى اتفاق مع الأحزاب الصهيونية الأخرى، بشأن بعض الشروط المتعلقة بتمكين التيار اليهودي الأرثوذكسي من الحفاظ على أنماطه الحياتية في إطار الدولة الجديدة.

والسلطة العليا الفعلية والمرجع الديني الأعلى، في «لأجودات يسرائيل» تتركزان في أيدي ما يسمى «مجلس كبار علماء إسرائيل» (موعيتسيت جدولي هتوراه)، المشكل من حاخامات من أصل لتواني و «أدمورائيم» (لقب يطلق على كبار رجال الدين اليهودي من الحسيديم، وهو اختصار للكلمات «أدونينو» [سيدنا]، و«مورينو» [معلمنا]، و«ربينو»[مولانا]) من «الحسيديم (أتباع الحركة الحسيدية)، مع مراعاة الحفاظ على التوازن بين التيارين (أتباع الحركة الحسيدية)، مع مراعاة الحفاظ على التوازن بين التيارين اللتواني والحسيدي. ويوجد حاليًا في «مجلس كبار علماء التوراة» خمسة عشر عضوًا، من بينهم سبعة «أدمورائيم»، وسبعة من رؤساء «اليشيفوت»، والعضو الثامن هو رئيس «يشيفا سيفات إيميت» (لغة الحقيقة) الحاخام مناحم بنحاس ألتر، وهو شقيق «الأدمور» من جور، وهو يشكل بالفعل لسان الميزان في علاقات القوى داخل المجلس.

وهذا المجلس كباقي مؤسسات «أجودات» له ثلاثة مراكز. وينعقد المجلس فقط عندما تكون هناك حاجة للبت في القضايا المتعلقة بسياسة الحزب. وعلى العموم لا تنشر قراراته إلا إذا كانت تتعلق بقضايا سياسية مهمة، مثل مسألة الانضمام إلى الائتلافات الحكومية. ومن بين القضايا الأخرى، التي ناقشها القسم الإسرائيلي في مجلس كبار علماء التوراة« قضايا الخدمة العسكرية للنساء، وتشكيل «الجبهة الدينية المتحدة» في انتخابات الكنيست الأول، وتأسيس النظام التعليمي المستقل «بأجودات يسرائيل»، وانضمام حزب «عمال أجودات يسرائيل» للائتلاف، والنشاط التبشيري في إسرائيل، وكافة القضايا المتعلقة بالدين والدولة.

ورؤساء المعسكرين اللتواني والحسيدي في «مجلس كبار علماء التوراة» حاليًا هما الأدمور من جور الحاخام سمحا بونيم ألتر، والحاخام اليعيزر مناخم شاخ رئيس «يشيفا بونيباج»، وهما يشكلان الرئاسة بالاشتراك مع الحاخام الذي ضم إليهما مؤخرًا، وهو «الأدمور» من فينيتش الحاخام مؤشيه يهو شواع هامر من بني براك. وقد تم ضم الحاخام بنحاس مناحم ألتر للمجلس عام ١٩٨٥ بعد أن قام بإجراء انتخابات ناجحة في «أجودات يسرائيل» وفقًا لما يهم الذين من أصول هنغارية هو الفصل التام بين «الحريديم» والعلمانيين، وما يهم الذين من أصول بولندية (غالبيتهم من الحسيديم) هو التنظيم والتعليم، و«بيت يعقوب» والمحافظة المتعصبة على الإطار التنظيمي الذي يدعى «أجودات يسرائيل»، وما يهم «اللتوانيين» هو دراسة التوراة، وكل ما هو غير ذلك يعتبر ثانويًا في نظرهم لا يستحق إضاعة الوقت. وتضم هذه الطائفة ٣٠ ألف شخص. ومن اللافت للنظر في «أجودات يسرائيل» أنهم لا يعطون «للسفارديم» أي إطار تمثيلي، حيث لا يوجد أي حاخام سفاردي في «مجلس كبار علماء التوراة» من بين أعضائه الخمسة عشر، كما لا يمثلهم أحد في الكنيست عن «أجودات يسرائيل».

وبعد وفاة الأدمور سمحا بونيم ألتر في يونيو ١٩٩٢ بعد مرض عضال استمر معه لسبع سنوات (١٩٨٥- ١٩٩٢) كان من المتوقع أن تنقل زعامة طائفة جور إلى ابنه ووحيده الحاخام يعقوب الترالذي يبلغ من العمر ٥٢ عامًا، والمقيم في بني براك، ولكن وصية الأدمور المتوفى لم تحدد من يخلفه، ورفض ابنه الشاب بشدة خلافة أبيه، وتم تعيين الأدمور بنحاس مناحم ألتر شقيق الأدمور المتوفى (٦٦ عامًا)، وهو من الشخصيات النافذة في «أجودات يسرائيل»وذلك بحكم رئاسته لمركز الحزب، وإدارته لمدرسة «سفات ها إيمت» (لغة الحقيقة) الدينية. ووفقًا للعقيدة الحسيدية، فإن إحساس التضامن الحسيدي حول الأدمور هو «مصدر الصلاحية» التي يتمتع بها.

وهي التي تمنحه القوى الميتافيزيقية لمساعدة أتباعه بالمشورة أو بالبركة، حيث إن كل حسيدي يربط «جذره الوحي» بعلاقة متبادلة مع روح الأدمور.

والأدمور بنحاس خطيب مفوه بكل من العبرية واليديش، وأديب ذو الحريدية «همو دياع». وزوجة الأدمور الحاخامية تسبورة، تعتبر من الشخصيات المعروفة بين أسرة أدمورائي جور، وقد درست في المدرسة الثانوية الدينية الأورشليمية المعروفة باسم «فيلنادي روتشيلد». وهي تجيد اللغة الإنجليزية وتعمل حتى الآن مدرسة في «سمنار بيت يعقوب» الحسيدي في بني براك، وتتمتع بشخصية قوية وذات تأثير من وراء الستار في الحياة العامة لزوجها. ويتوقعون لها أن تلعب دور زوجة الأدمور بكفاءة، وهو دور مهم لأنه حسب التقاليد في جور –على عكس ما هو شائع في الطوائف الحسيدية الأخرى- لا يستقبل «الأدمور» النساء للتحدث معهن. وقد أصيب «الأدمور» الجديد وزوجته بمأساة منذ خمس سنوات (١٩٨٧) عندما مات ابنهم آريه (٢٧ عامًا) في حادثة طريق، أدت إلى إحساسهما الشديد بالألم والحزن لأنه كان أبرز أبنائهم الستة، وكان الابن الواعد لهذه الأسرة الحسيدية. ويعتبر الابن شاؤول هو الوريث المنتظر للأدمور الحالي. والمعروف عن الأدمور بنحاس أنه من المتبحرين في بحر التلمود، ولديه القدرة على أن يتلو من الذاكرة فقرات كاملة، سواءً من التلمود البابلي أو الأورشليمي أو المدراشيم. ومن هنا فإن موضوع التعليم سوف يكون شغله الشاغل الرئيسي، وخاصة أنه أعلن عقب انتهاء طقوس دفن الأدمور السابق أنه «على الشباب أن يعودوا الآن لدراساتهم».

وبعد تعيين الأدمور الجديد لطائفة جور بدأت الإشاعات والتوقعات حول التأثير السياسي لهذا التعيين، وخاصة أنه من غير المؤيدين لليسار، بعد فوز حزب العمل في انتخابات يونيو ١٩٩٢ للكنيست الثالث عشر. ومن المعروف أن الأدمور بنحاس هو الذي قاد «أجودات يسرائيل» في عام ١٩٧٧ إلى التحالف مع مناحم بيجن والتي استند إليها الليكود في تدعيم توليه للسلطة في إسرائيل على امتداد خمسة عشر عامًا (١٩٧٧-١٩٩٢). ومن ناحية أخرى، فإن الأدمور الجديد لن يدع كلاً من الحاخام شاخ والأدمور من فيجنيتس، أن يمليا عليه خطواته في «مجلس كبار علماء التوراة» بما يتعارض مع رأيه، وخاصة بعد أن قال كلمته بشأن رفض الانضمام للائتلاف الحكومي بزعامة حزب العمل.

وخلافًا «للمفدال»، فإن كافة زعماء ومؤسسي «أجودات يسرائيل» هم من الحاخامات اليهود .

ومن أشهر الزعماء المؤسسين: يتسحاق إيزاك هليفي (١٨٤٧-١٩١٤) أول من بادر إلى تأسيس «أجودات يسرائيل» في الخارج، وهو من أصل بولندي وضليع في العلوم الدينية، والحاخام سولومون بروبر (١٨٥٠-١٩٢٦) الذي كان زعيمًا لليهود الأرثوذكس في ألمانيا، والحاخام يتسحاق مئير لفين (١٨٩٤-١٩٧١).

أما أشهر زعماء «أجودات يسرائيل» حاليًّا فهم الحاخام شلومو لورانس (ولد في عام ١٩١٨ في هنغاريا، وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٩، وتلقى تعليمه في المعاهد التلمودية« (اليشيفوت) خلال الأعوام ١٩٣٢-١٩٩٤)، والحاخام يهودا مئير أفراموفيتس (ولد في بولندا عام ١٩١٣، وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٥، وأصبح عضوًا في الكنيست عن «أجودات يسرائيل» منذ عام ١٩٧١. وفي عام ١٩٦٩ كان نائبًا لرئيس بلدية تل أبيب، وشغل منصب السكرتير العام للحزب، وله مقالات عديدة في الشئون الدينية والسياسية. وفي أعقاب تولي «الليكود» للسلطة أصبح نائبًا لرئيس الكنيست.

وقد شارك حزب «أجودات يسرائيل» في كافة الانتخابات العامة التي جرت في إسرائيل منذ تأسيسها حتى الآن، كما مثل الحزب في مجلس الدولة المؤقت مع «عمال أجودات يسرائيل» بثلاثة أعضاء.

وقد خاض حزب «أجودات يسرائيل» انتخابات الكنيست الأول في إطار الجبهة «الجبهة الدينية المتحدة» (المشكلة من الأحزاب الدينية الأربعة). وحصلت الأحزاب الدينية مجتمعة على ١٦ مقعدًا. وقد تم الاتفاق بين الأحزاب الدينية آنذاك على أن توزع المقاعد بين المعسكرين الدينيين أي «المزراحي» و«العامل المزراحي» من جهة، و«أجودات يسرائيل» و«عمال أجودات يسرائيل» من جهة أخرى، بنسبة ٦٢.٥% للمعسكر الأول و٣٧.٥% للمعسكر الثاني. وعلى هذا الأساس جرى تقسيم المقاعد على النحو التالي: عشرة مقاعد لحزبي «المزراحي» و«العامل المزراحي» وستة مقاعد بالتساوي لحزبي «أجودات يسرائيل» «عمال أجودات يسرائيل». وفي انتخابات الكنيست الثاني التي خاضها حزب «أجودات يسرائيل» منفردًا حصل الحزب على ثلاثة مقاعد ظل محتفظًا بها خلال انتخابات الكنيست الثالث والرابع.

وفي انتخابات الكنيست الخامس والسادس والسابع تمكن الحزب من رفع عدد مقاعده إلى أربعة مقاعد، بعد أن خاضها منفردًا، ثم انخفض هذا العدد إلى ثلاثة في انتخابات الكنيست الثامن نتيجة لتحالفه مع «بو عالي أجودات يسرائيل». وفي انتخابات الكنيست التاسع استعادة مقعده الرابع. وفي الكنيست العاشر حافظ على هذه المقاعد الأربعة. وفي الكنيست الحادي عشر (١٩٨٤) حصل على مقعدين. وقد تعرض العالم الحريدي الأشكنازي قبل انتخابات ١٩٨٨ إلى هزة قوية أحدثت تصاعدًا عميقًا في صفوفه، ونجمت عنها خصومات وعداوات سياسية مريرة. وكان مصدر الهزة تجدد الخصام العقيدي، وإن كان على نطاق محدود وضيق بين الطوائف الحسيدية والطوائف اللتوانية في العالم الحريدي، وهو خصام قديم رافق نشأة الحسيدية في القرن الثامن عشر، وكان قد خبا بمرور الوقت وحل محله، منذ أوائل القرن الحالي، نمط من التعايش والتعاون السياسي في إطار حزب «الأجودات» و «مجلس كبار علماء إسرائيل». ومن الغريب في الأمر أن هذا الانقسام في صفوف التيار الحريدي الأشكنازي بدلاً من أن يضعفه برلمانيًّا، أدى إلى زيادة قوته (أجودات يسرائيل ٥ مقاعد، وديجل هتوراه مقعدان) في مقابل مقعدين فاز بهما في انتخابات عام ١٩٨٤. وقد فسر بلاط الحاخام من لوفا فيتش الزعيم الروحي والسياسي لطائفة «حبد» الحسيدية هذا الفوز بأنه «معجزة» أخرى من معجزات الحاخام.

وقد مثل «أجودات يسرائيل» في الكنيست الثاني عشر وحتى ١٠ أبريل ١٩٩٠، خمسة أعضاء هم: الحاخام موشيه زئيف فيلدمان، والحاخام مناحم باروش (أحد ممثلي المتدينين اللتوانيين في الأجودات)، والحاخام أفراهامفرديجر، والحاخام شموئيل هلبرت، والحاخام اليعيزر مزراحي (انسحب من الحزب في ١٩٩٠/٤/١٠ رافضًا اتفاق حزبه من حزب العمل للمشاركة في ائتلاف حكومي لاعتقاده بأن الحكومة برئاسة شمعون بيرس ستؤدي إلى قيام حكومة فلسطينية، وهو ما يرفضه بشدة، وهو الأمر الذي أدى إلى فشل حزب العمل في تشكيل حكومة ائتلافية ضيقة برئاسته، وقد أدى هذا الأمر إلى فقدان «الأجودات» لأحد مقاعدها في الكنيست.

وقد خاض حزب الأجودات انتخابات الكنيست الثالث عشر (يونيو ١٩٩٢) في قائمة موحدة تحت اسم «يهدوت هتوراه» (يهودية التوراة) ضمت ثلاثة أحزاب هي: «أجودات يسرائيل» و«ديجل هتوراه» و«موريا». وقد فاز في هذه الانتخابات بأربعة مقاعد مثلهم فيها: أفراهام شبيرا (الأجودات) وإسحق بيرتس (ديجل هتوراه) ومناحم باروش (الأجودات) وشموئيل هلبرت (الأجودات).

وقد شارك حزب الأجودات في الحكومات الإسرائيلية الثلاث الأولى خلال الفترة من ١٩٤٩-١٩٥٢ ومنذ ذلك الحين، ولأسباب تتعلق برفض مرجعه الديني «مجلس كبار علماء التوراة» المشاركة في الحكم وشغل مناصب وزارية من ناحية، وعدم موافقة الأحزاب العمالية وعلى رأسها حزب «المباي» على شروط الحزب المتعلقة بالشئون الدينية، من ناحية أخرى، أصبح حزب «الأجودات» في صفوف المعارضة. ومنذ تشكيل حكومة «الليكود» في يونيو ١٩٧٧، أصبح «أجودات يسرائيل» يشارك في الائتلاف الحكومي دون أن يمثل في الحكومة تمشيًّا مع قرار «مجلس كبار علماء التوراة» بعدم السماح لأي من زعمائه السياسيين بتولي منصب وزاري.

وخلال مشاركته في الحكومات الثلاث الأولى تسبب حزب «أجودات يسرائيل» في عدة أزمات وزارية، سويًا مع بقية الأحزاب الدينية، بسبب قضايا مثل: التعليم الديني في معسكرات اللاجئين، وتجنيد الفتيات في الخدمة العسكرية.

ولكن حزب «الليكود» دفع الثمن غاليًا، بسبب حصوله على تأييد نواب «الأجودات» الأربعة الذين كان بيجن في حاجة إليهم لتشكيل حكومة ائتلافية (نوفمبر ١٩٩٠)، وذلك في صورة دعم مكيف للمؤسسات الدينية الخاصة، البعيدة عن نفوذ «الحزب الديني القومي»، على الرغم من أن هذه المؤسسات ظلت لفترة طويلة، وحتى الآن ترفض الاحتفال بيوم استقلال إسرائيل. ويقوم موقف الحزب حاليًا من إسرائيل على أنها مثل أي دولة علمانية أخرى في العالم يعيش فيها اليهود، كلما ارتفعت المبالغ التي يمكن لهم انتزاعها منها، كلما كان ذلك أفضل، كما أنه يجب الإسهام بأقل قدر ممكن في هذه الدولة، سواءً فيما يتعلق بدفع الضرائب أو الخدمة العسكرية. وهكذا فإنه وعلى الرغم من أن كافة الإسرائيليين ملزمون بأداء الخدمة العسكرية الإجبارية لمدة ثلاث سنوات، فإن أعضاء المدارس الدينية التابعة «لمجلس كبار علماء التوراة» معفوون من أداء الخدمة العسكرية، وكان ذلك أيضًا ثمنًا لتأييد نواب الحزب في الكنيست لحكومة اليمين (الليكود). ومن الجدير بالذكر أن عدد أعضاء هذه المدارس يبلغ تسعة عشر ألفًا، وهو آخذ في التزايد، ويحدث هذا الاستثناء أثرًا سيئًا على الروح المعنوية للمواطن الإسرائيلي الذي ينظر إلى القانون على أنه يجب أن يطبق على الجميع دون استثناء.

ويتركز موقف حزب «أجودات يسرائيل» من القضايا الرئيسية في إسرائيل في المحاور التالية:

١- تأييد حل سياسي للمشكلة الفلسطينية حتى ولو كان بثمن «المناطق مقابل السلام».

٢- النضال ضد تدخل الجهات العلمانية في الأحوال الشخصية.

٣- الحرب من أجل الطهارة وصلاحية المأكولات وفقًا للشريعة (الكشيروت).

٤- تأييد قانون «من هو اليهودي؟».

٥- النضال ضد تجنيد النساء في الجيش واستمرار إعفاء شباب «اليشيفوت».

٦- الحصول على دعم من أجل استمرار التعليم المستقل.

و«أجودات يسرائيل» التي تمثل القطاع الأكبر من معسكر «الحريديم» في إسرائيل، لا تتعاطف مع الكثير من مظاهر دولة إسرائيل كدولة علمانية. ومن الأمثلة التي تبرهن على ذلك: عدم احتفال «الحريديم» بيوم استقلال الدولة.

وقد تعرض الحاخام باروش لحملة إعلامية عنيفة هاجمته بشدة لأنه يعرض للخطر بهذا القرار اتفاق «الوضع الراهن» (ستاتوس كو) في إسرائيل بين الدينيين والعلمانيين.. وقد قال عضو الكنيست دورون: «إن أعمال باروش تخرج عما هو مألوف منذ سنوات، ويشكل تغييرًا «للوضع الراهن» ويمس العلاقات الطيبة والكريمة بين الدينيين والعلمانيين».

أما عضو الكنيست عوفديا عالي من حزب «الليكود» فقد قدم اقتراحًا لجدول أعمال الكنيست، حدد فيه أن باروش سيؤدي إلى نشوب «حرب أهلية» دوافعها سياسة وشخصية خاصة بنائب الوزير».

وقد استنكرت كتلة «المعراخ» تصرفات الحاخام باروش، وقال رئيس الكتلة عضو الكنيست حييم رامون «إن باروش أعلن الحرب على العلمانيين». واستطرد قائلاً: «إذا كان يريدها حربًا فنحن لها».

وقال عضو الكنيست إيلي ديان: «إن باروش ملحد، ويستغل القانون بصورة تشككية في دوافع البشر، ويؤدي إلى نشوب حرب ثقافية».

والغريب في الأمر أن الصحف الحريدية اليومية: «همودياع» التابعة لحزب «أجودات يسرائيل» وصحيفة «ياتيد نئمان» (الوتد المؤمن) التابعة للحاخام شاخ، عارضتا تلك «الحملة الصليبية التي شنها الحاخام باروش. وقد صرح وزير الزراعة رفائيل إيتان قائلاً: «إن غالبية الجمهور في إسرائيل غير معني بأن تدار حياته وفقًا لطريقة «أجودات يسرائيل» وعلى باروش أن يعي أن في إسرائيل جمهورًا كبيرًا يتصرف في حياته وفقًا لأسلوب مختلف عن الجمهور الذي خرج منه باروش أن يوجه جهوده بدلاً من تجنيد مراقبين ليوم السبت إلى تجنيد جزء كبير من الجمهور الذي يمثله في جيش الدفاع الإسرائيلي».

وقد هوجم الحاخام باروش أيضًا على اعتبار أن استعانته بالدروز من أجل مراقبة تنفيذ قدسية يوم السبت تعتبر مخالفة للشريعة اليهودية، وذلك استنادًا للفتوى التي أصدرها «الرمبام» (ربي موشيه بن ميمون) من أنه لا يجوز أن يستخدم غير اليهودي (الجوي) يوم السبت لمراقبة من لا يلتزمون بشريعة السبت. ففي الفصل السادس من شرائع السبت حدد «الرمبام»: «محظور على الأجنبي أن يصنع لنا عملاً يوم السبت، وحتى لو كان غير مقيد بشريعة السبت، وحتى لو كان قد كلف بذلك قبل قدوم السبت، وحتى لو كان ملزمًا بهذه المهمة بعد يوم السبت.. فمن شأن أعمال كهذه أن تؤدي إلى تدنيس السبت بشكل أكبر».

وفي حالة باروش فإنه يستعين بغير اليهود لكي يجبر اليهود على الالتزام بقدسية السبت، وكتابة تقارير ضد كل من يضبط متلبسًا بتدنيس السبت، والكتابة بالنسبة لليهودي في يوم السبت تعتبر في حالة عدم الرقابة الذاتية، خروجًا خطيرًا عن التوراة.

وقد ذكر بعض الحاخامات «أن الحاخام باروش لكي يحقق هدفه لديه الاستعداد لتدنيس يوم السبت بشكل جماهيري على يد غير اليهود، وأن يؤدي بذلك إلى كراهية اليهودية الدينية الحريدية لدى اليهود العلمانيين.. وتساءلوا عن مصدر تلك الفتوى الشرعية الجديدة التي تسمح باستعمال غير اليهود ضد اليهود يوم السبت وعن الحاخام الذي أجاز هذه الفتوى.

وقد كانت من بين الجوائز الكبرى، والتي أشرت إليها من قبل، والتي حصل عليها حزب «أجودات يسرائيل» مع سائر الأحزاب الدينية الحريدية، جائزة إعفاء طلبة المعاهد الدينية من الخدمة العسكرية.

وقد قدم عضو الكنيست أفراهام بورج (حزب العمل) بحثًا شاملاً عن تهرب شباب «اليشيفوت» (المعاهد الدينية) من الخدمة في جيش الدفاع الإسرائيلي، ذكر فيه: أن نحو ٢٢ ألف شخص في سن التجنيد، يتهربون حاليًا من جيش الدفاع الإسرائيلي، وأن هذا العدد يشمل تلاميذ «اليشيفوت» في سن الخدمة للتجنيد الإجباري، وأن هناك مثلهم في سن الخدمة في الاحتياطي، وأن من بين مؤجلي التجنيد يحصل ٩٧% على إعفاء كامل، على حين يخدم ٣% بشكل جزئي، في الاحتياطي. وقد ذكر بورج أن بن جوربون وافق في عام ١٩٤٨ على إعفاء من ٤٠٠-٦٠٠ شخص في السنة وحتى عام ١٩٦٧ زاد عدد المعفيين، ولكن مع مراجعة دقيقة ومع الاستثناءات. وقد حدث التجاوز الكبير في فترة مناحم بيجن. وذكر كذلك أنه فيما عدا المتهربين «الرسميين»، توجد في كل عام عدة مئات من تلاميذ «اليشيفوت» المتطرفة، مثل «تولدوت أهارون» في «مائة شعاريم» لا يدخلون في الإحصاء الخاص بالمتهربين لأنهم لا يتقدمون للتسجيل ولا للفحص الطبي.

ولقد بدأ المعركة عضو الكنيست إمنون روبنشتارين «شينوي» (التغيير) قائلاً: «أنها ظاهرة مذهلة.. إنه توجد هنا مخالفة إجرامية عندما نموه على هذه الظاهرة تحت عنوان «تأجيل التجنيد».

ورد عليه جفني (أجودات): لا وجود للشعب اليهودي دون دراسة التوراة.

ديم رامون (العمل): كم يحتاجون لدراسة التوراة؟ إذا لم تخدموا في الجيش فسوف تكونون في «الجيتو».

أفراهام بورج (العمل): أنتم تبددون أموال الدولة. كيف لا تخجل؟

جفني: أنت الذي يجب أن تخجل. (رئيس الجلسة يوقف الجلسة ثم تستأنف).

أفراهام بورج: أنتم تعرفون أنه لا يوجد نصب تذكاري واحد في المقابر العسكرية مدفون تحته شخص قتل نفسه في خيمة التوراة.

شموئيل هلبرت (أجودات): كيف تجرؤ على الكذب في الكنيست. إن شقيق الوزير مزراحي كان من تلاميذ اليشيفا وقتل في حرب يوم الغفران.

مناحم باروش (أجودات): أنت كاذب. إن ابن الحاخام لوريا، أحد رؤساء «أجودات يسرائيل»، قتل هو الآخر في الحرب.

يائير ليفي (أجودات): إن هذه ديما جوجية رخيصة.

بورج: فلتصرخوا كما تشاءون ولتزعقوا كما تشاءون.

يوسف عزران: إنه يقطر سما (يقصد بورج).

فرديجر (أجودات): ويل لحزب العمل الذي يمثله هذا بعد بن جوريون وإشكول.

بورج: من هذا الذي هناك. السراب. فرديجر؟

فرديجر: فلتخجل، أيها المعادي للسامية.

بورج: إنك وصمة في جبين مؤسسة الحاخامية. (رئيس الجلسة يوقف الجلسة ثم يستأنفها).

بورج: إنهم يوردون لإسرائيل العقلية الجالوتية بكل خزيها. تلك العقلية التي تتاجر بالأموال وبحياة البشر، وتعرف فقط كيف تعيش حياة هامشية، وتهرب من المسؤولية، ومن التضحية بالذات، ومن المشاركة في المصير، وأنا لا أتحدث عن تلاميذ اليشيفا الحقيقيين بل عن الهاربين، الذين يتصنعون، والذين يجعلون أنفسهم مجانين، أولئك الذين يسيلون لعابهم ويهينون أنفسهم، والذين يضعون بقعة كبيرة على اليهودية بأكملها.

جفني: وفقًا للشريعة ينبغي عمل حداد على أقوالك التي تتطابق مع معاداة السامية.

بورج: لماذا لم تخدم في الجيش؟

جفني: ليس لك الحق في الوعظ بالأخلاق.

بورج: كيف تجرؤ على التصرف بصفاقة؟ إنك تمثل سبة في جبين اليهودية.

(هدد رئيس الجلسة بوقف الجلسة إذا لم يتوقف الأعضاء عن تبادل البذاءات اللفظية، واستؤنفت الجلسة وتبادل الأعضاء الاتهامات حيث وجه الدينيون إلى اليساريين اتهامات بالنازية ومعاداة السامية.. واستمرت الجلسة..)

ميخائيل برزوهر (العمل) : إنكم لو كنتم توجهون هذه الطاقة إلى الدفاع عن الوطن لكنا حققنا إنجازات أحسن. كيف شعرتم أثناء الحروب، على حين كان إخوة لكم يسقطون في الحرب؟

العيزر مزراحي: كنا نصلي لخالق العالم.

بورج: إنكم لستم جديرين بقدوم المسيح.

وبطبيعة الحال، فإن الحريديم نجحوا، رغم كل هذه الحملة من جانب العلمانيين، في الإبقاء على القانون.

والغريب بشأن هذه المعركة التي دارت رحاها داخل الكنيست بين الدينيين والعلمانيين أن حركة دينية تدعى «المؤمنون بالتوراة والعمل» (نئماني توراة فيعفودا)، أعلنت رفضها لوجهة نظر الدينيين الحريديم بشأن عدم تجنيد تلاميذ «اليشيفوت» وذلك في بيان ذكرت فيه : «استنادًا للمناقشة التي جرت في الكنيست حول موضوع تجنيد أبناء اليشيفوت نعلن أن هناك تناقضًا أساسيًّا ومبدئيا بين الموقف اليهودي الديني القومي وبين موقف القطاعات الحريدية تجاه الخدمة العسكرية، سواء في الإطار العادي، أو في إطار«يشيفوت هِسدير»، فإن معظم أبناء اليهودية الحريدية يتهربون بالفعل من واجب الخدمة العسكرية الذي هو واجب على كل أبناء الشعب.. ولم يحصل الجمهور من خلال الأقوال التاريخية للحريديم في الكنيست على إجابة عن السؤال الخاص: لماذا دمهم أكثر احمرارًا من دمنا».

٢- «الأجودات» والخدمة في الجيش الإسرائيلي:

بعد قيام إسرائيل وسن قانون الخدمة الإلزامية عام ١٩٥٠، الذي فرض الخدمة العسكرية على كل مواطن يهودي في إسرائيل يبلغ الثامنة عشرة من عمره، توجه عدد من زعماء «أجودات يسرائيل» بطلب إلى دافيد بن جوريون الذي كان يشغل منصبي رئيس الوزراء ووزير الدفاع، لإعفاء طلاب «اليشيفوت» من الخدمة العسكرية، وذلك بهدف إعداد جيل من الحاخامات، عوضًا عن الذين قتلوا إبان الفترة النازية في أوروبا، ولأن طلبة هذه المعاهد الدينية ليس لديهم الوقت الكافي للخدمة العسكرية لانهماكهم في العلوم الدينية ودراسة التلمود والتوراة. ولاعتبارات سياسية وحزبية، وافق بن جوريون على هذا الطلب الذي كان يشمل في ذلك الوقت بضع مئات من الطلبة المتدينين (نحو ٤٠٠ طالب)، وخاصة أنه كان يتطلع إلى جذب أكبر عدد ممكن من اليهود بغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية والدينية، ويحرص على تجنب الاصطدام مع المتدينين، مع أنه أبدى مخاوفه آنذاك، من أن يستغل هذا الإعفاء للتهرب من الخدمة العسكرية بحجة الدراسة في «اليشيفوت»، وهو ما حدث فيما بعد، وكان يردد دائما: «إننا نريد أمة من الجنود لا أمة من الكهنة».

ولم تكن الرغبة في التعمق في الدراسات الدينية هي السبب الوحيد للتأجيل، بل إن لهذه الظاهرة عدة أسباب أخرى أكثر عمقًا منها:

أولاً: عدم استعداد المتدينين لتحمل مخاطر الحرب، وحرصهم على الحياة، لأن من معتقداتهم الأساسية أن استمرارية الحياة يجب أن توضع فوق كل اعتبار آخر، كما جاء في التلمود: «تعليم التوراة تعني استمرارية الحياة لا إطفاءها». لهذا يعتبر إعفاء الطلبة المتدينين من الخدمة أحد أسباب زيادة عدد طلبة المدارس الدينية في إسرائيل، وهي من أعلى النسب في العالم مقارنة بعدد السكان.

ثانيًا: عدم تعاطف المتدينين الأرثوذكس اللاصهيونيين (الحريديم) مع الفكرة الصهيونية ودولة إسرائيل لقيامها على أساس علماني. ومن هنا فإن أغلب أتباع المعسكر الحريدي لا يؤدون الخدمة العسكرية باستثناء حركة «حبد» الحسيدية التي تشجع أتباعها على أداء هذه الخدمة.

ثالثًا: ادعاء المتدينين (الحريديم) أنهم يؤدون واجبهم تجاه الوطن بمواظبتهم على التعبد والصلاة ودارسة التوراة والتلمود لاستنزال الحماية الإلهية على الشعب اليهودي ولحماية الوجود الروحي والأخلاقي للدولة. فإذا كان الجنود يحاربون بالسلاح، فالمتدينون يحاربون بقوة الدين.

رابعًا: عدم وجود البيئة النظيفة في الجيش، وخشية المتدينين من أن يؤدي انخراطهم في الخدمة العسكرية إلى الابتعاد عن التعاليم الدينية، وانحلال أخلاقهم في ظل وجود فتيات غير محتشمات هناك.

وأمام الفتى من الحرديم طريقتان للتملص من الخدمة في الجيش: الأولى، هي الإعفاء من الخدمة لأسباب صحية وغيرها حسب الأنظمة المعمول بها في الجيش، وهؤلاء لا يثيرون في الحقيقة أية مشكلة، والثانية، هي أن يتم تأجيل خدمتهم (لا إعفاؤهم) لانهماكهم في دراسة الدين والتوراة، وحول هؤلاء يدور النقاش والجدل، لأن هذا التأجيل الذي يتجدد سنويًا طيلة فترة الدراسة التي تمتد سنوات طويلة، يتحول في النهاية إلى إعفاء بصورة أو بأخرى.

«وعملية الإعفاء من الخدمة لأسباب صحية تتم بأن يقنع الحريدي سلطات التجنيد بأنه مجنون أو منحرف أو متخلف عقليًا لا يصلح للخدمة. والمتشددون من الحريديم غالبًا ما يستعملون هذه الطريقة بأساليب بسيطة وشائعة، حيث يقومون في مكاتب التجنيد بتمثيل جميع أوضاع الجنون الممكنة، كأن يتركوا اللعاب يسيل من أفواههم أو يتصنعوا حركات غريبة بأيديهم أو أرجلهم أو أعينهم، أو يرتدوا ثيابًا ممزقة وما إلى ذلك. ولا ينظر الحريدي الراغب في التملص من الخدمة العسكرية إلى هذه الأمور كشيء مستهجن، لأنه لديه قناعة بأنه لا يعيب المرء أن يلجأ لشتى الحيل للتخلص من هذا العبء.

وهناك قصة معروفة عن تملص (الحاخام عزرا) بصري من الخدمة العسكرية حيث شهد على نفسه بأنه يتبول في ثيابه أثناء نومه، وأنه يسمع أصواتًا غريبة ويخلط بين الحقيقة والأوهام. وقد دفع هذا الحاخام رشوة لطبيب نفسي من القدس لكي يؤيد كلامه. والعجيب في الأمر أن هذا الحاخام كان يعمل قاضيًا في المحاكم الحردية، ولم يمنعه ما شهد به على نفسه من الترقي في مهنته، كما أن سائر الحريديم لم يستهجنوا هذا التصرف، لأن الخدمة في الجيش هي فساد ما بعده فساد».

أما عملية التأجيل لأسباب دراسية، فإنها تبدأ حين يحضر الطالب المتدين إلى مكتب التجنيد الإجباري، عند بلوغه سن الخدمة العسكرية الإجبارية، من أجل الفحص الطبي، حيث يقدم الطالب وثيقة موقعة من مدير «اليشيفا» التي يدرس بها تثبت انتمائه لهذه المدرسة، كما يقدم وثيقة أخرى من لجنة مختصة تسمى «لجنة يشيفوت أرض إسرائيل»، وهذه الوثيقة هي التي يعتمدها الجيش الإسرائيلي، وبعد أن يتم فحص المتقدم يعطى شهادة طبية، ووثيقة تسجيل خاصة بالجيش، ويمنح تأجيلاً لخدمته العسكرية لمدة عام، يتم تأجيله سنويًا، بعد أن يقدم الطالب وثائق تثبت استمراره بالدراسة، وانتماءه لمدرسته الدينية.

ومع أن هذه العملية لا تعفي المتدينين ظاهريًا من الخدمة العسكرية (حيث يعطى طلاب الجامعة المتفوقين وثيقة تأجيل لفترة الدراسة الجامعية ٤ سنوات، ثم يتوجب عليهم أداء الخدمة العسكرية لمدة ثلاث سنوات بالإضافة لفترة إضافية عن مدة الدراسة) فإن ما يحدث عمليًا، أنهم يتخرجون من «اليشيفا» عندما تكون أعمارهم في نهاية العشرينيات، وربما أكبر من ذلك، حيث يكون أبناء جيلهم قد أنهوا الخدمة العسكرية الكاملة ومدتها ثلاث سنوات بالإضافة إلى قضائهم مدة شهر سنويًا في الخدمة العسكرية كاحتياط في الجيش.

واستنادًا إلى إحصائيات شعبة القوى البشرية في الجيش الإسرائيلي، يحصل ٧% من الذكور (متدينين وغير متدينين) ممن يصلون إلى سن الخدمة العسكرية (١٨ عامًا) على تأجيل الخدمة، وتبلغ حصة المتدينين من هؤلاء ٥% من مجموع الشبان المطلوبين للخدمة العسكرية. وهناك توقعات تصل حصة المتدينين هذه إلى ١٠% في السنوات القليلة القادمة.

٣- «بوعالي أجودات يسرائيل» (عمال أجودات يسرائيل):

منظمة عمالية دينية في إطار الحركة العالمية «لأجودات يسرائيل» هدفها إرساء الحكم الاجتماعي والاقتصادي على أسس التوراة وقوانينها وشرائعها. ويذكر «المعجم الصهيوني» أنها تأسست في بولندا عام ١٩٢٢، على حين تذكر دائرة المعارف اليهودية «جوديكا» أنها تأسست في بولندا عام ١٩٢٣، كمنظمة عمالية في إطار حركة «أجودات يسرائيل»، والأرجح هو التاريخ الأول.

وقد كانت «عمال الأجودات» منظمة عمالية في صدام مع الحركة الأم، التي كانت تمثل الشرائح البرجوازية الدينية اليهودية في بولندا بسبب مطالبتها بتحسين أوضاع وشروط عمل العمال اليهود. ولهذا السبب كانت علاقتها بحركة «أجودات يسرائيل» تمر بفترات مد وجزر طبقًا للظروف، ورغم أن الحركتين كان يجمعهما موقف موحد من الحركة الصهيونية وتوجهها العلماني.

أما في فلسطين فقد انتظم «عمال أجودات يسرائيل» كتنظيم عمال عام ١٩٢٣، مع تدفق الهجرة اليهودية من بولندا نتيجة لسياسة التمييز الاقتصادية التي انتهجتها السلطة هناك ضد اليهود. وقد اشتملت تلك الهجرة على أعداد كبيرة من اليهود الأرثوذكس من الطبقتين المتوسطة والعمالية.

وكان الفرع المحلي «لأجودات يسرائيل في فلسطين عاجزًا عن استيعاب تلك الهجرة وخصوصًا عناصرها العمالية، إذ لم يكن تنظيم «أجودات يسرائيل» هناك يمتلك الوسائل والإمكانات المادية والتنظيمية لذلك. وبالتالي فقد اضطرت العناصر العمالية من هذه الهجرة إلى إنشاء تنظيمها المستقل عن «أجودات يسرائيل»، لمعالجة ورعاية مصالح العمال القادمة، الدينية منها وغير الدينية، إطارًا صالحًا لاستيعابهم. وفي عام ١٩٢٥ عقدت منظمة «عمال أجودات يسرائيل» مؤتمرها الوطني التأسيسي، وفي السنة نفسها هاجر إلى فلسطين من بولندا أحد القادة السياسيين «لعمال أجودت يسرائيل» هناك، هو الحاخام بنيامين ميتنز ولكن بعد فترة وجيزة انحل التنظيم، وتأسس ثانية في تل أبيب عام ١٩٣٣، تحت زعامة ميدنتز البولندي ويعقوب لنداو الألماني، وانضم إلى التنظيم الجيد « اتحاد العمال الأرثوذكسيين» الذي كان قد تأسس في بيتح تكفا« وفي عام ١٩٤٦، كانت منظماته في الخارج تشكل جزءا من الاتحاد العالمي للأجودات»، حيث تأسس في العام نفسه «الاتحاد العالمي لعمال أجودات يسرائيل»، واعتبر ذلك بمثابة انسحاب من الاتحاد العمالي «لأجودات يسرائيل».

ومنـذ ذلـك الحـين أصـبحت الأحـزاب الدينيـة فـي إسـرائيل عبـارة عـن معسـكرين : المعسـكر الـديني القـومي «المزراحـي والعامـل المزراحـي»، و«المعسـكر الأجـوداتي أو التـوراتي» (أجـودات يسـرائيل وعمـال أجـودات يسرائيل). وعلى حين أدى التقارب بين حزبي «المعسكر الديني القومي» إلى دمج الحزبين وتأسيس «الحزب الديني القومي» (المفدال)، فإن المعسكر التوراتي بقى قائمًا على أساس التحالف وليس الاندماج. ولذا فإن العلاقة بين «الأجودات» و«عمال الأجودات»، ظلت على الدوام في حالات متوالية من المد والجزر.

ومن أشهر زعماء حزب «عمال أجودات يسرائيل» بعد مؤسسة ميندتز الـذي تـوفي فـي بدايـة السـتينيات: الحاخـام كالمـان كهانـا (ولـد عـام ١٩١٠، وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٨، وكان عضوًا في مجلس الدولة المؤقت عام ١٩٤٨، ثم عضوًا في الكنيست منذ بدايته حتى الآن)، رئيس الحركة العالمية «لعمـال أجـودات يسـرائيل». والـزعيم الحـالي للحـزب هـو الحاخـام أفراهـام فرديجر.

وبالنسبة لتمثيل «عمال أجودات يسرائيل» في الكنيست، فإن هذا الحزب تقاسم المقاعد الستة التي حصل عليها في الكنيست الأول في إطار «الجبهة الدينية الموحدة» مع «أجودات يسرائيل»، وفي الكنيست الثاني (١٩٥٣) حصل على مقعدين، وفي الكنيست الثالث والرابع حصل على ٣ مقاعد في إطار «الجبهة الدينية التوراتية» التي شكلها مع حزب «أجودات يسرائيل».

والجدير بالذكر أن قضية انضمام حزب «عمال أجودات يسرائيل» لحزب «أجودات يسرائيل» ظلت محل صراع متصل بسبب قرب «العمال من الصهيونية» وأدت هذه الصراعات إلى خلافات داخل «مجلس كبار علماء التوراة» أدت إلى انسحاب الحاخام مناحم اليعيزر شاخ من المجلس عام ١٩٨٣ وتأسيس حزب «شاس» أولاً، ثم تأسيس حزب «ديجل هتوراه» بعد ذلك.

وفي عام ١٩٧٣ أثيرت مسألة ضم «العمال» مرة أخرى، حيث رأى أدمور جور أن الوقت قد حان لهذا الضم، فيها رأي الحاخام شاخ شريك الأدمور في قيادة المجلس غير ذلك .. مما اضطر الحاخام شاخ لمقاطعة جلسات المجلس حتى عام ١٩٧٧، مع عدد من الأعضاء المؤيدين له، ولم يعد لـه إلا بعـد أن تنـازل المجلـس عـن الوحـدة مـع حـزب «عمـال أجـودات يسرائيل» قبيل انتخابات عام ١٩٧٧.

وبعد انتخابات عام ١٩٧٧ توفي أدمور جور الحاخام يسرائيل ألتر وخلفه أخوه الحاخام سمحا بونيم ألتر الذي كانت علاقاته سيئة مع الحاخام شاخ، وكان من مؤيدي ضم العمال إلى «الأجودات» واستمرت العلاقات متدهورة بسبب هذه القضية إلى أن تفجرت نهائيًّا في بداية الثمانينيات، وأدت إلى انسحاب الحاخام شاخ نهائيا من «مجلس كبار علماء التوراة» عام ١٩٨٣.

وقبل انتخابات الكنيست الحادي عشر قام حزب «عمال أجودات» بالتحالف، في خطوة غير اعتيادية، ضمن قائمة «موراشا» مع قائمتين منشقتين عن حزب «المفدال» هما : «أوردود» بقيادة حنان بن بورات أحد قيادات حركة «جوش إيمونيم» و«متسادا» بقيادة الحاخام حييم دوركمان، وهي القائمة التي فازت بمقعدين احتل «العمال» المقعد الثاني فيها.

وعلى المستوى العقيدي السياسي من قضايا مثل «أرض إسرائيل» وقطاعها، وملكيتها، واستيطانها ومعاملة «الأغيار» فيها، فإن حزب «عمال الأجودات» يتشابه في برنامجه السياسي مع برنامجي «هتحيا» (البعث) اليميني المتطرف و«المفدال». وهناك عناصر قوية فيه تعارض التخلي عن أي شبر من «أرض إسرائيل». لكن نظرته الدينية الشاملة تشدد على أن خلاص الشعب اليهودي، وجمع شتاته، واستعادته أرضه المقدسة، ستتم فقط على يد «المسيح المنتظر»، وأن أي محاولة لاستعجال الخلاص، ومصادرة دور المسيح هي بمثابة كفر وهرطقة. وهذه النظرة تجعل كثيرين من زعمائه النافذين على استعداد للقبول بالتخلي عن أجزاء من «أرض إسرائيل» في الوقت الراهن على اعتبار أنه لا يوجد في الوقت الراهن ما يشير إلى أن عملية الخلاص الإلهية قد بدأت. ويشذ عن هذا الاعتقاد داخل أوساط «الأجودات» أتباع طائفة «حبد» الذين يعتقدون أن زعيمهم الحاخام من ليو فافيتش هو «المسيح المنتظر»، وأن عملية الخلاص جارية فعلاً الآن، وبالتالي فمن المحظور دينيًّا التخلي عن أي جزء من «أرض إسرائيل» أو التساهل مع أعداء إسرائيل.

والحزب على الصعيد السياسي يعارض اتفاقيات كامب ديفيد، ويؤيد سياسيات الحكومات الإسرائيلية تجاه عرب المناطق المحتلة، ويؤيد الاستيطان في الضفة الغربية وقطاع غزة.

ويتضمن برنامج الحزب اعتبار «أرض إسرائيل مركزًا للشعب اليهودي، وتأييد تطبيق السيادة الإسرائيلية الكاملة على كل جزء من «أرض إسرائيل»»، ومعارضة إعادة الأرض المحتلة، أو إزالة المستوطنات اليهودية، ومعارضة قيام دولة فلسطينية.

«والنخبة القيادية في هذا الحزب هي من الطائفة الأشكنازية، وقد تعاقبت على زعامته منذ تأسيسه حتى الآن ٣ شخصيات هم : الحاخام بنيامين ميندتز مؤسس الحزب (١٩٢٥ – ١٩٦١)، والحاخام كالمان كهانا (١٩٦١ – ١٩٨١)، والحاخام أفراهام فرديجر الذي يقود الحزب منذ ١٩٨١ حتى الآن».

٤ - «أجودات يسرائيل الأورشليمية»:

من الجماعات التي تغالي في تشددها الديني تلك الجماعة «الأجوداتية» الجديدة، التي وإن ارتدت ثوبًا جديدًا «للأجودات» إلا أنها تشترك مع أجودات يسرائيل القديمة من الناحية الخارجية والمضمونية على حد السواء. وكل من القديم والجديد في هذه الجماعة هو عبارة عن طبعة جديدة للصيغة السائدة للأرثوذكسية الدينية في إسرائيل، أو بعبارة أخرى، طراز متطرف شمولي للصهيونية، وبصفة خاصة للصهيونية الدينية.

وقد كانت هذه الجماعة عبارة عن عنصر سياسي بالكامل، أي أنها لم تكن عنصرًا تعليميا خاض حرب الكر والفر في الحركة الصهيونية التي كانت مسيطرة على الاستيطان اليهودي في فلسطين، كما كانت عنصرًا تبنى التعصب كمبدأ وكهدف في حد ذاته. ولم تعترف هذه الجماعة بإمكان الحل الوسط، وكان شعارها هو «الوضوح» (بهيروت)، أي إرساء واقع أخلاقي للأبيض والأسود (الصهيونية والأوثوذكسية)، وتمسكت بتفاصيل الزي التي كانت سائدة في «الاستيطان اليهودي القديم» في فلسطين.

وفي مقابل «الأجودائية» المغالية القديمة ظهر العنصر «الأجودائي» المغالي الجديد في «بني براك» وهي مستوطنة أسست في العشرينيات بواسطة الصهيونيين الدينيين، من «الأجودائيين» وأعضاء «المزراحي». وكان هذا العنصر المتطرف الجديد عنصرًا روحيًّا تعليميًّا في أساسه وكان هدفه «غرس التوراة في صحراء الاستيطان اليهودي الجديد»، على حد قول «حازون إيش». وشأنها شأن أي عنصر أرثوذكسي، فإن هذه الجماعة كانت لديها وجهة نظر سياسية، ولكنها تحاشت الانحياز إلى أي عنصر حزبي قائم، واعتبرت نفسها مرتبطة بمجمل الأرثوذكسية، ولا سيما الصهيونية، ولم تتحاش الاتصال المفيد، حتى مع الأرثوذكسيين. وقد خضعت هذه الجماعة لضغوط «اليشوف» الجديد، وقبلت «الحكم باتخاذ العبرية لغة لإسرائيل»، وبالدراسات العلمانية واللغات الأجنبية وهي كلها أمور كان «اليشوف» القديم قد حرمها، ولم تدن التنوع في الزي ومصادر الرزق، ولاسيما العمل في الزراعة.

وقد ضعفت حركة «أجودات يسرائيل» بعد أحداث النازية، وذلك بسبب سياستها التي جعلت في بؤرة اهتمامها مركزها في أوروبا وأهملت في حيذها الجبهة الفلسطينية، وتركت العنصر المحلي وحيدًا في المعركة إلى أن تمت هزيمته. كذلك فإن الصهيونية الدينية كانت في حالة من الارتباك بسبب عدم استعدادها لإقامة الدولة اليهودية، التي كانت وفق منهجها ينبغي أن تدار بروح الوراة وتشكل «بداية الخلاص».

أما «حازون أيش» فإنه لم تغب عنه روح التساهل التي شاعت في كل أرجاء العالم اليهودي تجاه المتشددين دينيًا« الحريديم) من الناجين من أحداث النازية (هشوأه)، التي أسبغت هالة من الرومانسية على الثقافة التي أبيدت، كان حماتها هم المحافظين على التقاليد. وقد جمع حاخام «يشيفابونيباج»، الحاخام كاهانمان، أموالاً من أجل تخليد ذكرى يهود لتوانيا بواسطة «اليشيفوت» بالذات، على الرغم من أن معظم يهود لتوانديا كانو قد تخلصوا من نير التقاليد حتى من قبل أحداث النازية.

ومن ناحية أخرى، فإن «حازون إيش» كان قد استطاع أن يستخلص أن دولة إسرائيل التي ما زالت في بداية خطواتها الأولى، سوف تسهل المجال أمام نمو يهودية التوراة فيها. وكان يقصد بذلك جعل قيم الدين في الدولة قيمًا مؤسسية، أي تابعة للدولة ونابعة من الاحتياج السياسي للأحزاب الدينية. وقد كان « حازون أيش» هو الذي أقام «هَتَّتْمَ‍اليم» (مدارس تلمود توراة تعد الطلاب لليشيفوت)، وهو الأمر الذي شجع للغاية على نمو «اليشيفوت»، عن طريق تأسيس «كولاليم» جديدة. وقد أصبحت شخصيته على هذا النحو رمزًا للانحياز وبؤرة للتقدير في عالم «اليشيفوت».

وقد كان «حازون أيش» يقظًا لظاهرة قلة المواليد في القطاع العلماني في مقابل ارتفاع نسبة الخصوبة بين «المتشددين دينيًّا». وكان من دواعي تفاؤله ذلك الانخفاض النسبي في عدد «المتجاوزين للشريعة»، وكانت هذه الظاهرة أساسًا لوجهة نظره التي ترفض الجدل من حيث المبدأ.

وقد أقام « حازون أيش» علاقات طيبة مع «عمال أجودات يسرائيل» (حيث كان الحاخام مائير كاليتي، هو حاخامهم)، واستخدم مواردهم الزراعية كمعمل لأبحاثه «الهالاخية» بالنسبة للشرائع المرتبطة بالبلاد كما قام بدعم الحاخام إسحق مائير لفين، زعيم «أجودات يسرائيل» الذي وافق على قبول دعم حكومي من أجل بناء شبكة التعليم المستقل.

وقد أظهر «حازون أيش» يقظة سياسية كبيرة عندما حرض الجمهور المتشدد دينيًا ضد محاولة تطبيق قانون الخدمة الوطنية للفتيات عام ١٩٥٢، وطلب من زعماء «أجودات يسرائيل» الانسحاب من الائتلاف الحكومي. وفي الوقت نفسه أشار على زعماء الزرايحي« شبيرا وفرها فتيج أن يبقيا في الحكومة من أجل ضمان قبول قانون المحاكم الحاخامية الذي كان مطروحًا على بساط البحث وكان نتيجة ذلك أن «أجودات يسرائيل» على أنهما يحرصان على كراسي الحكومة.

ومنذ تلك الفترة فصاعدًا حدث تغيير له مغزى في علاقات القوى بين الصهيونيين وغير الصهيونيين في الأرثوذكسية الدينية في إسرائيل، لصالح الأخيرين. وكان الجدل حول الخدمة الوطنية للفتيات، والذي خرج منه العنصر المتشدد دينيًا منتصرًا، هو الجدل الوحيد الذي مد له «حازون أيش» يد العون، حيث كان هذا النزاع بالفعل، نزاعًا غير ذي أهمية بالنسبة لمن أثاروه، لأنه عمليًا لا علاقة له بفتياتهم. ومن هذه الناحية فإن هذا الجدل كان جدلاً سياسيًا خالصًا، على غرار الجدل حول « من هو اليهودي؟» الذي أثير بعد ذلك بست سنوات.

إذن فلم يكن هذا الأمر أكثر من كونه معركة جر إليها « حازون أيش» الحكومة أو الخصم اليهودي على حين كان هو على يقين من أن نتيجتها لصالحه، وهو الأمر الذي أدى إلى تفوق « حازون أيش» على منافسة على تاج غلاة الأرثوذكسية، الحاخام زئف سلوفيتشيك من برسك، الذي كان في القدس.

٥ـحزب «ديجل هتواره» (علم التوراة):

حزب من المتشددين الدينيين (الحريديم) وهو الوريث الروحي «للمتنجديم» (المعادين للحسيدية). وقد ظهر هذا الحزب عشية انتخابات الكنيست الثاني عشر (١٩٩٨)، بزعامة الحاخام أفرا هام رافيتس، وحصل على مقعدين في هذه الانتخابات.

وبرنامجه السياسي مرن إلى حد كبير: «إننا نحدد موقفنا تجاه كل القضايا الحيوية في الموضوعات السياسية والاقتصادية، وفق رأي التوراة، والتي يحددها (كبار علماء التوراة)، في هذا الجيل وعلى رأسهم الحاخام اليعيزر شاخ رئيس (يشيفا بوينباج).

وعلى الرغم من أن الحاخام شاخ يقف على رأس اللتوانيين الذين يخوضون حربًا ضروسًا ضد غلاة «الحسيديم» الذين درسوا في المدراس اللتوانية. ومن أهم الجماعات الحسيدية التي دعمت هذه الحزب، طائفة «بعلاز» الحسيدية، التي انشقت عن حزب «أجودات يسرائيل» قبيل انتخابات ١٩٨٨، بعد أن كانت قد انضمت إليه عام ١٩٨٠، وطائفة «عرلوي» في القدس، والقسم المنشق عن طائفة «فايجنتش» بحيفا، وطائفة «تسانز» في نتانيا.

ولا يعود دعم هذه المجموعات «الديجل هتوراه» إلى اتفاق في الآراء بينها وبين الحاخام شاخ، بقدر ما يعود للخلافات بينها وبين «أجودات يسرائيل»، وعلى وجه التحديد بينها وبين جماعة «جور» الحسيدية المنافسة، التي تشكل المجموعة الرئيسية في «أجودات يسرائيل»، وهي الجماعة التي تسببت خلافاتها مع الحاخام «شاخ» إلى تركه لحزب «أجودات يسرائيل» عام ١٩٨٣، وكأن هذه الجماعات قد أرادت الانتقام من أجودات يسرائيل« وحركة «جور» بصفة خاصة، عبر تأييدها لعدوهما اللدود شاخ.

وقد أفصح عن هذه الحقيقة عشية الانتخابات أحد قادة «بعلاز» حين أوضح أنه لو لم يعلن الحاخام شاخ عن تشكيل «ديجل هتوراه» لصوت أتباع «بعلاز» لصالح حزب «العمل» نكاية «بأجودات يسرائيل».

ولم يحظ «ديجل هتوراه» بتأييد الأشكناز فقط، بل أيدته أيضًا نسبة صغيرة من اليهود «السفارديم»، وذلك بعد أن قام الحاخام عوفاديا يوسف بناء على طلب من الحاخام شاخ بكتابة رسالة تأييد « لديجل هتوراه»، وتم تمريرها على أغلب المدارس الدينية «السفاردية» كدليل مادي على هذه المساندة.

ويمكن القول أن حزب «ديجل هتوراه» يمثل بأطروحاته وأهدافه الشق الأشكنازي لحركة شاس السفاردية، في كل من القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ويوجد لحزب «ديجل هتوراه» – أسوة بالأحزاب الحريدية الأخرى - مجلس قيادي أعلى يسمى «مجلس حكماء التوراة»، قام الحاخام شاخ بتأسيسه عام ١٩٨٨، وهو يتكون من الحاخام شارخ رئيسًا وأحد عشر عضوًا آخرين. وقد خاض انتخابات الكنيست الثالث عشر، ولم يفز بأي مقعد فيه.

ويعتبر حزب «ديجل هتواه» من أقل الأحزاب الدينية تطرفًا من ناحية البرامج والتركيب الشخصي للقيادة العليا فيه. وقد ذهب رئيسه أفراهام رافيتس بعد انتخابات ١٩٨٨م، إلى حد الموافقة، ليس على الانسحاب من المناطق المحتلة فحسب، بل على قيام دولة فلسطينية منزوعة السلاح فيها، وأعرب عن استعداده لتأدية التحية لعلم هذه الدولة.



الفصل الخامس : الشخصيات اليهودية

■ الحاخام يهودا القالي (١٧٩٨-١٨٧٨):

– ولد في مدينة سراجيفوا الصربية لعائلة يهودية متدينة ومؤمنة بالقبالة والتلمود.
– منذ صباه انتقل مع عائلته إلى مدينة القدس، و عاش فيها شبابه الأول دارساً للدين.
– أصبح حاخاما، وعاد إلى صربيا فتأثر بالنزعة القومية التي اجتاحت منطقة البلقان.
– نشر كراسة الأول بعنوان (اسمعي يا إسرائيل)، داعياً إلى تحقيق الخلاص الذاتي لليهود.
– كان من المؤمنين بمعاونة أوروبا لدعم اليهود، فسافر إلى عدة عواصم داعيا إلى تحرر اليهود، وتوفير الدعم المالي للاستيطان في فلسطين فنشر كتابه الثاني (الخلاص الثالث).
– من أفكاره: دعوته إلى تأسيس جمعية يهودية أوروبية للاستيطان في فلسطين، مقابل دفع (إيجار سنوي) للسلطان العثماني يساهم فيه اليهود.
– عاد إلى القدس، ممارسا لدعوته باسم الدين حتى وفاته ودفنه هناك.

■ الحاخام تسفى هيرش كاليشر (١٧٩٥-١٨٧٤):

– ولد في مدينة بوزن البولندية، وفيها أتم دراسته الدينية وأصبح حاخاما.
– انتقل إلى مدينة ثورن وبقي فيها حاخاماً لأربعين سنة، ومنها بدأ دعوته لليهود.
– نشر كتابه الأول بعنوان «السعي لصهيون» عام ١٨٦٣، وركز فيه على ضرورة الخلاص.
– شجع اليهود على شراء الأراضي الزراعية في فلسطين باعتبار ذلك من الوصايا.
– شجع على فتح أول فرع لجمعية الأليانس الإسرائيلية في مدينة يافا عام ١٨٦٦.
– أشار إلى أن عودة «الماشيح» ستكون حين يرى الرب تمسك اليهود بأرض فلسطين.

– رفض أية إصلاحات في الدين اليهودي، واعتبر ذلك من عمل «الشيطان».
– كان من أوائل اليهود الذين أشاروا إلى ان لم شمل اليهود لن يكون إلا بدعم من الأمم الأخرى.

■ «موسى هس» (١٨١٢-١٨٧٥):

– ولد في مدينة بون الألمانية، ثم انتقلت عائلته إلي مدينة كولونيا و هو لم يزل في التاسعة من عمره، فتعهده جده لأمه و كان حاخامًا حتى بلغ العشرين من العمر.
– اهتم بدراسة الفلسفة والتاريخ والدين المسيحي والأدب الفرنسي والفيزياء.
– دخل إلى جامعة بون عام ١٨٣٥ زميلاً لكارل ماركس، وقد تبنى أفكاره الفيلسوف اليهودي سبينوزا، فأصدر أول كتبه بعنوان «تاريخ الإنسانية المقدس» وكان هدفه إحداث إصلاح بين اليهود في ظل أجواء الثورة الفرنسية، مما أثار نقمة عائلته عليه.
– عمل في الصحافة مع كارل ماركس، وأطلق عليه لقب «الحاخام الأحمر» لكنه سرعان ما افترق عن ماركس، وأعلن توبته والعودة إلى حظيرة اليهودية بنشره كتابه، «روما والقدس» سنة ١٨٦٢، أثار عليه حنق الإصلاحيين الذين اتهموه بالتلون المزدوج.
– بعد نشر كتابه روما والقدس، اندفع إلى دعوة اليهود للاستيطان في فلسطين، لأن القدس ستكون أعظم من روما القديمة.

■ الحاخام صموئيل موهيليفر (١٨٢٤-١٨٩٨):

– ولد في مدينة فيلنا اللتوانية وفيها درس الدين وأصبح حاخاما منذ الثامنة عشرة من عمره، لكنة سرعان ما ترك الحاخامية وعمل في التجارة عدة سنوات، ثم عاد إلى ممارسة شئون الحاخامية فأصبح حاخاما لمدينة رادوم ثم حاخاما لمدينة ليستوك ومن هناك بدأت دعوته لاستيطان اليهود أرض فلسطين.
– كان أول الداعين لإنشاء جمعية «أحباء صهيون» لإحياء الثقافة العبرية.
– عمل مع ليون بنسكر «العلماني» وبذلك وضع الأساس لتعاون العلمانيين والمتدينيين اليهود بعد إنشاء «إسرائيل» وفق الرؤية الصهيونية.
– كان من الداعمين لثيودور هرتزل باعتباره المسيح المنتظر الذي سوف يجمع شمل «إسرائيل» في فلسطين.

- ■ **الحاخام إبراهام إسحاق كوك (١٨٦٥-١٩٣٥):**

- ولد في روسيا ودرس في أكاديمية التلمود المعروفة باسم «يشيفا فولوزهين».
- في الثالثة والعشرين من عمره أصبح حاخام منطقة زيمل ثم أصدر مجلة دينية بعنوان «إيتور سوفيريم» ومنها بدأت دعوته لفكرة «الخلاص اليهودي» معتبرا جيله اليهودي، جيل الخلاص بمجيء المسيح المنتظر.
- جاء إلى فلسطين وأصبح عام ١٩٠٤ حاخامًا لمدينة يافا، وكانت دعوته الشمولية، بين مختلف الاتجاهات اليهودية «المؤمنة وغير المؤمنة» سبباً في شيوع منزلته.
- بذل جهوداً لكسر بعض التقاليد اليهودية، مثل السماح بالزراعة في السنة السبتية، ومظهر رجل الدين اليهودي الملائم لروح العصر، مما جعله قريب من حركة مزراحي.
- كما أسس أكاديمية التلمود المعروفة باسم «مركز حاراف».
- ساهم في التسريع بإصدار «وعد بلفور» مع الجهود الصهيونية الأخرى.
- صارت أفكاره مرجعاً للحركات والأحزاب الدينية الإسرائيلية حتى الآن.
- جمعت مؤلفاته في مجلدات تحمل اسم «أوروت» أى الأضواء.

■ **الحاخام صموئيل حاييم لانداو (١٨٩٢-١٩٢٨):**

- من أصل بولندي، ومنحدر عائلي حسيدي متزمت دينيًا ومنذ شبابه الأول انتمى إلى حركة مزراحي، وشكل الجناح العمالي فيها «بوعيل مزراحي» باذلا مجهوداً كبيرًا في سبيل دعم هذه الحركة، حتى انتقاله إلى فلسطين عام ١٩٢٥.
- مؤسس الاتجاه الصهيوني – الديني المعروف باسم «التوراة والعمل» داعيًا من خلاله على الاستيطان بمشاركة الاتجاه الديني إلى جانب الاتجاه العلماني.
- اعتبر «السكن والاستيطان» في فلسطين بمثابة واجب ديني وتكليف قومي.
- برز كأهم شخصية قيادية في الحركة الدينية. الصهيونية بعد الحرب العالمية الأولى، لنجاحة في المزج بين التوجهات الدينية والاشتراكية الصهيونية.

■ الحاخام مائير بر إيلان (١٨٨٠-١٩٤٩) :

– ولد في مدينة فولوزفين التوانية، درس التوراة والتلمود وأصبح حاخامًا منذ شبابه.
– انضم إلى حركة مزراحي، وأصبح سكرتير اللجنة التنفيذية للحركة المذكورة، ورئيساً لتحرير مجلة «العبري» الأسبوعية.
– سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وفيها أصبح المسئول الأول لحركة مزراحي.
– هاجر إلى فلسطين عام ١٩٢٦ ومارس سياسة «موازنة» ضد المتطرفين من العلمانيين والمتدينين حماية للحركة الصهيونية.
– عام ١٩٣٧ أصدر صحيفة يومية في تل أبيب كناطقة بلسان المزراحى وجناحه العمالي «هابوعيل همزراحي».
– اهتم بإصدار الموسوعات الدينية، وساهم بإصدار موسوعة التلمود، وأصبح رئيس تحرير الموسوعة التلمودية حتى وفاته.
– اهتم بالطراز الأمريكي في الدياة اليهودية، وخصوصاً في مجال التربية والتعليم، وطبق ذلك، على جامعة بارايلان التي حملت اسمه من بعد وفاته.
– صدرت له مذكرات بعنوان«من فولوزفين إلى القدس».
– أطلق اسمه على البناية المركزية لحركة المزراحى في تل أبيب، تقديراً لجهوده.
– حذر من مغبة فصل الدين اليهودي عن الدولة لأن ذلك سيجعل «إسرائيل» في التناقص.

■ الحاخام أباهليل سيلفر (١٨٩٣-١٩٦٣) :

– ولد في لتوانية وفي التاسعة من عمره سافر مع أهله إلى أمريكا، فاعتنق الصهيونية مبكراً، إضافة لدراسته الدينية، فأصبح حاخام مدينة كليفلاند بولاية أوهايو.
– حارب النزعة الإصلاحية في اليهودية، وكسب المراكز اليهودية الأمريكية إلى الحركة الصهيونية، وأصبح من الصهاينة المتشددين على المستوى الأمريكي والعالمي.
– مارس دوراً كبيراً في كسب التأييد الأمريكي الرسمي والشعبي لصالح الحركة الصهيونية وتثبيت الوجود اليهودي في فلسطين قبل إعلان قيام «إسرائيل».

– استلم العديد من المسئوليات الداعمة للنشاط الاستيطاني والمالي اليهودي في أمريكا.
– اصطدم مع حاييم وايزمن ومن بعده مع ديفيد بن غوريون لكنة أصلح الأمر معهما.
– وضع حجر الأساس لقوة النفوذ اليهودي الصهيوني في الحياة السياسية الأمريكية.

■ سمسون روفائيل هيرش (١٨٠٨-١٨٨٨):

– حاخام ألماني الأصل، ومن أهم المفكرين لاتجاه اليهودية الأرثوذكسية ضد الإصلاح.
– درس التلمود والكتب اللاهوتية مبكراً، وأصبح من المتشددين دينيًّا وطرح شعار «التوراة والمعرفة العلمانية».
– رأى هيرش ان اليهود «شعب» لكن قوميتهم تختلف عن باقي القوميات لأنها «دينية».
– أهم كتبة التي تمثل أفكاره الصهيونية «تسعة عشر خطاباً عن اليهودية».

■ آحادها عام «١٨٥٦-١٩٢٧» :

– هولشر جينزبزج« ولد في أوكرانيا لعائلة «حسيدية» متشددة دينيًّا.
– درس علوم الدين ومعارف عصره وتأثر بنتشة وداورن، واستقر عام ١٨٨٤ في أوديسا.
– انضم إلى جماعة أحباء صهيون، لكنه اختلف مع أسلوب العمل المباشر بالهجرة إلى فلسطين ونشر في ذلك مقاله «ليس هذا هو الطريق»..
– تتلخص نظرية آحادها عام «أى أحدا العامة وهو الاسم الذي اشتهر به» أن إحياء الوطن القومي والرجوع إلى صهيون لا بد أن يسبقه إحياء اليهودية أولاً ولا يتحقق ذلك إلا بتطوير «الصهيونية الثقافية» ومن هنا كان اختلافه مع ثيودور هرتزل والصهيونية السياسية.
– أسس آحادها عام جماعة «بني موسى» محاولاً نشر أفكاره وجذب الانظار إليه.
– في عام ١٩١٦، أصدر مجلة شهرية لبعث الأدب العبري والثقافة اليهودية.
– أما نظرته إلى «إسرائيل» فيجب ان تكون مركزاً ثقافيًّا لجميع يهود العالم.

– في عام ١٩٠٨ اختار الاستقرار في مدينة لندن، ومن هناك قدم مساعداته لدعم الحركة الصهيونية وخصوصاً في إصدار «وعد بلفور» و هذا دليل آخر على أن الاختلاف بين اليهود لا يصل إلى البنى التحتية لمصالحهم المصيرية، وإنما هو اختلاف وخلاف في الأسلوب فقط.

– في عام ١٩٢٢، استقر في تل أبيب وباشر بكتابة مؤلفاته «في مفترق الطريق».

■ موسى بن ميمون (١١٣٥-١٢٠٤):

– ولد في الأندلس إبان الحكم العربي – الإسلامي لها، و هو يهودي من أصول عربية.

– يعد من أهم الحاخامات اليهود، إذ يقولون فيه «من موسى إلى موسى» أى من زمن النبي موسى إلى زمن موسي بن ميمون لأهميته وعبقريته عند اليهود.

– اتخذ فلسطين سكنًا له، لكنه غادرها بعد فترة وجيزة إلى مصر وأصبح طبيب عائلة صلاح الدين الأيوبي، خصوصاً لابنه الأكبر «نور الدين» .

– متأثر جدًّا بالثقافة والفكر الإسلاميين، وهو ما ظهر في مؤلفاته الفكرية.

– من أهم كتبه بالعبرية «منشأة التوراة» الذي رتب فيه كل ما حواه العهد القديم من قوانين وتعليمات، إضافة إلى ما جاء في التلمود «المشناه والجمارا». أما أهم كتبه على الإطلاق، والذي ألفه باللغة العربية وتظهر فيه مؤشرات الفكر الإسلامي. الأندلسي، فهو كتاب «دلالة الحاشرين»، وفيه حاول التوفيق بين العقل والدين، داحضا نظرية أرسطو الأزلية، وعلى الرغم من ذلك فهو يكرر معتقدات التلمود بشأن «الشعب المختار والماشيح» وإن كان يوطرها بإطار «عقلي مبرر».

– امتد تأثر موسى بن ميمون إلى العصر الحديث، وهو ما ظهر في الحركة الإصلاحية اليهودية وحركة الاستنارة «الهسكالا» وخصوصاً عند موسى مندلسون المفكر الإصلاحي.

- ■ **بعل شيم طوف (١٧٠٠-١٧٦٠):**

- هو إسرائيل بن إليعازر مؤسس الحركة الحسيدية ويطلق على «التساديك» .

- أما «بعل شيم طوف» فتعني صاحب السيرة العطرة، وعلى الرغم من اكتناف حياته بنوع من الغموض والمبالغات الأسطورية، فإن ما اشتهر عنه جولاته في دول أوروبا الشرقية، وتفقده للمحتاجين والمرضى من اليهود وخصوصاً في بولندا وأوكرانيا.

- في سنة ١٧٤٠ استقر في بلدة «مودزيبوز» البولندية وأسس فيها مدرسة لدعوته.

- استند بعل شيم طوف على مفاهيم القبالة اليهودية في تكوين فلسفته وجذب الأنظار إليه حتى بلغ عددهم قبيل وفاته (٣٠٠٠.٠٠) ألف نصير من بين يهود أوروبا الشرقية آنذاك.

- امتد تأثير أفكاره إلى العصر الحديث، وعلى عكس سابقه «موسى بن ميمون» كان الأقرب إلى الحركة الصهيونية ومن أبرز المتأثرين بفلسفته القبالية فيلسوفق «مارتن بوبر».

■ **ثيودور هرتزل (١٨٦٠-١٩٠٤):**

- ولد بنجامين زئيف هرتزل «أو هرزل» بمدينة بودابست في الثاني من آيار/ مايو سنة ١٨٦٠.

- تربي بتوجيه والدته التي زرعت في نفسه «أنه رجل عظيم» وله مهام عظيمة في الحياة.

- تأثر بالثقافة الألمانية التي كانت سائدة في بيئته أكثر مما كان متأثراً باليهوديات.

- انتقل مع عائلته إلى فيينا عام ١٨٧٨، فالتحق بكلية الحقوق فتخرج منها وهو حاملاً لشهادة الدكتوراه في القانون وعمل في المحاماه لفترة وجيزة، لكنه ترك مهنته.

- اتجه إلى الأدب والكتابة الصحفية وكتابة التحقيقات عن زيارته لعدد من العواصم.

- في عام ١٨٨٩ تزوج من «جولي ناشادر» إبنة لثرى هنغارى يعمل في تجاره النفط، لكنه طلقها بعد سنتين وغادر فيينا إلى فرنسا وهناك عرضت عليه وظيفة مراسل صحفي.

– في فرنسا شهد محاكمة الضابط اليهودي المتهم بالتجسس «دريفوس» فبدأ تفرغه وتعاطفه اليهودي يتنامى لديه من جديد فكتب مؤلفه الشهير «الدولة اليهودية».

– لم يكتف بذلك بل أثار المسألة اليهودية والعداء للسامية في أعماله الأدبية، فكتب مسرحيته «الكيتو الجديد».

– وجد نفسه المدافع الأول عن «القضية اليهودية» فسعى بتأييد من بعض أنصاره إلى السفر والالتقاء بكبار المسئولين في أوروبا والدولة العثمانية للحصول على الدعم والتأييد للاستيطان في فلسطين.

– جسد اهتمامه السياسي بترأسه لجلسة المؤتمر الصهيوني الأول الذي انعقد في مدينة بال «بازل» السويسرية سنة ١٨٩٧، وحضره أكثر من ٢٠٠ من الشخصيات الفكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية اليهودية وتوصلوا إلى وضع برنامج بازل الصهيوني.

– يعد هرتزل اليهودي – الصهيوني الأول الذي نقل الدعوة «اليهودية» من عالم التمني والأحلام والحنين إلى عالم الواقع والسياسة والتطبيق المثابر.

– في ٣ تموز / يوليو ١٩٠٤ توفي هرتزل ودفن ببلدة «إدلاخ» النمساوية.

– في ١٧ آب / أغسطس ١٩٤٩، قامت «إسرائيل» بنقل بقاياه ودفنها في القدس تنفيذاً لوصيته.

■ حاييم وايزمن (١٨٧٤-١٩٥٢) :

– ولد في ٢٧ تشرين ثاني / ديسمبر ١٨٧٤، في مدينة بنسك الروسية.

– درس في بنسك حتى تخرجه من الثانوية، علوم العصر، ولم يدرس شئون الدين إلا في بيته ومع عائلته اليهودية.

– واصل دراسته الجامعية في مجال الكيمياء في ألمانيا وسويسرا ومنها ذهب إلى إنكلترا ليعمل محاضرًا في مانشستر حتى أصبح مديراً للمختبرات الكيماوية، التابعة للبحرية البريطانية باعتباره حاملاً للجنسية البريطانية قبل الحرب العالمية الأولى.

– في شبابه وهو في روسيا كان أقرب إلى أجواء «الهسكالا» منه إلى المحافظة. لكنه أصبح الأقرب إلى الحركة الصهيونية بعد انضمامه إلى جماعة يوسشكين حاول التأكيد على تعميق المحتوى الثقافي والديمقراطي داخل الحركة الصهيونية.

- في ظل أجواء الحرب العالمية الأولى تصاعد اسم وايزمن لنجاحه في إنقاذ الحركة الصهيونية في أوروبا من التشتت والضياع أيام الحرب ومن هنا ظهرت مقدرته ونجاحه في الإقناع والدبلوماسية الذي وظفه لاحقاً لخدمة الأغراض السياسية للحركة وهو ما تجسد في استصدار «وعد بلفور» منذ فترة مبكرة دعا إلى إنشاء الجامعة العبرية فوضع الحجر الأساسي لها في القدس وتم افتتاحها في عام ١٩٢٥ بحضور الوزير البريطاني «بلفور» على الرغم من نشاطه السياسي لم يتخل عن اهتماماته العلمية فأنشأ معهد «وايزمن» في رحوبوت بفلسطين كما اكتشف عدة مواد كيمياوية حيوية.

- انتخب رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية عام ١٩٢٠ حتي سنة ١٩٣٠ وتم تجديد الرئاسة له ثانية من العام ١٩٣٥ حتي سنة ١٩٤٦، كما أصبح رئيساً للوكالة اليهودية منذ سنة ١٩٢٩.

- أصبح أول رئيس «لإسرائيل» عام ١٩٤٨ ووضع خلاصة تجربته في كتابة التجربة والخطأ.

■ **ديفيد بن غوريون (١٨٨٦-١٩٧٤) :**

- ولد في بولنسك ببولندا ودرس فيها منذ طفولته علوم الدين اليهودي الأرثوذكسي.

- في سنة ١٩٠٦ جاء إلى فلسطين، وكان قد انتمى إلى عضوية المنظمة الصهيونية، وأصبح أصغر (الحاخامات) المنتمين إليها، وفي نفس الوقت أصبح رئيساً لحزب (عمال الصهيون).

- في عام ١٩١٢ ذهب إلى اسطنبول ودرس القانون باعتباره من رعايا الدولة العثمانية.

- عاد إلى فلسطين (محامياً) لكن السلطات العثمانية أبعدته عنها عام ١٩١٥.

- سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهناك أصبح من النشطاء في الحركة الصهيونية.

- انضم إلي الفيلق اليهودي تحت إمرة الجنرال اللنبي، عاد إلى فلسطين تحت هذا (الغطاء) جنديًا محاربًا، ثم أسس حزب (وحدة العمل) بعد الحرب مباشرة.

- في عام ١٩٣٠ أسس حزب (الماباى- العمل فيما بعد)، كما أصبح أمينا للهستدروت.

- للفترة ما بين ١٩٣٥-١٩٤٨ أصبح الرئيس التنفيذي للوكالة اليهودية وللمنظمة الصهيونية العالمية.
- وضع برنامج (بلتيمور) الذى رسم معالم إنشاء (إسرائيل) قبل سنة ١٩٤٨.
- في نيسان ١٩٤٨ أصبح رئيساً لوزراء الكيان الصهيوني ووزير (الدفاع) فيه.
- بقي في منصبة ممارساً لدوره في تثبيت أركان (إسرائيل) حتى عام ١٩٦٣، إذ استقال رسميًّا وتفرغ لحياته الخاصة، لكنه كان يستشار في المواقف المصيرية من قبل الحكومة الصهيونية، كما حدث قبيل عدوان حزيران / يونيو ١٩٦٧.
- توفي – إثر خسارة إسرائيل – في حرب رمضان ١٩٧٣، وذلك في سنة ١٩٧٤.
- له عدة مؤلفات باللغتين الإنجليزية والعبرية، منها (إسرائيل سنوات التحدي) وكتاب (بعث إسرائيل ومصيرها).
- كان وراء دعم وجهة نظر الأحزاب الدينية الإسرائيلية في الكنيست خصوصاً في تأجيل إصدار (دستور) للكيان الصهيوني، نشر التعليم الديني إلى جانب التعليم المدني.

■ **يوسف بورغ – (بورج) - :**

- ولد في سنة ١٩٠٩ بمدينة درزون الألمانية لعائلة يهودية متعلمة.
- بين عامي ١٩٢٨-١٩٣٦ درس في جامعة لايبزغ وفي معهد الحاخامية الألمانية.
- أصبح أستاذًا في الفلسفة وعلوم الدين اليهودي ومحاضراً في بحوث التلمود.
- تزوج بعد ذلك، وأصبحت له ابنتان، فانتقل للسكنى إلى فلسطين.
- مارس مهمات صهيونية في شؤون الهجرة اليهودية من أوروبا إلى فلسطين.
- بعد قيام الكيان الصهيوني شغل منصب نائب رئيس الكنيست الأول ١٩٤٨-١٩٥١.

– أصبح وزيراً للصحة ١٩٥١-١٩٥٢ ووزيراً للبريد ١٩٥٢-١٩٥٨، ووزيراً للشئون الاجتماعية ١٩٥٩-١٩٧٠، ثم وزيراً للداخلية ١٩٧٠.

– شارك في المفاوضات الصهيونية – المصرية للانسحاب من سيناء بعد عام ١٩٧٧.

– عضو المركز العالمي لحزب المفدال الديني (مزراحي وهابوعيل مزراحي).

■ **زفولون هامر :**

– ولد في حيفا سنة ١٩٣٦، درس في جامعة بارايكلان الدينية. قسم التربية والعلوم اليهودية، وأثناء دراسته كان رئيس رابطة الطلبة في الجامعة.
– متزوج وله أربعة أولاد، ويعيش حياة مستقرة ولديه نزعة قيادية شعبية في بني براك.
– يمثل كتلة الشباب في حزب المفدال، وتدعمه حركة غوش إيمونيم الأصولية.
– شغل منصب نائب وزير المعارف ثم وزيراً للمعارف والثقافة والشئون الاجتماعية.
– ما زال من الشخصيات القيادية في الحركة الدينية الإسرائيلية، ويمثل (الصقور).
– تعد كتلة (كتلة الشباب) البديل الفعال لكتلة (يوسف بوزغ) القديمة.

■ **الحاخام يهودا مئير إبراموفيتش**

– ولد إبراموفيتس في بولندا سنة ١٩١٣، ودرس العلوم الدينية هناك.
– هاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٥، وهو عضو في منظمة أغودات إسرائيل العالمية، التي كانت بولندا مقرًّا لها، ومارس نشاطه السياسي من خلال حزبه أغودات إسرائيل.

– أصبح عضوا في الكنيست عن حزب أغودات عام ١٩٧١، والانتخابات اللاحقة لها.

– شغل منصب نائب رئيس بلدية تل أبيب في عام ١٩٦٩ ثم نائباً لرئيس الكنيست في أعقاب انتخابات عام ١٩٧٧.

– أصبح السكرتير العام لحزب أغودات إسرائيل وهو الشخصية التاريخية في الحزب.

- ■ **الحاخام شلومولورنس:**

- ولد سنة ١٩١٨ في هنغاريا، ودرس علوم الدين اليهودي من ١٩٣٣ حتى الحرب العالمية الثانية، فهاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٩، ليشارك بصورة مبكرة بالنشاط السياسي عن حزب الأغودات ففاز بعضوية الكنيست الثاني واستمر كذلك حتى انتخابات عام ١٩٧٧، التي أصبح فيها رئيس لجنة المالية في الكنيست وهي ثاني أهم لجنة بالكنيست بعد لجنة الخارجية والأمن.
- يعد من قادة حزب أغودات إسرائيل الفاعلين، وعضو مجلس التوراة المشرف على إدارة شئون الحزب الداخلية والخارجية في الكيان الصهيوني.
- شكل مع الثنائي الحاخام يهودا مائير إبرا موفيس والحاخام مناحم بوروش.
- زعيم الكتلة الموحدة في الأغودات أبرز القياديين في الحزب المذكور.



المنظمات الدينية الجديدة

وهي المنظمات الحزبية الدينية التي ظهرت بعد سنة ١٩٧٧ واستكمالاً لما سبق نستعرض هذه المنظمات بشكل موجز وهي:

١- حركة كاخ:

- ■ على الرغم من أن إنشاء هذه الحركة كان عام ١٩٧٢، لكن الموافقة الحكومية ممارسة نشاطها التنظيمي والحزبي تحقق مع انتخابات الكنيست الحادي عشر (١٩٨٤).
- ■ أسسها الحاخام الأمريكي الجنسية (مئير كاهانا) كحركة أصولية متطرفة جدًّا.
- ■ في انتخابات الكنيست لعام ١٩٨٤ حصلت كاخ على مقعد واحد، مثله كاهانا نفسه.
- ■ ركزت حملتها الدعائية بين صفوف الشباب (أبناء العشرين) ومستندة إلى دعم الأحزاب اليمينية المتطرفة (الليكود).
- ■ في ١٩٩٠/١١/٦ تم اغتيال مؤسسها الحاخام مئير كاهانا في نيويورك فحدث وهن كبير في تنظيمها الداخلي أدى إلى انشقاقها إلى تنظيمين، الأول بزعامة (باروخ مرزبل). والثاني بزعامة بنيامين كاهانا.

▪ **٢ـ حزب لواء التوراة (ديغل هاتوراه) :**

▪ حزب جديد انشق عن حزب الأغودات عام ١٩٨٨ بسبب رفض (التكتل الحسيدى المتطرف) التوقيع على بند حزبي ينطوي على مقاطعة كتلة (ميعاد الحزبية) لاتهامها بإحداث الانشقاق داخل حزب أغودات إسرائيل.

▪ويقف وراء الانشقاق الحاخام السابق (شاخ) الذي دفع بالحاخام إسحاق بيرتس وجناحه الحزبى (مورياه) للانسحاب والانضمام إلى الحزب الجديد.

▪للحزب الجديد مجلس مركزي يحمل اسم (مجلس حكماء التوراة) أيضاً، برئاسة الحاخام (شاخ).

▪يضم الحزب أنصارًا من الاتجاه الأصولي المدرسي، ومن أصحاب المهن الحرة.

▪تمكن هذا الحزب من الحصول على مقعدين في انتخابات الكنيست لعام ١٩٨٨، وعلى أربعة مقاعد في انتخابات سنة ١٩٩٢.

▪في الانتخابات عام (١٩٩٦)، أخذت الأحزاب الدينية هذه ومن ضمنها حزب لواء التوراة مكانة متنامية ستحدد مستقبل النظام السياسي الإسرائيلي في بدايات القرن القادم (الواحد والعشرين).

ملاحظة:

(*) لم نتطرق إلى تنظيم حراس المدينة المعروف بـ «ناتورى كارتا» على الرغم من إنشائه سنة ١٩٣٥، إثر انشقاقه عن أغوادات إسرائيل، وذلك بسبب عدم مشاركته في الحياة السياسية أو الحكومية أو «الصهيونية» مثل باقي التنظيمات الكبيرة، والتنظيمات الصغيرة، ولعزلة أنصاره عن الحياة الصهيونية خصوصاً وأن ناتوري كارتا لا تعترف سوى بالأسفار الخمسة للتوراة وما عداها تعده غير شرعي، وبذلك فهي لا تؤمن مثلاً بالتلمود، مما جعل اليهود الأرثوذكس يناصبونها العداء إلي درجة «التكفير». ومعظم أتباع ناتوري كارتا يتواجدون في حي «ميئا شعاريم» في مدينة القدس، وسكرتير هذا التنظيم هو الحاخام «موشي هيرش»

(*) بحصول حزب شاس الديني على عشرة مقاعد في الانتخابات.

الملحق العام

■ وثيقة رقم ٨٦٧ن٠١/٢١٨٥ :

برقية من الوزير المفوض في بغداد لوى هندرسون إلى وزير الخارجية بغداد: ١٤ فبراير ١٩٤٤ الساعة السابعة مساء.

عزيزي الوزير :

– طلبني أمس رئيس الوزراء نورى «السعيد» باشا وقال لى أنه سوف يكون ممتناً لو قمت بإبلاغ حكومتي برقيًا بالقلق الشديد من الضغط الذى تمارسه الجماعات الصهيونية على السياسة الأمريكية. وأن النفوذ الصهيوني المتنامي في الولايات المتحدة قد يحمل إلى موقع القرار الأمريكي مسئولين واقعين تحت هذا التأثير الصهيوني، مما يؤثر على العلاقات مع العرب، ومما يخدش المبادئ المعلنة في ميثاق الأطلنطي وفي إعلان الأمم المتحدة.

– إن نوري باشا أشار إلى التأثير الصهيوني على أعضاء مجلس الشيوخ البارزين، وهو أمر بدا في تصريحات السناتور واجنر والسناتور تافت والسناتور باركلي. كلهم أيدوا في تصريحات تم نشرها على نطاق واسع ضرورة فتح الأبواب لهجرة اليهود إلى فلسطين.

– وقال نورى باشا إن مثل هذه التصريحات سوف تخلق شعوراً بالعداء ضد أمريكا. وهو شعور قد تستغله الدعاية النازية، وأنه سمع بنفسه من راديو برلين باللغة العربية تحريضاً شديداً للعالم العربي بسبب هذه المسألة ضد الولايات المتحدة.

– وقال لي نورى باشا : إن العرب لا يملكون من وسائل التأثير في الكونجرس ما تملكه الجماعات الصهيونية، لكنه يأمل أن تقوم الحكومة الأمريكية بما تراه لازماً لعمل شيء من التوازن.

إمضاء

لوى هندرسون

■ وثيقة رقم ٦٤٤-٠١/١٢ ن٨٦٧ :

– مذكرة من مدير إدارة الشرق الوسط والشئون الأفريقية «موراى» إلى وزير الخارجية.
– واشنطن: ٨ ديسمبر ١٩٤٤ .

سيدى الوزير :

– وصلت إلينا نسخة من خطاب كتبه الدكتور حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية إلى الحاخام سيلفر في واشنطن. وهى تحتوي على معلومات مهمة عن مناقشة دارت بين الدكتور وايزمان ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل.

إن أهم المعلومات في هذه المذكرة ترد على النحو التالي:

١- أن الحكومة البريطانية لم تصل بعد إلى قرار بشأن مستقبل فلسطين وفي الغالب أنها ستنتظر إلى ما بعد انتهاء الحرب مع ألمانيا.

٢- إن رئيس الوزراء تشرشل وحماسه للصهيونية معروف رغم عناد بعض وزرائه يرى أنه هو والرئيس روزفلت يستطيعان معا وضع خطوط عملية للمستقبل.

٣- إن رئيس الوزراء ونستون تشرشل يعتقد بضرورة تقسيم فلسطين إلى العرب واليهود. كما أنه يقبل طلب وايزمان منه بتسهيل دخول مليون ونصف مليون يهودي إلى فلسطين خلال السنوات العشر القادمة.

٤- بناء على ذلك فإن الدكتور وايزمان طلب من الحاخام سيلفر اتخاذ الخطوات التالية:

(أ) إن رجالاً مؤثرين على الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت من أمثال باروخ ومورجنتا ويوجين ماير «صاحب جريدة الواشنطن روست، ووالد صاحبتها الحالية كاثرين جراهام» وفيلكس فرانكفورتر وبن كوهين «محام مشهور» يجب ان يطلبوا مقابلة الرئيس وأن يطرقوا الحديد وهو ساخن وأن يقنعوه على الأقل بفتح أبوب الهجرة اليهودية إلى فلسطين بلا شروط.

(ب) ثم أن يلفتوا نظره إلى مشروع أمريكي أعده الدكتور «لاودر ميلك» من وزارة الزراعة الأمريكية. وهو خاص بتنمية موارد فلسطين واعتبار أن التنمية مدخل ضروري لإقناع العرب بأن المستقبل يكمن في تعاونهم مع اليهود.

إمضاء

موراى

■ وثيقة رقم ١٤٥-٢/١-٠١ن٨٦٧ «وهي ملحقة بالوثيقة السابقة وتحمل نفس رقمها لاتصال الموضوع والموعد»:

مذكرة من مساعد وزير الخارجية جوزيف كرو إلي وزير الخارجية :

التاريخ: ١ فبراير ١٩٤٥ :

– جاء لمقابلتي كل من الدكتور ستيفن وايز «رئيس المجلس الصهيوني العالمي» والدكتور ناحوم جولدمان والمستر هرمان شولمان والدكتور حاييم جريبنبرج. عن الحاخام وايزفتح المناقشة على الفور بقوله : «إن أبواب فلسطين يجب أن تفتح أمام اليهود» وهو وزملاؤه يعرفون أن الرئيس روزفلت أخذ مذكرتهم التي قدموها قبل سفره إلى إيطاليا «لحضور مؤتمر القمة الشهير مع تشرشل وستالين» وهم يطلبون تذكير الرئيس بوعوده لهم.

– إنهم واثقون أن تشرشل متعاطف معهم ويأملون أن يقف الرئيس روزفلت بحزم إذا ما أظهر ستالين مشاعر معادية لليهود.

إمضاء

جوزيف كرو

■ وثيقة رقم ٢٧٤٥-٦/١-٠١ ن ٨٦٧ :

مذكرة عن مقابلة أجراها إيفان ويلسون من إدارة الشرق الأدنى مع عدد من القيادات الصهيونية.

التاريخ: ٢٧ يونيو ١٩٤٥ :

– إن الدكتور جولدمان عاد إلينا بعد أسبوع من مقابلتنا السابقة ومعه المستر دافيد بن جوريون رئيس الوكالة اليهودية في فلسطين وبصحبته المستر إليعارز كابلان من الوكالة اليهودية. وقد جاءوا جميعاً لمناقشة مسألة فلسطين معنا. وكان المستر دافيد بن جورين عنيفاً، وقال : إن الحكومات الغربية تؤخر الحقوق المشروعة للشعب اليهودي استرضاء لبعض الباشوات المصريين في القاهرة، ولبعض شيوخ البدو في الصحارى العربية. وطلب بن جوريون أن نقل للحكومة البريطانية أن الحركة الصهيونية لا تريد مشاكل معها، ولكن الأفضل ألا تؤخر تسهيل حصولهم على حقوقهم في فلسطين.

إمضاء

إيفان ويلسون

■ وثيقة رقم ١٧٤٦ ـ ٨/١ ٠ ١ن٨٦٧ :

رسالة من وزير الخارجية الأمريكية جيمس إلى الحاخام ستيفن وايز باريس ١٧ أغسطس ١٩٤٦ .

عزيزى الدكتور وايز :

– إنك طلبت مني أن أقابل مستر ناحوم جولدمان أثناء وجودي في باريس لأنه يريد أن يراني في مسائل متعلقة بموضوع فلسطين. وقد كنت أرغب في أن أراه، لكني بعيد عن مجرى الحوادث في هذه القضية، فطوال السنة الأخيرة تولى الرئيس ترومان بنفسه وشخصيًّا كل ما هو متعلق بمشكلة فلسطين. والاتصالات الدائرة بين الحكومتين البريطانية والأمريكية في هذا الشأن تجري مباشرة بين الرئيس ترومان ورئيس الوزراء «البريطاني» المستر آتلي، وليس بين المستر بيفن وبيني. ....

إمضاء

جيمس بيرنز

■ وثيقة رقم ٤٤٨ ـ ٢/ج٩٠ ٧١١٠ :

مذكرة كتبها السفير الأمريكي في العراق «وادسورث» إلى مدير قسم الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الأمريكية «لوى هندرسون» عن مقابلة له مع الرئيس ترومان.

التاريخ: ٤ فبراير ١٩٤٨ .

«سرى جدًّا»

الموضوع: حوار مع الرئيس:

– كما تعلم فإنني قابلت الرئيس، وقد قدمت له مذكرة بواسطة مساعده لشئون الأمن القومي الأميرال سويرز، وتم ذلك قبل الاجتماع لكي يكون على علم مسبق بما أنوى أن أتحدث فيه، وكان بناء على طلب الأميرال بويرز، وقد استقبلني الرئيس عند الظهر تماماً وتحدثنا لمدة خمس عشرة دقيقة. قال لي الرئيس : إنه قرأ الورقة التي أرسلتها إليه، وعقب بقوله : «إن الأوضاع في الشرق الأوسط هي التي تشغله الآن». وقد قلت له : إنني أريد أن أعرف منه مباشرة ما إذا كانت حكومة الولايات المتحدة تفكر في إرسال قوات إلى الشرق الأوسط لكي تفرض قرار تقسيم فلسطين؟ وقد رد على الفور بقوله : إنه يفضل أن يعمل بواسطة الأمم المتحدة.

– وأضاف الرئيس أن ذلك هو ما قاله بالضبط للأمير فيصل، ولأمير اليمن، وللوصى على عرش العراق الذي اجتمع به لمدة ساعتين كاملتين.

– وقال الرئيس : إنه لفت نظر الوصي إلى ضرورة الاهتمام بالمشروعات الكبرى في العراق نفسها بدلاً من الانشغال بمشاكل بلاد أخرى مثل فلسطين. وقال الرئيس في هذا الصدد إن لديهم مشروعاً مثل مشروع تنمية وادي دجلة والفرات بأموال البترول العربية التي يحصلون عليها، فالعراق بلد يحتاج إلى التنمية. وفي كل مرة دخل الغزاة إليه، من أول تيمور لنك وحتى الآخرين، فإنهم حطموا في طريقهم كل شيء. إن الغزاة يفعلون ذلك باستمرار. قال الرئيس. لأول مرة في التاريخ تكون سياسة الغزاة هي التوجيه إلى البناء. وقلت للرئيس : إنه يصعب تحويل نظر العراق عما يجري في فلسطين.

إمضاء

وادسورث

■ وثيقة رقم ٨ ٤ ٥ ١-٤/فلسطين.ب ب ١ ٠ ٥ :

برقية من المندوب الدائم للولايات المتحدة «أوستن» إلى وزير الخارجية.

التاريخ: ١٥ أبريل ١٩٤٨ **(سرى وعاجل)**

– دعاني الدكتور حاييم وايزمان ومعي السفير جيسوب إلى لقائه بعد ظهر أمس، وقد وجدنا أبا إيبان عنده، وقال لنا «الدكتور وايزمان» : إنه لا يفهم تردد الولايات المتحدة إزاء ما يجرى في فلسطين. وهو يتساءل «ما هو مبعث التردد؟».

– هل هو الخوف من العرب؟ هل هو البترول؟ هل هو الخوف من روسيا؟ وقد راح الدكتور وايزمان يجيب بنفسه على أسئلته قائلاً: «أما عن العرب فليس هناك داع من أى نوع للخوف منهم، فهم ضعفاء بطريقة بائسة. وأما عن بترول العرب فإنهم لا يستطيعون أن يبيعوه إلا للولايات المتحدة. وعلى سبيل المثال فهل نخشى أنهم يمكن أن يبيعوا بترولهم للروس؟ وإذا باعوه للروس فماذا يفعلون بالروبلات التي سيحصلون عليها؟.

– واستطرد الدكتور وايزمان قائلاً هل تخشون من أن الدولة اليهودية سوف تكون متأثرة بالروس؟ ثم أجاب بنفسه مرة أخرى: «إنه ليس هناك داع للخوف من هذا التأثير، إن الدكتور وايز مان انتقل بعد ذلك إلى المساعدات التي يمكن أن تقدمها الولايات المتحدة للدولة اليهودية. وقد تحدثنا في هذا الموضوع بصفة عامة وبدون التزامات محددة.

إمضاء

أوستن

قانون العودة

١- يحق لكل يهودي المجيء إلى هذه البلاد بصفة مهاجر عائد (Oleh)

٢- **أ-** يكون الاشتراك في مواجهة الهجرة – العودة (Aliyah) على أساس تأشيرة ممنوحة للمهاجر العائد «تأشرة مهاجر».

ب- تمنح التأشيرة إلى كل يهودي يعبر عن رغبته في الاستيطان بأرض إسرائيل، إلا إذا رأى وزير الهجرة واقتنع بأن مقدم الطلب.

١- يقوم بنشاط موجه ضد الشعب اليهودي.

٢- يحتمل أن يشكل خطراً على الصحة العامة أو يتهدد أمن البلاد وسلامتها.

٣- أ- ينال اليهودي الذى جاء إلى إسرائيل، وعبر لدى وصوله عن رغبته في الاستيطان بإسرائيل، شهادة مهاجر عائد (بطاقة هوية للمهاجرين) بينما لا يزال مقيماً في إسرائيل.

ب- يسرى مفعول القيود المحددة أعلاه في المادة «٢ب» على منح شهادة المهجر العائد أيضاً، غير أن شخصاً لن يعتبر ممن يتهددون الصحة العامة بسبب مرض اكتسبه بعد وصوله إلى إسرائيل.

٤- يعتبر كل يهودي هاجر إلى هذه البلاد قبل أن يصبح هذا القانون سارى المفعول، وكل يهودي مولود في هذه البلاد، سواء كان مولوداً قبل أن يصبح هذا القانون سارى المفعول أو بعده، شخصاً جاء إلى هذه البلاد بصفة « مهاجر عائد» في ظل هذا القانون.

٥- يعهد إلى وزير الهجرة بتنفيذ نصوص هذا القانون ومواده، ويجوز له إصدار القوانين واتخاذ الإجراءات والترتيبات في جميع المسائل المتعلقة بهذا التنفيذ وبمنح تأشيرات وشهادات «الهجرة- العودة» إلى القاصرين حتى سن الثامنة عشرة.



المقررات «السرية» للأحزاب الإسرائيلية

١- **الأردن:** يجب أن يقوم اتفاق خاص ومنفصل للسلام بين الأردن وإسرائيل. مثل هذا الاتفاق يجب أن يبني أيضاً على التعاون الاقتصادي والثقافي وعلى معاهدة عدم اعتداء. ومثل هذا الاتفاق يجب أن يتيح لنا أن نعيد للأردن «الضفة الغربية» مع التعديل الضروري للحدود بشكل يؤمن لإسرائيل سلاماً وأمناً دائمين.

٢- **اللاجئون:** إن الاتفاق مع الأردن وتعديل الحدود سيسهل حل مشكلة اللاجئين فمعظمهم يجب أن يستقر في الأردن. ثم تقود بعد ذلك جهود مشتركة بين الأردن وإسرائيل للإفادة من الموارد الدولية لتطوير مشاريع الري والمشاريع الصناعية، ومن أجل الاستثمار المشترك للبحر الميت. وفي الوقت نفسه سيمنح الأردن مرفأ حراً على البحر المتوسط. إن تطوراً كهذا مع الخفض من حد موازنة التسلح الأردنية سيقوى استغلال الأردن السياسي والاقتصادي عن القوى الأجنبية ويقوي العلاقات بينه وبين دولة إسرائيل.

٣- **القدس:** لن يعاد أي قسم من أقسام القدس إلى الأردن بأى حال من الأحوال. فمدينة القدس الموحدة ستكون عاصمة إسرائيل مع إمكانية منح الاستقلال الذاتي الديني في حفظ واستعمال الأماكن المقدسة.

٤- **صحراء سيناء:** يجب أن يزال إلى الأبد التهديد المصري لحدود إسرائيل الجنوبية وذلك بإعلان صحراء سيناء منطقة منزوعة السلاح.

٥- **قطاع غزة:** إن قطاع غزة الذي لم يكن في يوم من الأيام ملكاً لمصر يجب أن يخضع بكافة سكانه لإسرائيل. ويجب أن ننتزع أرض خاصة لإسكان اللاجئين الذين يضمهم القطاع.

٦- **السويس وتيران:** يجب أن تمنح إسرائيل ضمانات من كل الفرقاء المعنيين. بما في ذلك الأمم المتحدة بحرية الملاحة في قناة السويس ومضايق تيران.

٧- **مرتفعات الجولان:** لقد شكلت مرتفعات الجولان باستمرار تهديداً لسلام وأمن المنشآت الإسرائيلية في الجليل ووادي الأردن. ويجب إعلان هذه المرتفعات منطقة منزوعة السلاح لضمان آمن وسلام دائمين لهذه المنشآت. ويجب أن تقام مواقع الدفاع الإسرائيلي على ذرى هذه المرتفعات.

٨- **الاتحادات المقبلة:** ترى إسرائيل أن اتفاق السلام سيصبح دائماً وسيقود إسرائيل وجيرانها نحو نزع السلاح، وتحييد المنطقة المضطربة حالياً، وتطوير وتنمية التعاون السياسي والاقتصادي، مع النظر إلى أن تنشأ في المستقبل. علاقات اتحادية بين الدول المستقلة في المنطقة.

٩- **فترة الانتقال:** من الآن وحتى يتم الوصول إلى اتفاق السلام الدائم، فستتصرف إسرائيل مع المناطق المحتلة بطريقة تؤمن الأمن والقانون والنظام. وسنواصل تقوية الاقتصاد بالزراعة والصناعة والتعمير في المناطق المحتلة. وسنعمل على أن نؤمن لهذه المناطق خدمات التوظيف والخدمات الصحية والثقافية والاجتماعية، والنشاطات المحايدة للبلديات. وستعمل إسرائيل في الوقت نفسه على حل مشكلة اللاجئين وتدبير أمر إسكانهم. وهكذا فإن الحل الكامل لن يكون مكمناً إلا بعد تحقيق السلام وبمساعدة الأموال الدولية. وتوجد الآن إمكانيات لاستيعاب بعض اللاجئين في المناطق المحتلة.

١٠- **التعاون مع سكان المناطق المحتلة:** يجب على إسرائيل أن تعد برنامجاً بناءً لتحسين شروط المعيشة في المناطق المحتلة، وهذا سيساعد على خلق تفاهم ودي وتعاون مع سكان المناطق المحتلة عندما يتم تبني برنامج كهذا. يجب على إسرائيل أن تعمل على محو الظلم والبغض اللذين شوها صورة إسرائيل في عيون العرب، وعلى تقريب السلام العربي. الإسرائيلي.

وثيقة الاستقلال
الإعلان عن إقامة دولة إسرائيل
(مترجمة عن العبرية مباشرة)

في أرض إسرائيل نشأ الشعب اليهودي، وبها تكونت شخصيته الروحية والدينية والسياسية وعاش بها حياة استقلال سياسي، وبها أنتج كنوز الثقافة القومية والإنسانية وأوردت للعالم كله كتاب الكتب الخالد.

وبعد أن أجلى الشعب من أرضه بالقوة تمسك بالإخلاص لها في كل مناطق شتاته، ولم ينقطع عن الصلاة والأمل في أن يعود إلى بلاده ليحدد عنها حريتها السياسية.

وانطلاقاً من هذه الرابطة التاريخية التقليدية سعى اليهود في كل جيل للعودة والتمسك بوطنهم القديم، وخلال الأجيال الأخيرة عادوا بجماهيرهم وبطلائعهم الذين هاجروا تحت الخطر، ومدافعوهم صنعوا الحياة وبعثوا لغتهم العبرية وبنوا المدن والقرى ومجتمعاً مستوطناً يتحكم باقتصاده وثقافته، يحب السلام، ويدافع عن نفسه، ويجلب بركة التقدم إلى كل سكان البلاد ويطمح إلى الاستقلال السياسي.

في عام ١٨٩٧، انعقد المؤتمر الصهيوني ملبيًّا نداء واضع حلم الدولة اليهودية تيودور هرتسل وأعلن المؤتمر حق الشعب اليهودي بالبعث القومي في أرضه.

واعترف بهذا الحق في إعلان بلفور الصادر في ٢-١١-١٩١٧ وصدق عليه في الانتداب الصادر عن عصبة الأمم، مما أعطى صفة دولية للاعتراف بالصلة بين الشعب اليهودي وأرض إسرائيل وبحق الشعب اليهودي في إعادة بناء وطنه القومي.

إن الكارثة التي حلت بالشعب اليهودي أخيراً والتي ذهب ضحيتها ملايين اليهود في أوروبا برهنت من جديد على ضرورة حل قضية الشعب اليهودي عديم الوطن والاستقلال عن طريق تجديد الدولة اليهودية في أرض إسرائيل، تلك الدولة التي تفتح أبواب الوطن على مصراعيها لكل يهودي وتمنح الشعب اليهودي مكانة الأمة ذات الحقوق المتساوية بين مجتمع الأمم.

إن بقية اللاجئين الذين نجوا من المذابح النازية الرهيبة في أوروبا ويهود الدول الأخرى مستمرون في الهجرة إلى أرض إسرائيل رغم كل الصعاب، والموانع والأخطار ولم يتخلوا عن المطالبة بضمهم في الحياة الكريمة والعمل الشريف في وطن شعبهم.

وفي الحرب العالمية الثانية دفع المواطنون العبريون، في البلاد قسطهم كاملاً لمعركة الأمم الطامحة إلى الحرية والسلام ضد قوى الشر النازية. وبدم جنودهم وبمجهودهم الحربي حصلوا على حقهم في أن يكونوا في عداد الأمم التي أسست ميثاق الأمم المتحدة.

وفي ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً ملزماً بإقامة دولة يهودية في أرض إسرائيل ودعت سكان أرض إسرائيل أن يقوموا بأنفسهم بكل الخطوات المطلوبة من جانبهم لتحقيق القرار. إن اعتراف الأمم المتحدة هذا بحق الشعب اليهودي في إقامة دولته غير قابل للإلغاء.

إنه حق الشعب اليهودي الطبيعي في أن يعيش كغيره من الشعوب المستقلة في دولته ذات السيادة.

بموجب ذلك اجتمعنا نحن أعضاء مجلس الشعب، ممثلي الاستيطان العبري، والحركة الصهيونية في يوم انتهاء الانتداب البريطاني على أرض إسرائيل، وبموجب حقنا الطبيعي والتاريخي وعلى أساس قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة نعلن بهذا عن إقامة دولة يهودية في أرض إسرائيل.

إنا نقرر أنه منذ لحظة انتهاء الانتداب البريطاني في هذا المساء من يوم الجمعة الموافق ١٥ آيار ١٩٤٨ وحتى إقامة السلطات المنتجة العاملة للدولة بموجب القانون الذي سيقره المؤتمر التأسيسي المنتخب في موعد أقصاه ١ أكتوبر ١٩٤٨، سوف يعمل مجلس الشعب ومجلس الدولة المؤقت وسلطاتها التنفيذية ومديراً لشئون الشعب

وسيكون بمثابة حكومة مؤقتة للدولة اليهودية التي سيكون اسمها: إسرائيل.

إن دولة إسرائيل ستكون مفتوحة للهجرة اليهودية ولجميع الشتات، وسوف تحرص على تطوير البلاد لمصلحة كل سكانها، وسوف تقوم على أسس الحرية والعدل والسلام ويهدي من نور أنبياء إسرائيل، وسوف توجد مساواة كاملة في الحقوق الاجتماعية والسياسية بالنسبة لكل مواطنيها دون تمييز قائم على اعتبارات الدين أو العنصر أو الجنس. وسوف تضمن حرية الديانة والضمير واللغة والتربية والتعليم وسوف تحافظ على الأماكن المقدسة لكل الأديان وسوف تتمسك بمبادئ ميثاق الأمم المتحدة.

إن دولة إسرائيل سوف تكون مستعدة للتعاون مع مؤسسات وممثلي الأمم المتحدة في تطبيق القرار الصادر في ٢٩-١١-١٩٤٧ عن الجمعية العامة وسوف نعمل على تحقيق الوحدة الاقتصادية لكامل أرض. إسرائيل.

إننا ندعو الأمم المتحدة لمساعدة الشعب اليهودي في بناء دولته ولتقبل دولة إسرائيل في أسرة الشعوب.

نحن نوجه الدعوة. حتى من خلال الهجوم الدامي الموجه إلينا منذ شهور. إلى أبناء الشعب العربي، سكان دولة إسرائيل، أن يحافظوا على السلام وأن يساهموا في بناء الدولة على أساس المواطنة الكاملة والمتساوية وعلى أساس التمثيل الملائم في كل مؤسساتها المؤقتة الدائمة.

نحن نمد يد السلام والجوار الحسن مع كل الدول المجاورة وشعوبها، وندعوهم إلى التعاون والمساعدة المتبادلة مع الشعب العبري، المستقل في دولته، ودولة إسرائيل مستعدة لأن تسهم في مجهود مشترك من أجل تقدم الشرق الأوسط كله.

نحن ندعو الشعب اليهودي في كل أماكن شتاته، لأن يتوحد حول المستوطنين عن طريق الهجرة وأن يقف جانبهم في المعركة الكبيرة لتحقيق حلم الأجيال في تحرير إسرائيل. انطلاقاً من إيماننا بإسرائيل، نحن نوقع بأيدينا شهادة على هذا الإعلان في مجلس الدولة المؤقت على أرض الوطن في مدينة تل أبيب في هذا اليوم. يوم الجمعة، مساء الخامس عشر من آيار سنة ١٩٤٨.

ديفيد بن غوريون. دانيال أوسطو- مردخاى بنطلوب. إسحاق بن تسفي – الياهو برلين- بريتس برنشتاين. الراب وولف غولد- مئير غربوسكي- الياهو دوبكين زارحت ورهابنغ- هرتسل فاردي- راحل كوهن- الراب كلما كهانا – سعاديا كوباشي – الراب إسحاق مئير ليفين – مئير دافيد لفنشتاين – تسفى لوريا – غولدا مائيرسون – ناحوم نير – تسفي سغل – الراب يهودا ليب – هكلوهن بيشمان – دافيد بيمز – بيرل ربتور – مردخاى شتنر- بن تسيون شتردنبرغ – بيخور شتريت موشي شابيرا – موشي شيرتوك.



المراجع

١- د. رشاد عبد الله الشامي: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٤.

٢- لواء دكتور/ النعماني أحمد السيد: التركيب الاجتماعي للمجتمع الإسرائيلي وأثره على النسق السياسي، مكتبة نهضة الشرق.

٣- د. حسين شريف: من العهد القديم إلى قيام دولة إسرائيل، ١٩٩٠ ق.م، ١٩٤٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥، جـ١.

٤- أسعد رزوق: نظرة في أحزاب إسرائيل، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٦.

٥- حامد ربيع: محاضرات في القرار السياسي في إسرائيل، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة.

٦- إبراهيم العابد: الماباي الحزب الحاكم في إسرائيل.

٧- كمال الغالي: النظام السياسي لإسرائيل.

٨- لمياء جميل: المابام: حزب العمال الموحد في إسرائيل، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٨.

٩- علي محمد علي: في داخل إسرائيل، القاهرة، الدار القومية للنشر.

١٠- عزيز العظمة: اليسار الإسرائيلي، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٩.

١١- محمد حافظ يعقوب: من تاريخ الحركة الثورية في فلسطين، عصبة التحرير الوطني ومنتصف الأربعينيات، دراسات عربية، العدد (١) نوفمبر ١٩٧٢.

١٢- بيكيتينا جالينا: دولة إسرائيل، خصائص التطور السياسي والاقتصادي، القاهرة، دار الجلال، ١٩٧٠.

١٣- النعماني أحمد السيد: القوى الضاغطة في السياسة الإسرائيلية.

١٤- بسام أبو غزالة: الجذور الإرهابية لحزب حيروت الإسرائيلي، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٦.

١٥- كامل أبو جابر: نظام دولة إسرائيل، إطار القرار السياسي.

١٦- صبري جرجس: الحريات الديمقراطية في إسرائيل، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧١.

١٧- جـارودي روجيـه: فلسـطين أرض الرسـالات السـماوية، ترجمـة آتـامين وميشيل واكيم، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٨.

١٨- المسـيري: الأيديولوجيـة الصـهيونية، سلسـلة عـالم المعرفـة، الكويـت، ديسمبر ١٩٨٢.

١٩- روبنشتان. آمنون: الصلاحيات واللاقانونية، ١٩٦٥.

٢٠- أحدها عام: الصهيونية وإصلاح العالم.

٢١- سميث موشيه: الصراع حول جعل قيم اليهودية في إسرائيل مؤسساته، القدس، ١٩٧٩.

٢٢- جريس صبري: تاريخ الصهيونية ١٨٩٢-١٩١٧، الطبعة الثانية، القدس، ١٩٧٨.

٢٣- عبد الله هاني: الأحزاب السياسية في إسرائيل، عرض وتحليل مؤسسة الدراسات الفلسطينية، سلسلة الدراسات، بيروت، ١٩٨٤.

٢٤- راضي أشرف: اليهود الشرقيون وانتخابات الكنيست، الثاني عشر في إسرائيل، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٨٩.

٢٥- سميث غازي: الصهيونية السياسية، انتقادات يهودية، الصهيونية حركة عنصرية، أبحاث ندوة طرابلس حول الصهيونية والعنصرية، يوليو ١٩٧٦.

٢٦- نـوبيرير. جـي: الفـرق بـين اليهوديـة والصـهيونية – الصـهيونية حركـة عنصرية.

٢٧- جمـال البـدري: الجسـر الأحـزاب الدينيـة الإسـرائيلية، مكتبـة مـدبولي الصغير، ٢٠٠١، القاهرة.

٢٨- نيلي سليم القاضي – المنظمة الاشتراكية الإسرائيلية – دراسات فلسطينية – منظمة التحرير الفلسطينية – تموز/ يوليو ١٩٧١ / بيروت.

٢٩- د. أسعد رزق – نظرة فى أحزاب إسرائيل – دراسات فلسطينية – منظمة التحرير الفلسطينية – قانون الأول/ديسمبر ١٩٦٦- بيروت.

٣٠- بسام أبو غزالة – الجذور الإرهابية لحزب هيروت الإسرائيلي، دراسات فلسطينية – منظمة التحرير الفلسطينية – تشرين الأول/ أكتوبر/ ١٩٦٦.

٣١- رفيق حبيب مطلق – الحياة السياسية فى إسرائيل – سلسلة حقائق وأرقام منظمة التحرير الفلسطينية/ ط٢/ شباط/ فبراير/ ١٩٦٨.

٣٢- مؤسسة الدراسات الفلسطينية – إسرائيل دليل عام – بيروت ٢٠٠٤.



فهرس الكتاب

الفصل الأول : التعريف بنشأة الحركة الصهيونية في أوروبا..٨

الفصل الثاني : الوظيفة الأمنية والعسكرية والدينية...٥٧

الفصل الثالث : الصهيونية الدينية النشأة والمفاهيم...٩٩

الفصل الرابع : المعارضة الدنية الصهيونية على ضوء فكرة المسيح المخلص............................١٢٠

الفصل الخامس : الشخصيات اليهودية...١٤٩

المراجع...١٧٢